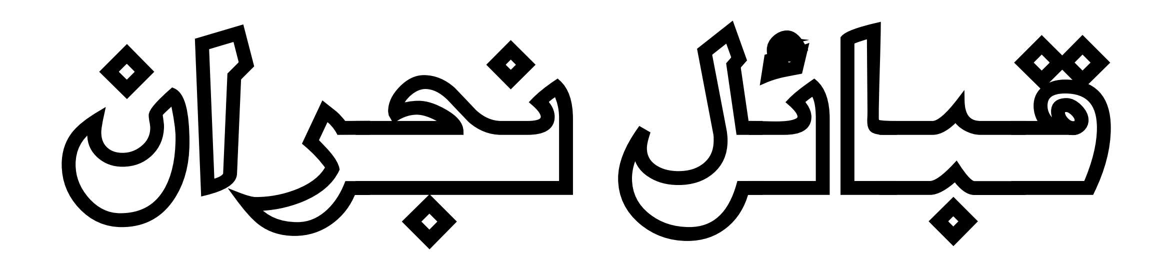


قبائل نجران

التاريخ - الوثائق- العلاقات - الأسواق

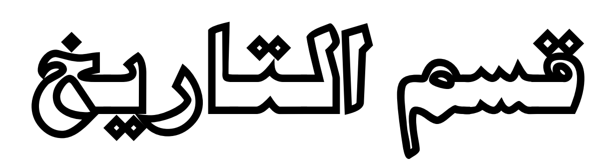
نسخة منقحة ومعدلة

النسخة العاشرة

١٤٣٢هـ

2011

www.najran.cc
najran.cc@gmail.com


قسم التاريخ

الفهرس

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله .
أما بعد. .

لم يسبق لأحد أن كتب عن تاريخ قبائل نجران كتاب مستقل بل أن ما سطره التاريخ هو مقتطفات في كتب عدة كشواهد على أحداث من جاورهم من الدول والقبائل وهنا تكمن صعوبة العمل الذي عقدنا العزم على إنجازه وتطلب ذلك منا جمع اكبر قدر من هذه المصادر وجمعها وترتيبها وتنقيحها من بعض المغالطات مع الإشارة إلى ذلك طبعاً كما قمنا بعمل حواشي لهذا العمل وشرح ما يلزم شرحه محاولين الإيجاز قدر المستطاع في موضع الاختصار والاسترسال في موضع التفصيل كما قمنا بربط الأحداث مع بعضها البعض وقد راعينا أصول التحقيق في بيان مكان التعديل والإضافة والاختصار مقتصرين قدر المستطاع على إيراد الأحداث المتعلقة بتاريخ قبائل نجران فقط دون الإسهاب في التفاصيل الخارجة عن الموضوع كما راعينا إبقاء النصوص مثل ما أخذناها من مصادرها لتكون شاهد على الحوادث ومساهمة منا في تسهيل مهمة من أراد أن يكمل المشوار الذي بدأناه .

وقسمنا هذا الكتاب إلى ستة أبواب:

في الباب الأول :
تكلمنا عن ديار يام وقصة أصحاب الأخدود وأول من عمر نجران ونبذة عن المجتمع النجراني قديماً وذكرنا نماذج من أبرز شخصيات التاريخ النجراني ممثلة في عبد الله بن ثامر وقس بن ساعدة ويزيد بن عبد المدان واوردنا كتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأهل نجران ونبذة عن تاريخ يام في الجاهلية ثم عرجنا على تاريخ دولتي بني زريع وبني حاتم اليامية وفي آخر هذا الباب تكلمنا عن علاقة يام بالمكارمة وأولاد عبد الله تاريخياً .

وفي الباب الثاني:
الفترة الزمنية من عام ٢٩٤هـ إلى عام ٩٦٥هـ .

الباب الثالث :
الفترة الزمنية من عام ١١٢٧هـ إلى عام ١١٦٨هـ .

الباب الرابع :
الفترة الزمنية من عام ١١٧٤هـ إلى عام ١٢١١هـ .

الباب الخامس :
الفترة الزمنية من عام ١٢٢٠هـ إلى عام ١٢٥٥هـ .

وفي الباب السادس :
الفترة الزمنية من عام ١٢٥٦هـ إلى ١٣٥٢هـ، وختمنا هذا الباب بدخول نجران تحت لواء الحكم السعودي وعندها أصبحت قبائل نجران جزء من هذه الدولة الفتية تاريخاً وانتماءً



شرح الرموز

[ ] كـلام مــضـاف أو استبدال لفظة غير محببة بلفظة اخرى.

... كـلام مـحـذوف: - جـمـلـة تضـمـنـت كـلام بـــذئ.
- جـمـلـــة تـســـئ إلى طـائـفة.
- سـرد مـطـول لا يـؤثـر علـى الموضوع.
- بداية كلام من كتاب أو وثيقة.



التاريخ

الباب الأول

- ديار يام
- قصة أبناء نزار بن معد
- قصة أصحاب الأخدود
- المجتمع النجراني
- شخصيات بارزة
- بني زريع وبني حاتم
- المكارمة

الباب الأول
ديـــار يــــــام

من أهم الذين اعتنوا بمنازل القبائل في اليمن: لسان اليمن الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني، وقد ركز في كتابه (صفة جزيرة العرب) على ذكر كثير من منازل قبائل اليمن ومن جاورها، بل وفي كثير من أصقاع الجزيرة العربية. وإذا تتبعنا ما ذكره عن يام نجده يذكرها في موضعين متباعدين: أحدهما قرب مأرب، والآخر في نجران وحبونن، فقال في وصف ما حول مأرب: ثم بعد مأرب أودية لطاف إلى الجوف أي متجهاً شمالاً مشاربها من شرفات ذي جره، ومن شرقي مخلاف خولان العالية ومنها العوهل الاعلى والعوهل الأسفل وحمص، ويكون على هذه الأودية بنو الحارث بن كعب يسيمون النعم، إلى أن يقول ومساقط بلد عذر مطره وبلد يام وهيلان ثم يعلق على ذلك الأستاذ محمد الاكوع محقق الكتاب، قائلاً يام، قبيلة من حاشد، ولا وجود لها اليوم في هذا الحيز، وانما يوجد جبلها الذي يدعى جبل يام. قال عاتق بن غيث: والذي أراه أن "يام" هذه يام عنس المذحجية لا يام حاشد الهمدانية والهمداني هنا لم ينسبها. ويقول الهمداني وهو يصف سيل نجران: ويتقدم في شوكان من أعلى وادي نجران فيسقيه وينتهي في الغاط [1] ثم يعترض بين نجران وتثليث أودية مثل حبونن [2] وغيره [3] من بلاد وادعة وبلد يام وزبيد وبلد سنحان وبلد جنب [4]. وفي مكان آخر يتحدث عن وادي المنبج فيقول: أن فروعه من بلد يام القديمة وبلد مرهبة، وكلاهما من همدان وهذا صريح بأن يام كانت في الجنوب ثم تحركت شمالاً في زمن لم أر من حدده. وفي مكان أخر يصرح الهمداني بان يام الجنوب هي يام عنس، إذ يقول: بلاد مذحج بعد أن تخرج من ذمار متوجهاً نحو المشرق بقدر فرسخين أرض عنس وهي واسعة، حدودها من ناحية الشمال الثنية إلى بيكلي والطيبار وجيرة، إلى أن يقول: ومن ناحية المشرق ثات وبها اليوم من بطون عنس: النهديون، والقريون، واللميسيون، والياميون وهم رهط أبي العشيرة اليامي هذه الديار هي عند التقاء اليمن بحضرموت، أي ما نسميه بالزاوية الجبلية حيث تلتقي السراة الممتدة جنوباً بالأخرى الممتدة غربا. ثم يصرح بوجود يام في نجران، على انهم ليسوا سكانه الرئيسيين، فيقول ليام وطن بنجران نصف ما مع همدان منها ثم بلدهم يطرد عليها ناحية الحجاز إلى حدود زبيد ونهد من ناحية حارة [5] وما يليها وهي حارة وملاح وسمنان فإلى ما يصالي خليف دكم من أعالي حبونن، والحظيرة وبدر وصيحان وقابل نجران وهدادة. وهذا صريح بقدم ديارهم الحالية، فكل من بدر وهدادة وسنحان روافد لحبونن، وكلها ليام، ثم يقول: عاتق بن غيث: تمكنت يام من نجران حتى اصبح قريناً لإسمها. فلا يذكر نجران إلا وتذكر معه، وكل من فيه وما فيه لها ومنظم إليها بالجوار والتبعية [6].

---

(١) الغاط حيث تنتهي سيول وادي نجران، ويسمى اليوم (القاع).
(٢) يقولون اليوم حبونا، وحبونه.
(٣) هما حبونا ويدمه، وجميع الاودية الاخرى فروع لها.
(٤) وادعة، وسنحان وجنب، هي اليوم فروع من قحطان.
(٥) لعلها (راحة) وكثير ما يحدث سبق القلم تغيرات في مثل هذه الأسماء وراحة اليوم لقحطان قرب ظهران الجنوب.
(٦) كتاب بين مكة وحضرموت صـ ١٣٠/١٣١/١٣٢ـ.

[وسيبين لنا – كما سيأتي- حمد الجاسر بأن يام الهمدانية هي التي كانت تسكن الجوف قبل أن تتجه إلى نجران وليس يام عنس كما قال عاتق بن غيث]:

قال: الهمداني في كتاب الجوهرتين (ومنها -يعني معادن الفضة - معدن الرضراض باليمن وهو نظير معدن شمام وخير منه... قال معدنو الفضة ليس بخرسان ولا بغيرها لمعدن اليمن - وهو معدن الرضراض - وهو في حد نهم ومخلاف يام من ارض همدان........ وكانت همدان ساكن هذا الموضع في حربه،........ وهذا هو الذي ذكره النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في كتابه مع ابن نمط الهمداني إلى آهل مخلاف يام وخارف فهناك جبل (يام) الاصحر وفيه أثار الجاهلي. ثم انتقلت يام من هذا الموضع فسكنت ما بين جوف الحيفه ونجران. فصار لهم قابل نجران القبلي فيه حاضرتهم وباديتهم بملاح وحاره فما يليها من حلاحل فسروم [1].

قال البكري (الرضراض): ارض في ديار نهم، من همدان وفيه معدن فضة. ويقول الجاسر هذا المعدن واقع في شرق اليمن وجنوب نجران يميل نحو الغرب وجبل يام – الاصحر - يدعه المتوجه الى الجوف (جوف مراد) عن يمينه، بحيث يقع الغيل شماله بمسافة تقارب خمسة أكيال (ك.م) ويسمى الجبل الآن (الاسحر) بالسين بدل الصاد. ويقع بين ْ٢٠ـْ١٥ و ْ١٠ـْ١٦ (شمال خط الاستواء) ْ٣٠ـْ٤٤ و ْ٤٥ خط الطول - على وجه التقريب. ويقع جنوب وادي الخارد[2].

---

(١) العرب ج٩ صـ ٨٤٠ـــ، ــ٨٤١ـ عام ١٣٨٨هـ\١٩٦٨م.
(٢) العرب ج٩ صـ ٨٤٢ـــ عام ١٣٨٨هـ\١٩٦٨م.

قصة أبناء نزار بن معد [1] (في نجران)

إن أول خبر يدخل التاريخ لنجران هو ما تناقلته المصادر العربية عن قصة أبناء نزار بن معد بن عدنان مع الأفعى بن الأفعى ملك نجران[2]. نقول: أول خبر لان ما لدينا من مصادر تشير إلى أن عدنان كان حياً في القرن السادس (ق.م)، وهذا يعني أن أحفاد ابنه كانوا موجودين بين القرن الخامس والرابع (ق.م) ولم يصل إلينا قبل ذلك التاريخ ما يركن إليه من أخبار العرب. تقول القصة. كان لنزار بن معد أربعة أبناء: إياد وبه يكنى، وانمار، وربيعة، ومضر، فلما حضرت نزاراً الوفاة دعا بجارية شمطاء، فقال لإياد: هذه الجارية وما أشبهها من مالي فلك، ثم اخذ بيد مضر فادخله قبة حمراء، ثم قال هذه القبة وما أشبهها من مالي فلك،- ولذا قيل مضر الحمراء- ثم اخذ بيد ربيعة وقال له: هذه الفرس الأدهم والخبأ الأسود وما أشبهها من مالي فلك،- ولذ قيل: ربيعة الفرس - ثم اخذ بيد انمار وقال: هذه البدرة والمجلس وما أشبهها من مالي فلك، فان أشكل عليكم هذه القسمة فأتوا الأفعى الجرهمي - وكان ملك نجران- حتى يقسم بينكم وترضوا بقسمته، فلم يلبث نزار حتى هلك، وشكلت القسمة على ولده فركبوا قاصدين الأفعى، حتى إذا كانوا منه على يوم وليلة من ارض نجران، وهم في مفازة، إذا هم بأثر بعير، فقال إياد أن هذا البعير الذي ترون أثره لاعور، فقال انمار: وانه أبتر، وقال ربيعة وانه لازور قال مضر وانه لشرود، فلم يلبثوا أن أتي صاحب البعير فسألهم قائلاً: هل رأيتم بعيراً ضالاً في وجودكم (وجوهكم) ؟ قال إياد: بعيرك اعور؟ قال فإنه لأعور، قال انمار بعيرك أبتر ؟ قال فإنه لأبتر، قال ربيعة بعيرك ازور ؟ قال فإنه لازور،وقال مضر: كان بعيرك شرود ؟ قال فإنه لشرود، فأين بعيري؟ دلوني عليه، قالوا والله ما حسسنا لك بعير ولا رأيناه، قال انتم والله أصحاب بعيري وما أخطأتم من نعته شيئاً، قالوا ما رأينا لك بعير، فتبعهم حتى قدموا نجران، فلما اناخوا بباب الأفعى استأذنوا عليه، فأذن لهم، فلما دخلوا صاح الرجل من وراء الباب: أيها الملك هؤلاء اخذوا بعيري، فدعا به الأفعى فسأله عن شأنه، فقال: أن هؤلاء ذهبوا ببعيري، فقال لهم الأفعى: ما تقولون؟ قالوا رأينا اثر بعير، فقال إياد: انه اعور، فقال ما يدريك انه أعور؟ قال رأيته يرعى الكلأ من شق واحد ويترك الآخر، وقال انمار رأيته يرمي بعره مجتمعاً فلو كان أهلب لمصع به فتفرق بعره، وقال ربيعة رأيت اثر إحدى يديه ثابت والآخر فاسدا فعلمت إنه ازور، وقال مضر: رأيته يرعى الشق من الأرض يتعداها فيمر بالكلأ الملتق الغض فلا ينهش منه حتى يأتي ما هو ارق منه فيرعى فيه، فعلمت انه شرود، فقال الأفعى: صدقوا قد أصابوا أثر بعيرك وليسوا بأصحابه، التمس بعيرك. ثم قال الأفعى للقوم من انتم ؟ فاخبروه بما لهم، فرحب بهم ثم قال: ما خطبكم؟ فقصوا عليه قصة أبيهم فقال الأفعى: فكيف تحتاجون إلي وانتم ما أرى؟ قالوا امرنا بذلك أبونا ثم أمر بهم، فنزلوا، وأمر خادما له على دار الضيافة أن يحسن إليهم ويكرم مثواهم والطافهم بأفضل ما يقدر عليه، ثم أمر وصيفاً له أن ينظر كل كلمة تخرج من أفواههم

(١) بين مكة وحضرموت صـ٢٢٢.

(٢) الأفعى بن الحصين بن غنم بن رهم بن الحارث الجرهمي حاكم نجران وكاهنها وهو الذي تحاكم إليه أبناء نزار بن معد بن عدنان وهم : مضر : وهو أصل قبيلة مضر

انمار: وهو أصل قبيلة انمار

ربيعة : وهو أصل قبيلة ربيعة

إياد : وهو أصل قبيلة إياد

ثم خلف على نجران بعد ذلك قوم من " جرهم " ثم قوم من حمير الذين كانوا ولاة ألتبابعه وكان كل أمير منهم يلقب بالأفعى تبعا لسنن من كان قبلهم من جرهم ومنهم القلمس بن عمرو بن همدان بن المنتاب بن زيد بن وائل بن حمير بن سبا الأكبر وقد كان واليا للملكة بلقيس على نجران وبعثته إلى النبي سليمان عليه السلام فلما تقابل معه امن به وبدينه وبث الديانة اليهودية في نجران . {بحث ماجستير بعنوان : حركة الشعر في نجران، ف. رداد العتيبي}

فيأتيه بها، فاتاهم القهرمان بقرص من شهد فأكلوا وقالوا: ما رأينا شهد أعذب من (هذا) ولا احسن ولا اشد حلاوة منه، فقال إياد: صدقتم لولا أن نحله ألقاه في هامة جبار، فلما حضر غدائهم وجيء بالشواء فإذا بشاة شوية فأكلوا وقالوا: ما رأينا شواء أجود ولا ارخص لحماً ولا أسمن منه،فقال انمار: صدقتم لولا انه غذي بلبن كلبة.
ثم جاءهم بالشراب فلما شربوا قالوا: ما رأينا شراباً أعذب ولا أصفى ولا أطيب من رائحته، فقال ربيعة: صدقتم لو لا أن كرمه نبت على قبر، ثم قالوا ما رأينا ملك اكرم قرى ولا اخصب رحلا من هذا الملك قال مضر: صدقتم لو لا انه لغير أبيه. فذهب الغلام الموكل بهم إلى الأفعى فاخبره بما سمع منهم، فدخل الأفعى على أمه، فقال أقسمت عليك إلا خبرتني، فصدقته الخبر، ثم دعا القهرمان وسأله عن الشهد، فقال انه وجد في جمجمة،ثم سأل صاحب المائدة عن الشاة، فقال لقد ماتت أمها وهي صغيرة فرضعت كلبة مع جرائها، فبعث إلى صاحب الشراب وسأله عن الكرمة، فقال حبة كرم غرستها على قبر أبيك. فقال الأفعى: ما هؤلاء القوم إلا شياطين. ثم أحضرهم، فقال إياد: أبى جعل لي خادمة شمطاء وما أشبهها من ماله فقال: إن لأباك غنماً برشاء فهي لك ورعاؤها. وقال انمار: إن أبى جعل لي بدرة ومجلسه وما أشبهها من ماله، قال فلك ما ترك أبوك من الرق والحرث والأرض، فقال ربيعة: أن أبى جعل لي فرس ادهماً وبيتا أسود وما شابهها من ماله. قال أن أباك ترك خيلاً دهماً وسلاحاً فهي لك وما فيها من عبيد. (فسمي ربيعة الفرس). فقال مضر: أن أبى جعل لي قبة حمراء من أدم وما أشبهها من ماله. فقال أن أباك ترك إبلا حمراء فهي لك وما شابهها من ماله، فصارت لمضر الإبل والقبة الحمراء والذهب. فسمي (مضر الحمراء) وأنما أتينا بهذه القصة على طولها لسببين أولهما لعلاقتهما بالأفعى ملك نجران وهو كما قدمنا أول خبر يصل إلينا مكتوبا يذكر فيه أن نجران مملكة ذات كيان، وثانيهما لطرافة قصة أبناء نزار وما اشتملت عليه من فراسة وقيافة لا زالت لها بقايا في عرب الصحراء. ويقص لنا الأخباريون قصة اعتناق آهل نجران الدين المسيحي، وهي قصة، (يشوبها) وان كانت مشوبة ببعض الأساطير في مجملها، وهي صحيحة في جوهرها إذ جاء الإسلام وآهل نجران نصارى، وظلوا كذلك حتى أخرجهم عمر. قال (ابن إسحاق) فملك حِمْير ذا نواس،وكان آخر ملوك حِمْير، وهو صاحب الأخدود-بنجران- وتسمى بيوسف،و بنجران بقايا من آهل دين عيسى بن مريم عليه السلام وكانوا أهل فضل واستقامة، ولهم رأس يقال له: عبد الله بن ثامر، وكان موقع ذلك الدين بنجران (أي من جزيرة العرب) وهي بأوسط ارض العرب في ذلك الزمان أهلها أهل أوثان، وذلك أن رجل من بقايا الملك يقال له: فيمون وقع بين ظهرانيهم فحملهم عليه فدانوا به، وكان فيمون رجلا صالحاً مجتهداً، زاهداً في الدنيا، مجاب الدعوة، وكان سائحا ينزل بين القرى، فلا يعرف بقرية إلا خرج منها، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه، وكان بناءً، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل شيئا، وخرج إلى فلاة من الأرض يصلي بها حتى يمسي. وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله مستخفياً، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح، فاحبه حباً لم يحبه قبله، فكان يتبعه حيث ذهب، ولا يفطن فيمون له، حتى خرج مرة في يوم أحد إلى فلاة كما كان يصنع، وقد تبعه صالح وفيمون لا يدري، فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً، وقام فيمون يصلي، فبينما هو يصلي اقبل نحوه التنين [1]، فلما رآها فيمون دعا عليها فماتت وصرخ صالح يا فيمون، التنين اقبل نحوك. فلم يلتفت إليه، واقبل على صلاته حتى فرغ منها، وعرف أنه عرف، وعرف صالح انه قد رأى مكانه فقال: يا فيمون، تعلم والله أني ما أحببت شيئاً قط حبك، وقد أردت صحبتك والكينونة معك حيث كنت، فقال فيمون: الآمر كما ترى، فإن علمت انك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح، وكان إذا ما جاء العبد الضر دعا له فشفى، وإذا دعي لأحد به ضر لم يأته، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شان فيمون فقيل له: انه لا يأتي أحداً دعاه، ولكنه رجل يعمل البناء، فعمد الرجل إلى إبنه، فوضعه في حجره وألقى عليه ثوباً، ثم جاءه فقال: يا فيمون، إني أردت أن

(١) الثعبان.

اعمل في بيتي عملا، فانطلق معي إليه، فانطلق، حتى دخل حجرته، فانتشط الرجل الثوب عن الصبي، ثم قال: عبد من عباد الله أصابه ما ترى، فادع له، فدعا له فقام الصبي ليس به بأس وعرف فيمون انه قد عرف، فخرج من القرية وتبعه صالح، فبينما هو يمشي إذ مر بشجرة فناداه منها رجل فقال: يا فيمون، قال نعم. قال: مازلت انتظرك وأقول متى جاء، حتى سمعت صوتك، لا ترح حتى تقوم علي، فأني ميت الآن، فمات وقام عليه حتى واراه، ثم انصرف وتبعه صالح، حتى وطئ ارض العرب فعدوا عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران وأهل نجران يومئذ على دين العرب، يعبدون نخلة طويلة لها عيد كل سنة، إذا كان العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه، وحلى النساء، فابتاع فيمون رجل من أشرافهم، وابتاع صالحاً رجل آخر. فكان فيمون إذا قام من الليل يتهجد في بيت اسكنه سيده إياه، واسرج له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح فرأى سيده ذلك فأعجبه فسأله عن دينه فاخبره به، وقال له فيمون: إنما انتم في باطل إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع، ولو دعوت عليها الهي الذي اعبده لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له، فقال له سيده: فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه، قال فقام فيمون فتطهر وصلى ركعتين، ثم دعا الله عليها فأرسل الله ريحاً جحفتها من أصلها فألقتها، فاتبعه أهل نجران على دين النصرانية فحملهم على دين الشريعة من دين عيسى بن مريم، ثم دخلت عليهم الاحداث التي دخلت على دينهم بكل ارض، فمن هناك كانت النصرانية بنجران في ارض العرب (قال ابن إسحاق) فهذا حديث بن وهب بن منبه من أهل نجران.

قصة أصحاب الأخدود: [١]

فلما صار عهد ذي نواس، وهو آخر ملوك حِمْير، وكان يهودياً، فسار إليهم بجنوده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل فخدّ لهم الأخدود فحرق من حرق بالنار، وقتل من قتل ومثل بهم حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفا، ففي ذي نواس وجنده أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود.......الآية) [٢]. وقد كانوا على دين النصرانية الحقة فنعتهم الله بالمؤمنين في سورة البروج [٣].

جاء ذكر الأخدود بنجران حيث وقعت حادثة الإحراق للمؤمنين:

١- ورد ذلك في كتاب المغازي – لوهب بن منبه.
٢- وفي سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم – لإبن هشام ص٥٠/٤٨.
٣- كتاب المغازي – لإبن إسحاق.
٤- كتاب الطبري- لإبن جرير الطبري ص ٣٧٩.
٥- كتاب البداية والنهاية- لإبن كثير ص ١٣٠/١٢٩.

القرى المحفوظة:

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم "القرى المحفوظة أربع مكة والمدينة وإلياء[٤] ونجران وما من ليلة إلا وينزل على نجران سبعون ألف ملك يسلمون على أصحاب الأخدود ولا يرجعون إليها بعد هذا أبداً ".

١- ورد ذلك في كتاب الفتن – لنعيم بن حماد (وهو من شيوخ البخاري).
٢- وفي عمدة الأخبار في مدينة المختار- للعلامة أحمد بن عبد الحميد العباسي.
٣- وفي كتاب آثار البلاد وأخبار العباد- زكريا محمد القزويني.
٤- وفي معجم البلدان- للحموي.
٥- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال- المتقي الهندي.

ذو نواس وثق المحرقة نقشا على جبل الحماطة (من جبال نجران) .

المكان آبار حمى الواقعة شمال نجران والتي تبعد عنها حوالي ١٠٠ كم
الزمان مورخ النقش في سنة ٦٣٣ بالتوقيت الحمير ي الموافق تقريبا لسنة ٥١٨ م

وقد سبق وترجم النص المستشرق البلجيكي (كونزاك) ريكما نز (ryckmans)

---

(١) وهكذا نجد نجران كانت موطنا خصبا لكافة الأديان والعقائد حيث عاشت فيها إلى جنب الوثنية واليهودية والنصرانية إلى أن جاء الإسلام خاتم الأديان لكافة الأنام ثم إن الجدير بالذكر أن كثيرا من الحملات الغازية لنجران كانت تأخذ في طريق محاولة سيطرتها على نجران الطابع العسكري طورا ومثال ذلك غزوة الملك اليمني ذو نواس والطابع السلمي طورا أخر (ومثال ذلك رحلة فيميون وصالح إلى نجران) وذلك عن طريق بث ما تدين به من عقيدة على ارض نجران وذلك كنوع من إيجاد عصبية دينية تربطها روحيا بنجران وسكانها ويسمح بالتدخل في شئون هؤلاء الإخوة لهم في الدين وهنا يتسنى لها مد نفوذها وسلطانها لعل هذا الاعتقاد هو الذي يفسر لنا تعدد الأديان في هذه البقعة من الأرض بالذات .{بحث ماجستير بعنوان : حركة الشعر في نجران، ف. رداد العتيبي}

(٢) بين مكة وحضرموت صــ ٣٢٩ـ.

(٣) مروج الذهب للمسعودي وبين مكة وحضرموت صـ ٣٥٢ـ.

(٤) اليا - أي بيت المقدس.

أستاذ أللغات السامية في جامعة (لوفان) حيث وفد مع (عبدالله فلبي) جون فلبي في الزيارة الثانية عام ١٩٥٠...... ونشره في مجلته .

وترجمة النص ....

((آمر بكتابة هذا المستند (يوسف ارسار ثيار ملك سبأ وريدان وحضرموت يمنت) داعيا إله السماء والأرض البركة عليه وعلى من معه من الأبناء والاقيال وهو يحمد الله على ما أولاه من النصر على أعدائه أهل نجران وفرَسَان ومن شايعهم من الأحباش إذ تمكن من هدم كنيستهم في نجران وظفر بقتل ١٢٥٠٠ رجل وسبي ١١٠٠٠ ومن الغنائم ٢٠٠الف رأس من الإبل والبقر والغنم وقام بكتابة هذا النقش

القيل شرح آل يقبل والاقيال وشعبهم من كندة ومراد ومذحج .

فليبارك الرحمن في ابنه شرحبيل يكمل وليعن أسار (أي الملك) وبني لهيعنت سادة (اليزنيين) كتب هذا النقش يشهر ذو المذراء سنة ٦٣٣ (٥١٨) م سائل رب السموات والأرض أن يحفظ هذا النقش من كل معتد وليظل اسم الرحمن (إله اليهود) محيطا به من أمامه ومن خلفه)) . [١]

النقش التاريخي على جبل الحماطة في نجران، الذي وثق المحرقة التي ارتكبها ذو نواس في الأخدود.

(١) مقالة للإستاذ على حسن آل مستنير بصحيفة صوت الأخدود الالكترونية.

أول من سكن نجران

يحدثنا ياقوت في معجم البلدان فيقول: قالوا، سمي بنجران بن زيدان بن سبأ، كان أول من عمرها ونزلها،، وهو المرعف إنما صار إلى نجران لأنه رأى رؤيا فهالته فخرج رائدا حتى انتهى إلى واد فنزل به فسمي نجران به، (أي سمي وادي نجران) وبعد ان يروي لنا قصة فيمون وابن ثامر، وخبر تحريق ذي نواس لأهل نجران، يقول وأما خبر الترمذي أن الملك كان كافراً وأن أصحاب الأخدود مؤمنين فصح إذا والله اعلم. ثم يقول: وفتح نجران في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنة عشر صلحاً على الفي (حلة) وعلى أن يقاسموا العشر ونصف العشر[1]. قال: أول من نزل نجران من بني الحارث بن كعب، يزيد بن عبد المدان، وذلك أن عبد المسيح زوجه ابنته، دهيمه، فولدت له عبد الله بن يزيد، فمات عبد الله فانتقل ماله إلى (أبيه) يزيد، فكان أول حارثي حل في نجران.
تشير المصادر التاريخية أن أول من استوطن نجران هم قبائل جرهم الأولى، وقد جاء في تاريخ الطبري من أنه وصل خبر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى نجران وأن بها من بني الأفعى أربعون ألفاً.
كما استوطنت نجران قديماً بعض القبائل العربية مثل : قبيلة مذحج وبني الحارث.
كانت قبيلة مذحج هي أقدم وأشهر القبائل العربية التي سكنت نجران وقد جاورهم فيها فخوذ من قبيلة "الازد" وبمرور الوقت أنصهروا في قبيلة مذحج.
ذكر المؤرخون العرب أن جمرات العرب ثلاث جمرات:
ضبة بن أد، وعبس بن بغيض، والحارث بن كعب وهم حكام نجران وقيل أن الجمرة ألف فارس وقيل أن أهل الجاهلية لا يسودون إلا من تكاملة فيه ست خصال: السخاء ، والنجدة ، والصبر ، والحلم ، والتواضع ، والبيان.
ومن هنا يتبين لنا أن الحضارة التي سادة في نجران في عصور ما قبل الإسلام ليست حضارة البناء والعمران بل عقلية ذلك الإنسان الذي صنع تلك الحضارة بحكمته وبراعته ورجاحة عقله وشيمه العربية الأصيلة التي طبقت الأفاق عند العرب في وقت لم تكن فيه وسائل الإعلام معروفة وكان الناس يتناقلون الأخبار من خلال الروايات.[2]

اشهر القرى بنجران[3]

... نذكر سرار وادي نجران وسوائل الجوف الصغار دون أعراضه فينتشر منها مواضع كثيرة فأسرار نجران شو كان والجوز والدَّران والحمدة والجلاليّان ونفحة ونعامان والبيران والحضن ويسكن هذه المواضع وداعة من همدان دون الحضن فإنه دار لوائلة بن شاكر بن بكيل وجيرة لهم من ثقيف وقابل يام رعاش وراحة ولباخة العليا ولباخة السُّفلى: ولبينان انقضى شقّ همدان.

ومن أوطان بلحارث: سوحان وميناان وبه تحصنت بنو الحارث عن العلويّ أيام اجلب عليهم بهمدان وخولان فلم يستقل منهم شيئاً والموفجة وذات عبر وعكمان والغيل وسرٌّ بني مازن من زبيد وصاغر وحضن بلي ورجلى وذبيان ومحضر وعرائس واليتائم والأرباط وأدوار حدير وقرقر وينقم والهجر وهي القرية الحديثة والهجر القديمة موضع الأخدود

(١) رسائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل نجران تشير إلى انهم لا يعشرون.
(٢) دخول نجران في العهد السعودي، د.علوي عمر فريد ص٣٨.
(٣) صفة جزيرة العرب.

نجران عبر التاريخ

الدراسات التي قام بها المستشرقون منذ نهايات القرن الثامن عشر وكذلك المسوحات التي أجرتها وكالة الآثار والمتاحف في منطقة نجران مؤخراً، تؤكد أن هذه المنطقة يمتد تاريخها إلى ما قبل الميلاد بمئات السنين، وتقف النقوش المسجلة على صخور الجبال والكهوف شاهد صادق على الحضارة التي عرفتها المنطقة منذ زمن بعيد.

أهمية نجران التجارية :

يتفق المؤرخون والجغرافيون الأوائل على أن العمق التاريخي والحضاري لنجران يعود إلى عاملين رئيسين:

الأول:

الموقع الاستراتيجي للمنطقة حيث كانت نجران تتوسط الطرق الرئيسية للتجارة البرية التي ازدهرت منذ الألف الثاني قبل الميلاد فما من قافلة تجارية آتية من جنوب الجزيرة العربية ومتجهة صوب الشمال والعكس إلا وتمر بنجران.

وتشير المصادر إلى ثلاثة طرق رئيسية للتجارة كانت جميعها تمر عبر نجران وهذه الطرق هي:

طريق يبدأ من قنا (حصن الغراب) بحضرموت، ويتفرع منه فرعان: يتجه الأول شرقاً على امتداد وادي ميفعة ومنه إلى شبوة ويتجه الثاني من قنا إلى وادي حجر، ثم بوادي أرماح، فشبوة ، ومنها إلى نجران ثم يتجه منها شمال شرق إلى قرية الفاو "قرية ذات كهل" ثم الأفلاج واليمامة حيث يتفرع منه طريقان يتجه أحدهما شرقاً نحو الخليج العربي والآخر شمالاً إلى وادي الرافدين وبلاد الشام.

طريق يبدأ من جنوب غرب الجزيرة العربية حيث كان يمر بممالك سبأ ومعين وقتبان وحمير ومن هنالك إلى نجران ومنها يتجه إلى (العلا) ثم إلى مدين (البدع) ومنها يتفرع إلى فرعين أحدهما يتجه إلى بلاد الشام والآخر إلى غزة ثم يتجه غرباً إلى مصر.

طريق يبدأ من حضرموت ويتجه إلى نجران ومنها إلى واحة يبرين ثم يواصل سيره إلى الجرهاء "القرية" ميناء خربة الفاو على الخليج العربي ومنها إلى العراق أو يتجه من يبرين إلى اليمامة . [١]

وقد اكتسبت نجران أهميتها كونها بوابة العربية السعيدة إلى الحجاز ونجد بحكم موقعها على طريق القوافل التي كانت تنقل عروض التجارة من البخور والصمغ والتوابل والعقيق وتعود إليها محملة بمنتجات فارس والشام واليونان. [٢]

الثاني :

خصوبة المنطقة ووفرة مياهها وكان هذا العامل داعماً للعامل الأول حيث عزز من موقع نجران الاستراتيجي وجعلها من أهم وأفضل المحطات التجارية على طريق القوافل التجارية البرية القديمة وذلك لاعتماد تلك القوافل على الجمال كوسيلة رئيسية لنقل السلع والأفراد ومن ثم حاجتها الشديدة إلى المؤن والزرع والمياه لتتمكن من مواصلة رحلاتها هذا ما كانت نجران الخصيبة توفره لتلك القوافل خصوصاً عندما نعلم أن (بطليموس) قد ذكر أن نهراً عظيماً سماه "لار" كان ينبع من الجانب الشرقي لنجران ثم يسير نحو الجهة الشرقية مخترقاً بلاد العرب ليصب في الخليج العربي فضلاً عما كان فيها من آثار عديدة لم تزل آثارها باقية إلى اليوم.

أهمية نجران الدينية:

---

(١) دخول نجران في العهد السعودي، د.علوي عمر فريد ص٤٧.

(٢) نجران في أطوار التاريخ . محمد العقيلي، ص ١٥.

لا شك أن هذا الموقع الاستراتيجي المتميز لنجران كان أحد العوامل التي أسهمت في جعل المنطقة مركزاً تجارياً وزراعياً متميزاً وحيوياً في الجزيرة العربية كما جعل منها منطقة جذب للثقافات والديانات القديمة حيث تشير المراجع التاريخية إلى أن (النصرانية) قد عرفت طريقها إلى نجران عن طريق التجار الذين كانوا يقيمون فيها بعض الوقت أثناء عبور قوافلهم إلى محطاتها النهائية بينما تشير مراجع أخرى إلى أن النصرانية دخلت نجران على يد مبشر نصراني يدعى (فيمون أو قيمون) قدم من شمال الصحراء العربية وأقام في نجران ونشر النصرانية بين سكانها فأقبل على اعتناقها أبناء الطبقة العليا وأصحاب السلطة في البلاد وغيرهم من الطوائف ...

وتشير المصادر التاريخية إلى أن (آل عبد المدان) من بني الحارث بن كعب المذحجيون .. أقاموا في نجران بناء أسموه (كعبة نجران) وتعهدوا لمن يأتي إليها خائفاً أن يعطى الأمان، ولطالب الحاجة بأن تقضى حاجته وللمسترفد بأن يرفد ويعطى.
وقد قال الأعشى فيها شعراً:

فكعبة [1] نجران حتم عليك ... حتى تناخي بأبوابها
تزور يزيداً وعبد المسيح ... وقيسا وهم أربابها
وشاهدنا (الفل) (والياسمين) ... والمسمعات بقصابها [2]
وبربطنا [3] دائم معمل ... فأي الثلاثة أزرى بها
إذا الحبرات [4] تلوّثْ بهم ... وجروا أسافل هدابها

وتشير المصادر التاريخية إلى أن (نجران) قد تحولت إلى مركز للديانة المسيحية بعد حادثة (الأخدود) حيث اعتبرها الأحباش الذين سيطروا على جنوب الجزيرة العربية بعد القضاء على دولة حمير قبل أن يقضي عليهم سيف بن ذي يزن بمساعدة الفرس عام ٥٧٥م، والأخدود هي المدينة التي استشهد أهلها دفاعاً عن عقيدتهم النصرانية فشيدوا فيها عدة كنائس منها كنسية المسيح عليه السلام ، وكنيسة السيدة العذراء ، وكنيسة الشهيد الحارث. [5]

---

(١) عن أبن الكلبي: أنها كانت قبة من أدم من ثلاثمائة جلد، كان إذا جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قـُضيت، أو مسترفد أرفد، وكان لعظمها عندهم يسمّونها كعبة نجران، وكانت لعبد المسيح بن دارس بن عدي بن معقل، وكان يستغل من نهر نجران عشرة آلاف دينار، وكانت القبة تستغرقها ... وتقع شرق نجران على مسافة (٤٠) كيلاً من مدينة الأخدود، وفيها عن مدينة الأخدود انحراف إلى الشمال، في أسفل وادي نجران حين يتسع حتى يصبح خبتاً أفيح تنداح عنه الجبال وتأخذ في الانخفاض حتى تتلاشى عند المنقطع، فيفضي إلى السهول الواسعة التي كانت تسمى " الغائط " ويبدو أن نهر نجران كان يسقي هذه السهول، وأنها هي التي كانت تغل عشرة آلاف دينار. وآثارها رموس لا تدل على عظمة بناء، وتقع في سفح جبل صخري في جَلـَد من الأرض، ويسمى جبلها (تصـْـلاَل) وهو يشرف عليها من الشمال وفيه وقور كالقدور لمسك الماء. (من كتاب بين مكة وحضرموت) ص ٣٥٣.

(٢) القصاب – الناي.

(٣) بربط – عود الغناء.

(٤) الحبرات – البرود نوع من اللباس.

(٥) دخول نجران في العهد السعودي، د.علوي عمر فريد ص٤٩.

سكان نجران القديمة:

تشير المصادر التاريخية أن أول من استوطن نجران هم قبائل جرهم الأول ، ومنهم العاقب والسيد والأسقف الذين وفدوا على النبي (صلى الله عليه وسلم) وكانوا من بني الأفعى سكان نجران.

وقد جاء في تاريخ الطبري من أنه وصل خبر وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى نجران وأن بها من بني الأفعى أربعون ألفا.

كما استوطنت نجران قديماً بعض القبائل العربية مثل : قبيلة مذحج ونبي الحارث.

كانت قبيلة (مذحج) هي أقدم وأشهر القبائل العربية التي سكنت نجران وقد جاورهم فيها فخوذ من قبيلة "الازد" وبمرور الوقت أنصهروا في قبيلة مذحج وانتسبوا لها وقد اشتهر منهم (حارثة) وهو جد (الحارث بن كعب) الذي أصبح لعشيرته السيادة في نجران وأعمالها وقد استمرت السيادة على نجران في يد (بني الحارث) إلى أن انتقلت إلى أسرة جديدة وتنتمي للقبيلة نفسها عرفت بـ(بني ديان) أو (زيان)، ومن أبنائه (عبد المدان) الذي كان أباً أو جداً لـ (يزيد بن عبد المدان) الذي قابل الرسول (صلى الله عليه وسلم) واعتنق الإسلام في السنة العاشرة للهجرة.

وضلت عشيرة (آل عبد المدان بن الحارث) التي تنتسب إلى قبيلة (مذحج) تتعاقب السيادة والرئاسة في نجران حتى القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين) ثم تلاشت ولم يعد لها ذكراً.

ذكر المؤرخون العرب أن جمرات العرب ثلاث جمرات:

ضبة بن أد، وعبس بن بغيض، والحارث بن كعب وهم حكام نجران وقيل أن الجمرة ألف فارس وقيل أن أهل الجاهلية لا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال: السخاء ، والنجدة ، والصبر ، والحلم ، والتواضع ، والبيان.

ومن هنا يتبين لنا أن الحضارة التي سادة في نجران في عصور ما قبل الإسلام ليست حضارة البناء والعمران بل عقلية ذلك الإنسان الذي صنع تلك الحضارة بحكمته وبراعته ورجاحة عقله وشيمه العربية الأصيلة التي طبقت الأفاق عند العرب في وقت لم تكن فيه وسائل الإعلام معروفة وكان الناس يتناقلون الأخبار من خلال الرويات. [١]

وممن اشتهر من أهل نجران بحكمته "الأفعى بن الأفعى الجرهمي" الذي احتكم إليه أبناء نزار فوزع تركة أبيهم بينهم وخطيب العرب قس بن ساعدة الإيادي ، والقائد جرير بن عبد الله البجلي وزبيد بن الحارث اليامي راوي الحديث الثقة الزاهد، وطلحة بن مصرف اليامي أمام قراء الكوفة وغيرهم من الرجال الذين برزوا على مر العصور مما يؤكد العمق الحضاري للإنسان الذي عاش في وادي نجران واستطاع أن يبهر من حوله بانجازاته منذ آلاف السنين.

قبائل يام:

بدأت قبائل (يام) في التوافد إلى (نجران) مع غيرها من بطون قبيلة همدان منذ القرن الثالث الميلادي إذ مع نهاية هذا القرن أصبحت (يام) كلها تسكن (نجران) وأصبح لها مع قبائل (وادعة) منذ ذلك الحين وزن وكلمة في نجران تساوي وزن وكلمة قبيلة (الحارث بن كعب) وقد اشتهرت (يام) بقادتها وشعرائها وعلمائها في الجاهلية والإسلام حيث كانت تدعى في الجاهلية بـ (قتلة جبانها) وذلك لأنهم يقتلون الرجل الجبان منهم، حتى لا يولد فيهم فيتفشى الجبن بينهم بينما كانت تدعى في الإسلام بـ (يام القرى) ومع مرور السنين تمكنت (يام) من نجران حتى أصبح اسمها ملازما لها فلا تذكر نجران إلا ويذكر معها يام وبالتالي صارت (نجران) التي كانت عاصمة بنو الحارث المذحجيون – هي ديار يام حتى وإن امتدت شرقاً وشمالاً مسافات بعيدة.

---

(١) دخول نجران في العهد السعودي، د.علوي عمر فريد ص٣٨.

قبائل أخرى:
ومن القبائل التي استوطنت نجران منذ القدم قبائل : جرهم ، ونهد ، ووادعة ، وقد جاءت هذه القبائل إلى نجران بعد خراب سد مأرب وتحالفت مع بني الحارث بن كعب من (مذحج) وظل هذا الحلف حتى دخول الإسلام نجران، وجرهم ونهد ينتسبان إلى قبيلة عربية كبيرة هي (قضاعة) التي يتفرع منها (الضجاعمة) وهم أول من حكموا بالشام إلى أن تمكن الغساسنة من التغلب عليهم والاستئثار بالحكم أواخر القرن الخامس الميلادي.

عناصر سكانية أخرى:

تشير المصادر إلى أن هناك عناصر سكانية أخرى – غير عربية شاركت القبائل العربية سالفة الذكر- في استيطان (نجران) قديماً ، منها : الفرس ، والأفارقة ، ، والأحباش ، والروم ، والصقالبة وغيرهم.
وكان قدوم هذه العناصر السكانية إلى نجران في العصور القديمة أمراً عادياً ، نظراً إلى أنها قد عرفت قبل الإسلام ، "الديانة النصرانية"، وكانت أحد المراكز الدينية لها.

١- شخصيات من تاريخ نجران
دريد ويزيد بن عبد المدان

جاء رجل من ثاملة عبد الله بن الصمة وهلك عبد الله وقام الرجل في جوار دريد[١].
وأغار أنس بن مدركة الخثعمي على بني جشم فأصاب مال الثمالي وجيرانا لدريد آخرين. فتراخى دريد عن طلب القوم. لانشغاله بحرب من يليه [٢].ولما ألح عليه جاره قال: أمهلني عامي هذا، خرج ليلة فسمع الثمالي يترنم بشعر فأنصت فإذا هو يقول:

كساك دريد الدهر ثوب خزاية	**وجدعك الحامي حقيقة أنس**
دع الخيل والسمر الطوال لخثعم	**فما أنت والرمح الطويل وما الفرس**
وما أنت والغزو المتابع للعدا	**وهمك سوق العود والدلو والمرس**
فلو كان عبد الله حياً لردها	**وما أصبحت ابلي بنجران تحتبس**
ولا أصبحت عرسي بأشقى معيشة	**وشيخ كبير من ثاملة في تعس**
يراعي نجوم الليل من بعد هجعة	**إلى الصبح محزونا يطاوله النفس**
وكنت وعبد الله حيا وما أرى	**أبالي من الأحياء من قام أو جلس**
فأصبحت محزونا هضيما لفقده	**وهل من نكير بعد حولين تلتمس**

(١) دريد بن الصمة من جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن.
(٢) كانت بنو الحارث بن كعب قد استولت على نجران وتملكته قبل الإسلام بقرون ونجران تقع في قلب ديار مذحج والتي ينتسب إليها الحارث بن كعب ولما كانت هذه القبيلة بدوية ذات خيل وشاء وغزو ورعي فقد اتخذت لها مكانا يبعد عن القرى المأهولة ذا صفاء صحراوي يلائم بيئتها ويصلح للرعي وليس يبعد عن الزرع (قريبا من جبل تصلال) (كتاب بين مكة وحضرموت صفحة ٢٣٠)عاتق بن غيث الحربي

فلم ينته إلى سماع آخر الابيات إلا وكأن الارض قد ساخت به. وبات دريد لم يغمض له جفن إلى الصباح. واراد الغارة لاسترداد ما فقد على جاره فإذا الوقت لا يؤاتيه فشاور ذوي الرأي من قومه فقالوا له: ارحل إلى يزيد بن عبدالمدان فان أنساً قد خلف المال والعيال بنجران. فقال دريد. سابعث اليه بمدحه ثم انظر مكانتي من الرجل فانشأ هذه الابيات وبعثها إلى يزيد

بني الديان ردوا مال جاري ... وأسرى في كبولهم الثقال
وردوا السبي ان أشئتم بمن ... وأن شئتم مفاداة بمال
فانتم آهل عائذة وفضل ... وأيد في مواهبكم طوال
متى ما تمنعوا شيئا فليست ... حبائل أخذه غير السؤال
فأولوني بني الديان خيراً ... اقر لكم به أخرى الليالي

فلما بلغ يزيد شعره قال: وجب حق الرجل فسار إليه دريد فأكرمه يزيد واحسن مثواه. وفي أثناء وجود دريد بنجران وفي مجلس من مجالس يزيد خيم عليه الصفاء بين الرجلين قال دريد: أبا النضر - كنية يزيد - رأيت منكم خصالا لم أرها من أحد من قومكم؟ منها تفرق أبياتكم. قال يزيد: تفرق أبياتنا للغيرة على النساء. فقال دريد:و رأيت أن إنتاج خيلكم قليل، قال يزيد: أما قلت نتاجنا من الخيل فنتاج هوازن يكفينا. قال دريد: ورأيت سرحكم يجيء متأخرا، قال يزيد: فينا الغرائب والأرامل فتخرج المرأة إلى ما تريد فلا يراها أحد. قال دريد: اسمع صبيانكم يتناغون في الليل، قال يزيد: أننا نبدأ نسقي الخيل المحض قبل الصبيان.

قال دريد: - أقبلت طلائعهم - فقلت يا يزيد: من أين جاء هؤلاء فقال يزيد: هذه طلائعنا، لا نسرح ولانصطبح حتى يرجعوا إلينا قلت ما ظلمكم من جعلكم جمرة العرب. وقال دريد يمدح:

مدحت يزيد بن عبد المدان ... فاكرم به من فتى ممتدح
حللت به دون أصحابه ... فأورى زنادي لما قدح
ورد النساء بأطهارها ... ولو كان غير يزيد فضح
فقلت له بعد عتق النساء ... وفك الرجال ورد اللقح
أجر لي فوارس من عامر ... فاكرم بنفحته إذ نفح
وما زلت اعرف في وجهه ... بكرى السؤال ظهور الفرح

هذه بعض أحوال أهل نجران في الجاهلية الجهلاء وحروبهم مع إخوانهم من العرب وبعض المثاليات التي كانوا يتصفون بها. وهي نمط رفيع من المثاليات العربية الصميمة. والقيم الأخلاقية الرفيعة. إن نجران كانت تدين بالنصرانية - حين ذاك - ومع مثالياتها العربية وتقاليدها القبلية. فكان لها نظامها الكهنوتي وشرعتها الدينية. فكان لها (نظامها) ونهجها الخاص في الأحوال الشخصية وفوق كل ذلك فهناك هيئة دينية عليا تدبر أمورهم...... وبما أن الإنسان صورة حية لمعتقده وتجسيد لدينه، فقد كان لأهل نجران مع تقاليدهم العربية نظامهم

الـديني يحكـم سـلوكهم ويضـبط تصـرفاتهم ويحـدد واجبـاتهم بالنسـبة إلـى الفـرد إزاء أسـرته أو مجتمعه [١].

(١) نجران في أطوار التاريخ صـــ ٦٧-٧٩فحه.

شخصيات من تاريخ نجران ٢

قصة عبدالله بن ثامر[١]:

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها: أن أهل نجران كانوا أهل شرك، يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران - (نجران: القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد) ساحراً يعلم غلمان "أهل" نجران السحر، فلما نزلها فيميون ولم يسموه لي باسمه الذي سماه به وهب بن منبه، قالوا: رجل نزلها- ابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى فيميون الساحر يعلمهم السحر، فبعث إليه الثامر أبنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه، ويسمع منه، حتى اسلم فوحد الله وعبده، وجعل يسأله عن الشرائع، حتى إذا فقه ذلك جعل يسأله عن الاسم الأعظم، وكان يعلمه، فكتمه إياه، وقال له: يا ابن أخي، انك لا تحتمل أخشى عليك ضعفك عنه، والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه، وتخوف ضعفه فيه، عمد إلى الأقداح فجمعها، ثم لم يبق لله أسماً يعلمه إلا كتبه في قداح سهم - ولكل قدح اسم- حتى إذا أحصاها أوقد ناراً ثم جعل يقذفها فيها قدحاً قدحاً، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه، فوثب القدح منها حتى خرج منها لم يضره شيئاً، فأخذه ثم أتى به صاحبه فاخبره قد علم الاسم الذي كتمه. فقال:قد أصبته فامسك على نفسك، وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن ثامر إذا دخل نجران لم يلق أحد به ضرر إلا قال له: يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني أدعو الله فيعافيك مما أنت فيه؟ فيقول نعم، فيوحد الله ويسلم، ويدعو له فيشفى. حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه وقال له:أفسدت علي أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائي، لا مثلن بك. قال لا تقدر على ذلك، قال: فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ليس به بأس، ثم جعل يبعث به إلى مياه نجران، بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك، فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه قال له عبد الله بن ثامر: انك والله - لن تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فإنك أن فعلت ذلك سُلطت علي فقتلتني قال: فوحد الله، وشهد شهادة عبد الله بن ثامر، ثم ضربه بعصا في يده شجه شجة غير كبيرة فقتله، ثم هلك الملك مكانه. واستجمع أهل نجران على دين عبد الله، وكان ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه، فمن هناك كان أصل النصرانية بنجران. ثم يعقب ابن إسحاق قائلاً: فهذا حديث محمد بن كعب القرُظي، وبعض أهل نجران عن عبد الله بن ثامر والله اعلم أي ذلك كان. ونقول بصرف النظر عن هذه القصص فإن في هذه الرواية عنصرين لا شك في صدقهما. وجود النصرانية هناك التي بقيت حتى جاء الإسلام، ووجود شخص اسمه عبد الله بن ثامر، وأن له دوراً كبيراً في نشر النصرانية هناك.

---

(١) بين مكة وحضرموت صــ٢٢٩ــ.

شخصيات من تاريخ نجران ٣

قس بن ساعدة الإيادي[١]

حكيم العرب

يعد من الشخصيات الشهيرة في تاريخ الأدب العربي.[٢]

يقول صاحب كتاب البداية والنهاية (ابن كثير) كان الجارود بن المعلى بن حنش بن معلى العبدي نصرانيا حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها عالما بسير الفرس وأقاويلها بصيرا بالفلسفة والطب ظاهر الدهاء والأدب كامل الجمال ذا ثروة ومال وأنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وافدا في رجال من عبد القيس ذوي آراء وأسنان وبيان فأسلم وأسلم معه أناس من قومه فسر النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامهم وأظهر من إكرامهم ما سروا به وابتهجوا ثم أقبل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أفيكم من يعرف قس بن ساعدة الإيادي [٣] فقال: الجارود فداك أبي وأمي كلنا نعرفه وإني من بينهم لعالم بخبره واقف على أمره. كان قس يا رسول الله سبطا من أسباط العرب عمر ستمائة سنة تقفر منها خمسة أعمار في البراري والقفار يضج بالتسبيح على مثال المسيح لا يقره قرار ولا تكنه دار ولا يستمتع به جار كان يلبس الأمساح ويفوق السياح ويفر من رهبانيته يحتسي في سياحته بيض النعام ويأنس بالهوام، ويستمتع بالظلام، يبصر فيعتبر، ويفكر فيختبر، فصار لذلك واحدا تضرب بحكمته الأمثال، وتكشف به الأهوال أدرك رأس الحواريين سمعان. وهو أول رجل تأله من العرب ووحد، وأقر وتعبد. أيقن بالبعث والحساب، حذر سوء المآب، وأمر بالعمل قبل الفوت، ووعظ بالموت وسلم بالقضاء، على السخط والرضا، وزار القبور، وذكر النشور، وندب بالأشعار، وفكر في الأقدار، أنبأ عن السماء والنماء، وذكر النجوم، وكشف الماء ووصف البحار وعرف الآثار وخطب راكبا، ووعظ دائبا، وحذر من الكرب، ومن شدة الغضب ورسل الرسائل، وذكر كل هائل أرغم في خطبه، وبين في كتبه، وخوف الدهر، وحذر الأزر، وعظم الأمر، وجنب الكفر يشوق إلى الحنيفية، ودعا إلى اللاهوتية. وهو القائل في يوم عكاظ شرق وغرب، يتم وحزب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب، وشموس وأقمار، ورياح وأمطار، وليل ونهار، وإناث وذكور، وبرار وبحور، وحب ونبات، وآباء وأمهات، وجمع وأشتات، وآيات في أثرها آيات، ونور وظلام، ويسر وإعدام، ورب وأصنام، لقد ظل الآنام، نشو مولود ووأد مفقود، وتربية محصود وفقير وغني، ومحسن ومسئ- تبا لأرباب الغفلة، ليصلحن العامل عمله وليفقدن الآمل أمله، كلا بل هو إله واحد ليس مولود ولا والد، أعاد وأبدى وأمات وأحيا، وخلق الذكر والأنثى، رب الآخرة والأولى.

---

(١) أسقف نجران قس بن ساعده الأيادي بن عمرو بن عدي بن مالك بن أيدعان بن النمر بن وائله بن الطمثان بن عوذ مناه بن أفصى وينتهي نسبه إلى نزار قيل :

أفصح من قس بن ساعده

ابلغ من قس بن ساعده

أبين من قس بن ساعده

أول من اتكأ في خطبته على سيف او عصاء

أول من قال (من فلان إلى فلان)

أول من استخدم عبارة (أما بعد) {بحث ماجستير بعنوان : حركة الشعر في نجران، ف. رداد العتيبي}

(٢) نجران الواحة والإنسان صـ ٧١ ـ نقلاً عن البداية والنهاية لأبن كثير.

(٣) قبل ظهور الإسلام كانت نجران مجرد ابريشية للنصارى، ومن اشهر أساقفتها قس بن ساعدة الإيادي الخطيب العربي المشهور الذي أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله " رحم الله قس سيبعث أمة وحده" – جريدة الوفاق – عسير- تركي الطلحي.

أما بعد: فيا معشر إياد، أين ثمود وعاد؟ أين الآباء والأجداد؟ وأين العليل والعواد كل له معاد يقسم قس برب العباد، وساطع المهاد، لتحشرن على انفراد في يوم التناد، إذا نفخ في الصور ونقر في الناقور، وأشرقت الأرض ووعظ الواعظ فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ، فويل لمن صدف عن الحق الأشهر، والنور الأزهر، والعرض الأكبر في يوم الفصل، وميزان العدل، إذا حكم القدير، وشهد النذير، وبعد النصير، وظهر التقصير، ففريق في الجنة وفريق في السعير وهو القائل:

ذكر القلب في جواه ادكار ... وليال خلالهن نهار

وسجال هواطل من غمام ... ثرن ماء وفي جواهن نار

ضوءها يطمس العيون وارعاد ... شداد في الخافقين تطار

وقصور مشيدة حوت الخير ... وأخرى خلت بهن قفار

وجبال شوامخ راسيات ... وبحار مياههن غزار

ونجوم تلوح في ظلم الليل ... تراها في كل يوم تدار

ثم شمس يحثها قمر الليل ... وكل متابع موار

وصغير واشمط كبير ... كلهم في المعيد يوم مزار

وكبير مما يقصر عنه ... حدسة الخاطر الذي يحار

فالذي قد ذكرت دل على الله ... نفوسا لها هدى واعتبار

قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مهما نسيت فلا أنساه بسوق عكاظ واقفا على جمل أحمر يخطب الناس: اجتمعوا فاسمعوا، وإذا سمعتم فعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات وأحياء وأموات، ليل داج وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وضوء وظلام، وليل وأيام، وبرد وآثام، إن في السماء خبرا وإن في الأرض عبرا يحار فيهن البصر، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تغور، وبحار لا تفور، ومنايا دوان، ودهر خوان، كحد الفسطاس، ووزن القسطاس.

أقسم قس قسما لا كاذبا فيه ولا آثما لأن كان في هذا الأمر رضى، ليكونن سخط ثم قال:
أيها الناس إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه وهذا زمانه وأوانه ثم قال:

مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بعض أصحابه فقال: أيكم يروى شعره لنا فقال أبو بكر: فداك أبي وأمي أنا شاهد له في ذلك اليوم حيث يقول:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر

لمـــــا رأيـــــت مـــــواردا	للمـــوت لـــيس لهـــا مصـــادر
ورأيــــــت قــــومي نحوهـــــا	تمضـــــي الأصـــاغر والأكـــابر
لا يرجـــــع الماضــــــي إلــــي	ولا مـــــن البـــــاقين غـــــابر
أيقنــــــت أنـــــي لا محالـــــة	حيـــث صـــار القـــوم صـــائر

كتب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لأهل نجران

كتاب رسول الله صلوات الله عليه لأهل نجران
بسم الله الرحمن الرحيم، هـذا مـا كتب محمد النبي الأمي رسول الله لنجران أن كـان عليهم حكمه في كل ثمـرة وكـل صفــراء وبيـضــاء ورقيق فافضل عليهم وترك ذلك كلـه علـى ألفي حلة، في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة و ذكر شروطــه إلــى أن أشــهد أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمر ومالك بن عوف من بني نصر و الأقرع بن حـابس الحنظلي و المغيرة [١]
وكتب للأسقف هذا الكتاب ولأساقفة نجران بعده
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي للأسـقـف أبـي الحـارث وأساقفة نجران وكهنتهم و رهبانهم و كل ما تحت أيديهم من قليل وكثير جوار الله ورسوله لا يغير أسقف من اسقفيته و لا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا ما كانوا عليه من ذلك، جوار الله ورسوله أبدا ما أصلحوا ونصحوا عليهم غير مبتلين بظلم ولا ظالمين وكتب المغيرة بن شعبه [٢].
كتاب رسول الله لأهل نجران [وهو أطول و اكثر تفصيلا من سابقة]
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبي " صلوات الله عليه " لنجران أن كان عليهم حكمه في كل ثمرة وصفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فافضل عليهم وترك ذلك كله ألفي حلة حلل الأواقي في كل رجب ألف حلة وفي كل صفر ألف حلة كل حلة اوقية وما زادة حلل الخراج أو نقصت عن الاواقي فبالحساب وقصوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب وعلى نجران مثواة رسلي شهر فدونه ولا يحبس رسلي فوق شهر وعليهم عارية ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا، اذا كان كيد اليمن ذو مغدرة [٣]، وما هلك مما أعاروا رسلي من خيل او ركاب فهم ضمن حتى يردون اليهم ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمه محمد رسول الله على انفسهم وملتهم وارضهم واموالهم وغائبهم وشاهدهم وعيرهم وبعثهم وأمثلتهم لا يغير ما كانوا عليهم ولا يغير حق من حقوقهم وأمثلتهم ولا يفتن أسقف عن أسقفيته ولا راهب عن رهبانيته ولا واقه عن وقاهيته على ما تحت أيديهم من قليل و كثير وليس عليهم رهق ولا دم جاهليه ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقا بينهم النصف غير مظلومين ولا ظالمين ومن أكل منهم ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئه، ولا يؤخذ منهم رجل بظلم رجل آخر، ولهم على ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله [صلى الله عليه و اله وسلم] أبدا حتى يأتي أمر الله ما نصحوا وأصلحوا فيها عليهم غير مكلفين شيئا بظلم.
شهد أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمر ومالك بن عوف من بني نصر والأقرع بن حابس الحنظلي و المغيرة... كتب كتاب رسول الله " صلى الله عليه وسلم " إلى أهل نجران "علي بن أبي طالب" [١][٤]

(١) ص ٥٥ ابن كثير ج ٥ (البداية و النهاية) الطبعة الأولى.
(٢) ص ٥٥ ابن كثير ج ٥ (البداية و النهاية) الطبعة الأولى.
(٣) مغدرة : يعني إذا كان بغدر منهم.
(٤) متحف نجران.

يام في الجاهلية –١- جشم

أولد يام بن (أصبا) جشم ومذكر، فولد جشم دؤول(ويخفف فيقال الدول) وصعباً. فأولد دؤل سلمة، فوّلد سلمة ذهلاً والنمر، وسلمه بن سلمه، فمن ذهل الحكم بن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الكريم بن جحدب بن ذهل بن الحارث بن ذهل -كان من فرسان الجماجم، وزبيد بن الحارث بن عبد الكريم الفقيه، وطلحة بن عمرو بن كعب بن جحدب بن معاوية بن سعد بن الحارث بن ذهل الفقيه وكان من أئمة القراءة، وعبد العزى بن سبع بن النمر بن ذهل شاعر جاهلي، وابنه مدرك بن عبد العزى شاعر ايضاً وهو القائل:

وأنـــي لكـــم أن تبلغـــوا مجـــد يامنـــا وأرحـــب حتـــى ينفـــذ التـــرب ناقلـــه

فهـــم اصـــل همـــدان الوثيـــق وفرعهـــا قـــديماً واعلـــى هضـــبها واطاولـــه

ومن يام العقار بن سليل بن ذهل بن مالك بن الحارث بن ذهل بن سلمة بن دؤل بن جشم بن يام قاتل مشجعة الجعفي، وكان بين جعف ويام ولث [٢] وصلت فكانت إذا أجدبت رعت بلد يام، وإذا أجدبت يام رعت بلاد جعف، فلما نزل العقار بلاد جعف حال مشجعة بن المجمع بن مالك بن كعب بن عوف بن خريم بن جعفي بن سعد بينه وبين الرعي فقال العقار: فأين العهد بيننا ؟ قال له مشجعه: لجفنة من حيس بارد احب إلى من عهد يام... فقال له: إلا جعلته سخنا! ثم انطلق إلى امرأة رجل من جعفي كانت تبيع الخمر، وكان يقال لزوجها ذيبان بن باديه وكان له عندها فرس مرهون على أربعة أبعرة، فضمن أن يبعث إليها بالأبعرة وسألها أن تعطيه الفرس، ففعلت فاخذ الفرس فركبه، وقد كان بعث بماله مع خدمه، ثم أتى مشجعة ومعه حربة فطعنه بها وأخرجها من بين كتفيه فقتله، فتبادرت إليه جعفي فسبقهم ركضاً، فقال في ذلك العقار شعراً:

لـــم يبقـــى مـــن خبـــر الجعفـــي باقيـــه الا المـــــاثر والاقطـــــاع والـــــدرس

ردي إليـــك جمـــال الحـــي فـــاحتملوا فـــانهم مـــن نفـــوس القـــوم قـــد يئســـوا

لمـــا رأونـــا نمشـــي فـــي ديـــارهم كمـــا تمشـــي الجمـــال الجلـــة الشـــمس

مثـــل الليـــوث عـــدت يـــوم لمعتـــرك عنـــد اللقـــاء وتقصـــيد القنـــا حـــرس

لا يســـمع الصـــوت منـــا غيـــر غمغمـــة بـــالبيض تضـــرب هامـــا فوقهـــا القـــنس

أمـــا حليلـــة ذبيـــان فقـــد كرمـــت فـــي الفعـــل منهـــا فلـــم تـــدنس كمـــا دنســـوا

جـــاءت بمـــا ســـئلت لمـــارأت جزعـــي مـــن فـــوق أعـــيط فـــي لحظاتـــه شـــوس

منحـــت مشـــجعة الجعفـــي مرهقـــة كأنهـــا حـــين جـــازت صـــدره قـــبس

ظلـــت كـــرائم جعفـــي تطيـــف بهـــا هيهـــات مـــن طالبيـــه ذاك مـــا التمســـوا

وقال أيضا:

---

(١) قال يحيى بن آدم وقد رأيت كتابا في أيدي النجرانيين كانت نسخته شبيهة بهذه النسخة، وفي اسفل كتب علي بن أبي طالب - كتاب فتوح البلدان لأبي عباس أحمد بن جابر البلاذري ص ٨٧-٨٨.

(٢) ولث – أي عهد.

نحـــن بنـــو يـــام ونحـــن الدفقـــة / ســـائل بنـــا مقاعســـاً وصعصـــعة
وســـيد الحـــي الـــرأس مشـــجعة / منحتـــه ذات غـــرار مردعـــة
جـــادت لـــه منيـــة مفجعـــة

وقد يدعي بنو نهد قتل مشجعة، والخبر ما ذكرنا وأنما سمي العقار لأنه شهد وقعة لهمدان وبعض أعدائهم، فحلف ألا يقتل في ذلك اليوم أحدا، فجعل كلما لقي فارساً ضربه ضربة خفيفة حتى عقر نحو من ثلاثين فارساً فسمي من ذلك اليوم بالعقار[١].

يام في الجاهلية –٢- مذكر

أولد مذكر بن يام هبرة ومواجد (وهم أحلاف) والغز- تحالفا (هبرة ومواجد) على الغز. فولد مواجد الاسلوم وبغيضة وجحدباً ورافده، منهم عبيد الأجدع ومنهم بني سلمان بن حبيب بن مواجد الفقيه، وحبيب بن مواجد ممن شهد حرب خولان، والوازع بن معاوية مالك بن أحزم بن هبرة بن مذكر الشاعر. ومنهم الحارث بن موزع كان شريفاً. والاسلومي اليامي الشاعر قال:

وتركـــة شـــرب الـــراح وهـــي ايثـــرة / والمومســـات وتـــرك ذلـــك اشـــرف

وعففـــت عنـــه تكرمـــا / وكـــذلك يفعـــل ذو الحجـــر المتعفـــف

وكان الابتداء بقوله:

ســـالمت بعـــد طـــول فظاظـــة / والسـلم أبقـى فـي الأمـور واعـرف

ومن يام بيت يقال لهم آل ذي الحاجة، وبني مقاحف (بطن من حبب) ومن يام سمير الفرسان وهو مختلس حباشة عمر بن معدي كرب، وذلك أن عمرو بن معد يكرب لما غزا خولان فدخل الحقل وفض حصن غنم وجل الأموال واجتاح الضنين وقدم تلك الغنائم مع عميه سعد وشهاب، فعرض لهما سمير في جمع من يام فقتلهما وعدة معهما من بني زبيد واخذ ما كان في أيديهما، فبعث عمرو إلي سمير يتوعده، فقال سمير في ذلك شعراً:

أيرســـل عمـــر بالوعيـــد ســـفاهة / إلـــي بظهـــر الغيـــب قـــولاً مرجمـــا

ليســـمع أقوامـــا مـــا لـــيس مقـــدما / عليـــه وقـــد رام اللقـــاء فأحجمـــا

فـــأن شـــئت ســـمير فلاقـــه / وعجـــل ولا تجعـــل منـــك تهممـــا

فســـوف تلاقيـــه كميّـــا مـــدججا / حميـــا إذا مـــاهم بـــالأمر حســـما

فـــإن لقيتنـــي أصـــبحك موتـــا معجـــلاً / كفعلـــي بعميـــك اللـــذين تقـــدما

وســـوف أريـــك المـــوت يـــا عمـــرو جهـــرة / فتنظـــر يومـــا ذا صـــواعق فطلمـــا

ومن يام أيضا أبو جسيس الجواد، ومن شعراء يام عاصم ابن الاسفع، والشرقي ابن عمرو وكانت يام تدعى في الجاهلية " قتلة جبانها" وفي الإسلام "يام القرى" وكان فيهم جبان في الجاهلية يقال له أنيب فحلفوا إلا يولد له ولد فيهم أبدا وحلفوا على قتله.فقال لهم رجل: ويحكم أخصوه ولا تقتلوه، فأنه لا يولد له ولد إذا كان خصياً، فلا تحنثوا في أيمانكم. فشاع

(١) الإكليل في معارف همدان وأنسابها من صـ٧٥ـ، إلى صـ ٧٨ـ، (الجزء العاشر).

في همدان، فكرهت أن تذهب يام بهذا الذكر دونهم، فقالوا لهم: خذوا من كل قبيلة سهماً فارموه بجميع السهام، وإلا حلنا بينكم وبينه فأجابوهم إلى ذلك فبعث إليهم من كل قبيلة بسهم، ثم صيروه هدفاً وجعلوا يرمونه ويقولون: لله سهماً ما نبا عن أنيب حتى يوارى نصله في منشبٍ. ومر فتى من أهل الكوفة بالحجاج وهو يعرض الجند، فأعجبه فقال: ممن أنت يا فتى؟ قال: أنا من قوم لم يكن فيهم جبان. وقال: الحجاج أنت إذا من يام. قال أنا منهم [1].

زبيد بن الحارث اليامي
راوي الحديث الثقة الزاهد

أما زبيد بن الحارث اليامي فقد وصفه ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٤ فقال عند ذكر بني يام وهم رهط الرجل الصالح زبيد اليامي وهو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن جخدب بن ذهل بن سلمة بن دؤل بن جشم بن يام بن أصبى وكان ابن أخيه الحكم بن عبد الرحمن من فرسان يوم دير الجماجم وطلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب الرجل الصالح أيضاً وهو ابن عم زبيد وكانا متعاقبين وكان طلحة عثمانياً وكان زبيد علوياً ولم يجر قط بينهما في ذلك كلمة خشنة إلى أن ماتا رحمهما الله. ولطلحة ابن يسمى محمد ضعيفاً في الحديث وأما طلحة وزبيد ففي غاية الثقة والزهد والفضل.

وتحدث عنه الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله في المجلد الخامس ص ٢٩- ٣٩ من كتابه (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) فقال: ومنهم ذو الخشية والمهابة والتوكل والقناعة كان بالدنيا وعروضها مستهيناً، وللقرآن وفروضه مستبيناً، أبو عبد الرحمن زبيد بن الحارث اليامي. قال إسماعيل بن حماد كنت إذا رأيت زبيداً مقبلاً من السوق وجف قلبي. وعن قراد بن نوح قال سمعت شعبة يقول ما رأيت رجلاً خيراً وأفضل من زبيد وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل وجدت في كتاب أبي بخط يده أخبرت عن سفيان قال: كانت جارية أعجمية لزبيد. فكان زبيد إذا فرغ من صلاته قال سبحان الملك القدوس فتقول الجارية روزماد- تعني جاء النهار... وعن فضيل قال دخلت على زبيد اليامي وهو مريض فقلت شفاك الله فقال أستخير الله.

أن المنذر أبا عبد الله من أهل الكوفة قال:
قال لي محمد بن سوقة لو رأيت طلحة وزبيداً لعلمت أن وجودهما قد أخلفنا سهر الليل وطول القيام كانا والله ممن لا يتوسد الفراش. قال المؤلف أدرك زبيد اليامي جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وأنس توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة وقيل في سنة ثلاث وعشرين في أولها.
قال حنبل سمعت أبا نعيم يقول مات زبيد سنة اثنتين وعشرين ومائة وكان طلحة أكبر من زبيد بعشر سنين واستوفى زبيد عشر سنين قبل أن يموت.
وجعله ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى في الطبقة الثالثة حيث ذكر في المجلد السادس ص ٣٠٩ عن
دار الفكر كلاماً منه:
" قال يحيى بن أبي بكير عن نعيم بن ميسرة قال: قال سعيد بن جبير: لو خيرت عبداً ألقى الله في صلاحه اخترت زبيداً اليامي.
وقال أبو نوح قراد سمعت شعبة يقول: ما رأيت بالكوفة شيخاً خيراً من زبيد ".
رحم الله زبيداً،،،

طلحة بن مصرف اليامي [2]

---

(١) الإكليل في معارف همدان وأنسابها من صـ ٧٨ إلى ٨٠ ـ (الجزء العاشر).
(٢) طبقات بن سعد ٦/ ٣٠٨، حلية الأولياء ١٤/٥، سير أعلام النبلاء ١٩١/٥.

إمام قراء الكوفة

هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب، بن جخدب بن معاوية بن سعد بن الحارث بن ذهل بن سلمة بن دؤل بن جشم بن يام من همدان، ويكني أبا عبد الله، وكان قارئ أهل الكوفة يقرأون عليه القرآن، فلما رأى كثرتهم عليه كأنه كره ذلك لنفسه فمشى إلى الأعمش فقرأ عليه فمال الناس إلى الأعمش.. قال أخبرنا علي بن عبد الله بن جعفر حدثنا سفيان قال: قلت لابن أبجر من أفضل من رأيت؟ فسكت هنيهة ثم قال: يرحم الله طلحة. وأخبرنا طلق بن غنام النخعي قال: حدثنا مالك بن مغول عن طلحة فقال: انتهيت أنا وهو إلى زقاق فتقدمني فيه ثم التفت إلى فقال: لو أعلم أنك أكبر مني بساعة أو قال بيوم ما تقدمتك. قال موسى بن قيس: كان الياميون ينبهون صبيانهم ليلة سبع وعشرين، يعني طلحة وزبيداً، أي في شهر رمضان. وعن الحسن بن عمرو قال: وخرج طلحة مع من خرج من قراء الكوفة إلى الجماجم أيام الحجاج. وتوفي بعد ذلك. قال يحيى بن أبي بكير: سمعت شعبة يقول كنت في جنازة طلحة فقال أبو معشر زياد بن كليب وأثنى عليه: ما ترك بعده مثله وكان ثقة له أحاديث صالحة. وذكر الذهبي قال: قال ابن عيينة عن أبي جناب، سمعت طلحة بن مصرف يقول شهدت الجماجم فما رميت، ولا طعنت ولا ضربت، ولو وددت أن هذه سقطت هاهنا ولم أكن شهدتها.

" دولة بنو الزريع في عدن"

لما قتل الصليحي تغلّب بني معن على عدن فحاربهم المكرم وأخرجهم منها وولاها العباس ومسعود بني الكرم بن زريع بن جشم بن يام الهمداني فجعل للعباس باب التعكر وباب البر وما يدخل منه وجعل لمسعود حصن الخضراء وباب البحر وما يدخل منه. (١) واستحلفهما للسيدة أروى [على] أن يسوق كل منهما إليها خمسين ألف دينار في كل عام. (٢) ثم كانا واليا عدن من قبل الحُرة وقد قتلا على باب زبيد [في واقعة الكظائم].وتولى أمر عدن بعدهما أبو السعود بن زريع بن العباس وأبو الغارات بن مسعود. (٣) فلما فكرا في التغلب على ارتفاع عدن حاربهما المفضل واستخلص نصف ارتفاع عدن، ولما مات المفضل تغلب أهل عدن على النصف الثاني، فصار إليهم أسعد بن أبي الفتوح وصالحهم على الربع، ثم تغلب أهل عدن على الربع الباقي بعد ثورة الفقهاء. (٤) وكان بنو زريع رؤساء همدان وهم من جشم ثم من يام ابن اصبا وكان لجدهم زريع بن العباس جهاد واجتهاد في قيام الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن في عهد الملك علي بن محمد الصليحي وابنه المكرم واليهم يرجع الفضل في مساعدتهم ضد الدولة النجاحية. (٥) وكان منصور ابن المفضل ابن أبي البركات الحميري مستولياً على ذي جبلة وملك بني المظفر في اشيح وحصونهم بعد وفاة أبيه المفضل سنة ٥٠٤هـ وكان يدين بالطاعة إلى الملكة الحرة حتى وفاتها سنة ٥٣٢هـ. وبعد ذلك استولى على ما كان تحت يدها من حصون وذخائر وأموال. ولما تقدمت به السن وصار لا يقدر على حماية هذه الحصون من الطامعين، واعيته الشيخوخة عن التحرك، باع حصون بني الصليحي ومدنهم سنة سبع وأربعين وخمسمائة، وهي ثمانية وعشرون حصناً ومدائن، منها مدينة ذي جبلة وحصن التعكر وذي اشرق واب، وقد ابتاعها المتوج محمد ابن سبأ ابن أبي السعود الزريعي (الجشمي) بمئة ألف دينار. وطلق منصور زوجته الصليحية الأميرة اروى [وهي أروى الصغرى] (٦) فتزوجها الملك محمد بن سبأ فانتقلت حصون آل الصليحي وذخائرهم وما ورثت الأميرة أروى الصليحية من الثروة إلى محمد بن سبأ الزريعي ثم إلى أبنه عمران بن محمد بعد وفاة أبيه في سنة ستين وخمسمائة. فقوى نفوذ الملك محمد بن سبأ الزريعي تبعاً لذلك وطاش فرحاً لما صار إليه من المال والقوة والمعاقل والعقائل (٧) "...ولم تقف عرقلة الحافظ عبد المجيد للدعوة اليمنية عند هذا الحد، بل اتصل ببني زريع في عدن واستعان بهم في نشر الدعوة باسمه. وكان القائم منهم في هذا الوقت هو سبأ بن أبي السعود الزريعي الجشمي (اليامي) الذي نصبه داعياً له في اليمن (٨). وكان السلطان سبأ بن أبي السعود يظهر الدعوة إلى الحافظ. وقد ذكر انه لم يجب عبد المجيد ويدعو إليه إلا تقية وخوفاً فخاف سطوته وصولته وعدوانه، وأنه كان باقياً على طاعة الإمام الطيب أبي القاسم (٩). ولكنه (أي الحافظ) حرص على أن تكون له دعوة في اليمن فكتب إلى السلطان سبأ ابن أبي السعود الزريعي صاحب عدن أن يقيم له الدعوة فأجابه إلى ذلك ومعه الهمدانيون في صنعا [وهم ملوك صنعاء بني حاتم] وان كانوا يظهرون ذلك تقية بينما هم يأتمرون بأمر

---

(١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٦٤، (حاشية).
(٢) اليمن عبر التاريخ ص ٢٠٤.
(٣) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص١٦٤، (حاشية).
(٤) تاريخ المذاهب الدينية في اليمن ص ١٨٧.
(٥) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص١٩١، (حاشية).
(٦) (الأميرة اروى بنت علي بن عبدالله بن محمد الصليحي) اما الملكة فهي اروى بنت احمد بن محمد بن القاسم الصليحي ص٢٤٠ .

(٧) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن صـ ٢٤١/٢٤٠ـ، (حاشية).
(٨) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص١٩١، (حاشية).
(٩) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص١٩١، (حاشية).

السيدة الحرة [1].كما أستمال الحافظ الزريعي للدعوة له أطلق عليه لقب الداعي، وظل هذا اللقب ملازماً لخلفائه من بعده[2]

قائمة سلاطين آل الزريع [3].

العباس بن الكـــــرم (٤٧٠-٤٧٧) [أ].
المسعود بن الكـــــرم (٤٧٠-٤٨٠) [ب].
زريع بن العبـــاس (٤٧٧-٤٨٠) [جـ].
أبو الغارات بن مســـعود (٤٨٠-٤٨٥).
أبو السعود بن زريـــــع (٤٨٠-٤٩٤).
محمد بن أبي الغـــارات (٤٨٥-٤٨٨).
علي بن محمد بن أبي الغارات (٤٨٨-٤٨٩)[د].
سبأ بن أبي الســعود (٤٨٩-٥٣٣)[هـ].
محمد بن سبـــــأ (٥٣٣-٥٥٠).
عمران بن محمــد بن سبأ (٥٥٠-٥٦٠) [و].
====================

[أ] ولاه المكرم حصن التعكر وما يليه من البر وتعاقب على ذلك أولاده من بعده.
[ب] ولاه المكرم حصن الخضراء وما يليه من البحر ومدينة عدن وتعاقب على ذلك أولاده. (وقد سبق للعباس أن اشترك في حملة المكرم على بني نجاح بزبيد لإنقاذ أمه أسماء بنتن شهاب من الأسد).

[جـ] قاتل مع المفضل ابن أبي البركات قائد جيش المكرم ومعه عمه المسعود ابن الكرم الزريعي في غزوة زبيد وقتلا في المعركة عام ٤٨٠هـ.

[د] هو أخر أولاد المسعود بن الكرم الزريعي وقد اختط مدينة الزعازع بلحج [4].

[هـ] تحارب مع ابن عمه علي بن محمد ابن أبي الغارات قرابة عامين وانتهت الحرب بانتصار سبأ واستيلائه على كامل المنطقة، وقد قلده الخليفة الفاطمي بمصر الدعوة وسمي بالداعي سبأ المعظم، وقد أحاط بمن بقي من أبناء علي بن محمد بن أبي الغارات وقتلهم جميعاً، وقال عماره أن مكارم سبأ اكثر من أن تحصى وقد توفى على السيرة المرضية بحصن الدملوه عام ٥٣٣هـ.

[و] لقب بالمكرم وكان ذا كرم فياض ويقول الجنري أن مكارمه اكثر من أن تحصى، ومن آثاره الباقية المنبر بجامع عدن واسمه مكتوب عليه، وقد توفى عن ثلاثة أولاد كلهم صغار هم محمد

---

(١) المذاهب الدينية في اليمن ص١٨٦.
(٢) تاريخ المذاهب الدينية في اليمن ص١٨٧.
(٣) اليمن عبرالتاريخ ص ٢٠٥/٢٠٦.
(٤) ... ومن الاتفاقات العجيبة أن بلال بن جرير الحمدي (قائد جيش الداعي سبأ) افتتح الحصن بعدن في اليوم الذي افتتح فيه سبأ (حصن) الزعازع فأرسل كل منهما بشير إلي الآخر.
قلت وفي ذلك يقول علي بن زياد المازني:

خلـــت الزعـــازع مـــن بنـــي مســـعود	**فعهــــودهم عنهـــا كغيـــر عهـــود**
حلـــت بهـــا آل الزريـــع وإنمـــا	**حلـــت أســـود فـــي مقـــام أســـود**

هدية الزمان في أخبار ملوك لحج وعدن صـ ٥٧ .

وأبو السعود ومنصور - كفلهم الأستاذ أبو الدّر جوهر المعظمي القائم بحصن الدملوه حيث دفن عمران وأبوه محمد بن سبأ، وقد بقي هذا الحصن بيد جوهر حتى باعه من السلطان شمس الدولة توران شاه الأيوبي.

....وكان السبب في استيلاء الداعي سبأ بن أبي السعود وزوال ابن أبي الغارات أن نواب علي بن ابي الغارات انبسطت أيديهم على نواب الداعي سبأ وعاثوا وافسدوا ولم ينههم مولاهم عن ذلك ولم يزالوا يتكلمون بما يوجب الغيظ... [1] ". ولم يلبث سبأ أن جمع جموعاً من همدان وجنب وأسعد، وعنس، وخولان، وحمير، ومذحج وغيرهم وهبط من الجبال، (من الدملوه) فنازل القوم بوادي لحج. وللداعي بهذا الوادي قرية، مسورة، يقال لها بني آبه ونزلها، ولبني عمه مسعود بهذا الوادي مدينة كبيرة يقال لها الزعازع، مسورة أيضاً فخيم كل منهم بمدينته ثم اقتتلوا أشد القتال.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وحدثني الداعي محمد بن سبأ قال كنت في طلائع الداعي (سبأ) فظهر لنا علي بن الغارات، وعمه منيع بن مسعود، ولم تحمل الخيل افرس من الاثنين ولا أشجع. فانهزمنا فأدركنا منيع بن مسعود. فقال لي: يا صبي قل لأبيك يثبت فلا بد اليوم عشية من تقبيل الجشميات[2] اللاتي في مضاربه فلما أخبرت والدي بذلك ركب بنفسه، وقال لمن حضر من آل الذئب وهم بنو عمه الأدنون: أن العرب المستأجرة لا تقدر على حر الطعان، ولا يمسك النار إلا موقدها فألقوا بني عمكم، فأصطلوها بأنفسكم، وإلا فهي الهزيمة، فالتقى القوم فحمل منا فارس، على منيع بن مسعود فطعنه طعنة شرم بها شفته العلياء، وأرنبة انفه. وكثر الطعن بين الفريقين، والجلاد بالسيوف، و عقر الخيل، والعرب المحشودة ناظرة، ثم حملت همدان، ففرقت بين الناس، وتحاجز القوم. لان وادي لحج اقبل دافعا بالسيل، فوقفوا على عدوتي الوادي يتحدثون فقال الداعي أو غيره لمنيع بن مسعود: كيف رأيت تقبيل الجشميات، يا أبا مرافع ؟ فقال منيع وجدته كما قال المتنبي:

والطعن عند محببيهن كالقبل [3]

فلم يزال الناس يستحسنون هذا الجواب من منيع لأن الشاهد وافق الحال [4]....ثم غزا آل زريع إلى الجوه فالتقى معه المفضل بن زريع يحمى بني سلمه. فطعن ابن (النجيب) نجيب الدولة، وكان جعد الفراسة، سقط إلى الأرض، فطعنه عبد لمسعود بن زريع، يقال له مسافر، وحمل الطوق الهمداني على مسافر فقتله... وكان جوشنه قد سقط، ووقع على الارض في هذه المعركة، فقال مفضل بن زريع لأبن (النجيب) نجيب الدولة لما سقط جوشنة:

مضى هارباً ناسياً جوشنه مخافة يام بأن تطعنه

وليس من الموت ينجي الفرار كذلك ترى الأنفس المؤمنة[5]

---

(١) هدية الزمان في أخبار ملوك لحج وعدن ص٥٥.

(٢) قوله انه لا بد من تقبيل الجشميات اللائى في المضارب غدا يشير إلى النساء عند حصول الاستيلاء عليهن مع الغلبة .(الجشميات نسبة إلى جشم جد قبيلة مشهورة من بني يام)(خلاصه العسجد صفحة ٣٢٧)

(٣) قال عبد الرحمن البهلكي " لله دره كيف وقع له الاستحضار عند ملاقاة الأخطار". (خلاصه العسجد صفحة ٣٢٧)

(٤) تاريخ اليمن لعمارة ص ٦٨/٦٧.

(٥) تاريخ اليمن لعمارة ص ٥٩.

وبقية عدن في ملك بني زريع اليامبين حتى ازالهم عنها (توران شاه) بن أيوب ولم يبقى بعد ذلك بأيدي (بني زريع) إلا حصون (حب) و(الدملوه). إلى أن حاصرهم فيها الملك العزيز (طغطكين) وكان فيها (جوهر المعظمي) مولى (لبني زريع) وولدي سيده (عمران بن محمد بن سبأ).

ولما ضاق بجوهر الخناق من طول الحصار وتأكد أنه لا بقاء له وراء الحصن الذي هو بداخله، اتفق مع (العزيز) وباعه له بعشرة آلاف دينار من الذهب ثم ركب البحر الى الحبشة ومعه حريم مواليه بني (زريع).

دولة بنو حاتم في صنعاء

وكان الملك المكرم قد ولى على صنعاء القاضي عمران بن الفضل اليامي الهمداني أحد أقطاب الدولة الصليحية " كان يلقب بقاضي همدان" أيام سكون المكرم بذي جبلة، ثم عزله عنها، وكان ذلك من الأسباب التي كانت بها المباعدة بينه وبين القاضي عمران، وفي ذلك يقول القاضي عمران يخاطب المكرم و سبأ أبني أحمد الصليحيان:

ولا تجرحـــا بـــالعزل أكبـــاد معشـــر	**إذا غضـــبوا عـــل القنـــا وتكســـرا**
فلـــو أن مولانـــا معــــداً أتاكمـــا	**بعـــزل تـــولى الكـــل منـــا وأدبـــرا**
فـــلا تفرقـــا مـــن لفـــه والـــداكما	**وعـــودا إلـــى عقليكمـــا وتـــدبرا**
فـــإن أنتمـــا أنكرتمـــا مـــا نظمتـــه	**فصـدقي غـداً مـن طلعـة الشـمس أزهـرا**

ولكن ما لبث أن عادت المياه إلى مجاريها مرة أخرى بعد وفاة الملك المكرم لأن القاضي عمران حارب النجاحيين في عهد الملكة الحرة وقتل في معركة الكظائم (١). وبعد وفاة السلطان أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي خرجت صنعاء من الدولة الصليحية. واستولي عليها السلطان حاتم بن الغشم المغلسي الهمداني وناصرته قبائل همدان وصارت بعده إلى ابنه عبد الله بن حاتم ثم إلى أخيه معن بن حاتم ثم خلعته همدان وولت مكانه كلاً من هشام وحماس ابني القبيب الهمداني. ثم اختارت همدان السلطان حاتم بن أحمد (المجيدي) بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني بأمر صنعاء وأعمالها. وملكها بعده ابنه علي بن حاتم اليامي.... فاتسعت رقعة دولة الهمدانيين على معظم اليمن الأعلى في عهد السلطان علي بن حاتم اليامي حتى أزاله وأخيه السلطان بشر بن حاتم اليامي الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب (٢) ولما رأى السلطان علي بن حاتم اليامي (*) صاحب صنعاء وما يليها ميل الناس إلى الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي الهمداني وإقبالهم عليه، داخلته المنافسة وخاف منه على ملكه واخذ يستميل همدان ببذل المال وضاعف إليهم العطاء حتى دخل في طاعته احمد بن الحبير الهبري، وكان ممن يثق فيهم الداعي حاتم، وممن اخذ عليه أكيد أيمانه وعهده، فطلب هذا إلى السلطان أن يقدمه على همدان وتمكن علي بن حاتم من جلب كثيرين ممن كان مع الداعي حاتم في كوكبان، فخرج من الحصن وأتصل بمشائخ هبرة في لولوة وريعان، فقصدهم الملك علي بن حاتم اليامي لمحاربة الداعي وأنصاره من بني هبرة وكتب في نفس الوقت إلى الداعي حاتم " يعاتبه ويلاطفه " ويقول: اظهر دينك، واجمع أهل دعوتك، ولا تفرق همدان وتحملهم على العداوة والشنآن، وضمن ذلك شعراً، فأجابه الداعي حاتم بقصيدة جاء فيها:

أتـــاني مـــن أبـــي زيـــد كتـــاب	**تضـــمنه مـــن العتبـــى فنـــون**
فكـــن فـــي امرنـــا حكمـــا وعـــدلاً	**فأنـــت لكـــل مكرمـــة خـــدين**
مقالـــك فيمـــا تصـــدع عـــود يـــام	**وأنـــت بلـــم شـــملهم قمـــين**

(١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٣٧\١٣٨/٢٣٩.

(٢) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٢٣٩.

(*)وحط الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب على حصن جب وفيه يومئذ السلطان زياد بن حاتم بن علي بن سبا الزريعي الجشمي اليامي الهمداني فحاصره ما يقارب سنة كاملة وأرسل زياد بن حاتم الزريعي من جب إلى السلطان علي بن حاتم يستنجده ويستعين به فجمع السلطان علي بن حاتم همدان ومن أجابه من القبايل وجاء بعسكر وافده ومعه أخوه بشر بن حاتم بن احمد (كتاب جلاء الأفكار) لمحمد عبد الله سليمان المكرمي.

أمـــــا والمصـــــــطفى أنـــــي ليـــــام	**بمـــــالي والـــــذي احـــوي أصــــون**
وانــــــتم ياغطــــــارف شـــــم يــــــام	**مكـــــانكم مـــــن العليـــــاء مكـــــين**
لكـــم فـــــي الـــدعوة الغــــراء قـــدماً	**ســــوابق كلمــــا نشـــــرت تــــزين**
ولكــــــن حلـــــتم عنهــــا فمــــنكم	**لهـــا الضـــــد المعانــــــد والقـــــرين**
فـــــإذا انـــــتم رجعــــتم واســـــتقلتم	**فقـــــد لاح الصـــــباح المســــتبين**
ووالـيـــــتم إمـــــام العصــــــر صـــــدقاً	**صـــفا مـــا بيننـــا المـــاء المعـــين[١]**

قائمة سلاطين بني حاتم ". [٢]

حاتم بن علي الهمـداني (٤٩٢-٥٠٢).
(ابنه)عبد الله بن حـــاتم (٥٠٢-٥٠٥).
معن بن حـــاتم [أ] (٥٠٥-٥١٠).
هشام بن القبـــيب (٥١٠-٥١٨).
حماس بن القـــبيب (٥١٨-٥٢٧).
حاتم بن أحمد عـمران [ب] (٥٣٣-٥٥٦).
علي بن حاتم بن احمد [جـ] (٥٥٦-٥٦٩).
==============

[أ] - خلعه احمد بن عمران بن الفضل اليامي بعد أن جمع قبائل همدان في محل يدعى (مصب الدروع) بهمدان، وجعل الأمارة في بني القبيب وهم هشام وحمّاس فتقدما إلى صنعاء وحاصرا معن بن حاتم في الدرب الذي كان يعرف بـ (درب القطيع) بأعلى صنعاء حتى خرج على يد القاضي احمد بن عمران إلى حصن براش.
وكان حمّاس أميراً مطاعاً وفارساً شجاعاً وهو الذي غزا بلاد جنب بذمار فقتل منهم مقتلة عظيمة، ولما حضرته الوفاة جمع اخوته وهم أبو الغارات وعامر ومحمد وحثهم على الألفة وجمع الكلمة، وأوصاهم بان يجعلوا أميرهم أبا الغارات بن أبي الفتوح، وان يعاهدوه على الطاعة فخانوا ذلك وتفرقوا واختلفوا فيما بينهم حتى عزلهم أهل صنعاء.

[ب] - أقامه أهل همدان سلطانا بعد موت حمّاس بن القبيب بست سنوات وبقي (بصنعاء) حتى جاء احمد بن سليمان[٣] فغادرها إلى الروضة، ثم سعى المغرضين بينه وبين احمد بن سليمان حتى بدأ الخلاف من جديد وناصرته همدان في معركة الرحبة - شمال صنعاء بينه وبين أصحاب احمد بن سليمان ودخل حاتم صنعاء فكان احمد بن سليمان غائب بذمار فأسرع بالعودة، وكانت معركة (القليس) في صنعاء أسفرت عن هزيمة احمد بن سليمان ، لتصدع حدث في صفوف جيشه، ومنها توجه إلى صعدة سنة ٥٤٦ هـ ثم عاد في سنة ٥٥٠ هـ وتمكن من احتلال صنعاء. بعد معارك عظيمة بينه وبين حاتم بن أحمد أسفرت عن هزيمة حاتم وأصحابه.(وكان قد قال حاتم قبل ذلك مخاطباً احمد بن سليمان)

أبـــا الـــورق الطلحـــي تأخـــذ أرضــــنا	**ولـــم تســـتحر تحـــت العجـــاج رمـــاح**

(١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٢٧٣.
(٢) اليمن عبر التاريخ ص٢١٠.
(٣) و هو الامام الزيدي.

وتأخـذ صـنعاء وهـي كرسـي ملكنـا ونحـن بـأطراف الـبلاد شـحاح

ثم لما عرف السلطان حاتم عجزه عن المقاومة طلب الأمان لنفسه وانشد يقول:

غلبنـا بنـي حـوى باسـاً وشـدة ولكننـا لـم نسـتطع غلـب الـدهر

فـلا لـوم فيمـا لا يطـاق وإنمـا يـلام الفتـى فيمـا يطـاق مـن الأمـر

ولما احتدم الأمر بينهما خرج السلطان المذكور لمحاربة المتوكل فلقيه في مكان يقال له (الشزرة) ودارت بينهما معركة حامية وعنيفة. قتل فيها عدد ضخم من همدان من كل الجانبين في سنة ٥٥٢هـ دخل على آثرها احمد بن سليمان صنعاء في شهر رمضان من نفس السنة. حتى استعادها السلطان ثانياً عام ٥٥٣هـ بعد أن انظم إليه معظم أهل همدان. وبعد أن ساعده آل (زريع) الياميون بعدن. [١]

[جـ] - بايعته همدان بعد والده وأقام بحصنه (بوادي ظهر) ثم ثارت ضده بعض القبائل من (همدان) بزعامة رجل من آل القبيب يدعى علي بن محمد بن حمّاس بصنعاء فاتجه إليهم معه جمع كبير من القبائل فاخمد ثورتهم وسيطر على الدرب.[٢]

وفي عام ٥٥٤هـ غزت جيوش (عبد النبي بن علي بن مهدي الرعيني الحميري) بعض الحصون والمعاقل التابعة لسلاطين (آل زريع) اليامين بعدن. فطلب هؤلاء السلاطين من السلطان (حاتم بن احمد اليامي) الذي يحكم صنعاء في ذلك الوقت النجدة والمساعدة. فجمع السلطان (علي بن حاتم) جيشاً ضخما من (همدان) ومن (سنحان) وبعض من الحقل، وتحصب، ورعين، وخرج بهم في شهر صفر سنة ٥٦٩هـ حتى تقابل مع جيوش عبد النبي في تعز واستطاع أن يستولي على كل جنود (عبد النبي) تقريباً بعد أن هزمه هزيمة ساحقة [١].

وفي هذا انشأ عبد النبي متمثلا بقول الشاعر: [٢]

واعلـم بنّـي بـأن كـل قبيلـة سـتذل أن نهضـت لهـا قحطـان

أما عن ابن السلطان على بن حاتم اليامي وهو السلطان حاتم فقد اخذ الحكم في صنعاء عن والده المذكور. لكن الملك (العزيز) الأيوبي لم يتركه يهنا بحكمه كثيرا، فقد دخل الملك العزيز الأيوبي إلى اليمن وتمركز بجيشه في تعز استعداد لغزو صنعاء وكان مقيدا باتفاقية وقعها مع والده السلطان قبل ذلك، فانتظر حتى انتهى ميعاد الهدنة، فأحس السلطان حاتم اليامي بما يدبره الملك العزيز الأيوبي، فأرسل وفدا لتجديد الهدنة ومدها، فقبل الملك ذلك وربطها بشروط خاصة رفضها السلطان بشر بن حاتم الذي كان على رأس الوفد المفاوض، وقال للملك: (أيها الملك أن اختلفت على أخي أتأمن اختلافي عليك) فاسترجحه الملك لقوله الحكيم ورد عليه " لو أن بشر ساعدني على الحلفة لملكته صنعاء وبلاد همدان " ولكن الملك العزيز الأيوبي غضب بعد ذلك

(١) نجران الحديث ص ٣٣.
(٢) اليمن عبر التاريخ ص٢١١.

غضبا شديدا عندما علم أن بعض من في الوفد قال: " كيف تملكه شيئا هو يرى انه له. وانتظر سنة هي مدة الهدنة ثم زحف بجيوشه الجرارة فاخذ (ذمار) و (جهران) ودانت له قبائلها، وملك الحصون والمدن بجميع اليمن الأسفل، ثم زحف ناحية صنعاء فاخذ حصن (الشبح) ثم استولى على (صنعاء) في شهر شوال عام ٥٨٥هـ، وظل يطارد السلاطين آل حاتم حتى قصدوا حصونهم (بذ مرمر) ونواحيها، فلاحقهم الملك وحاصرهم في هذه الحصون مدة طولية لكنه تركهم بعد أن يئس من الحصار الغير مجدي ثم زحف فاستولى على حصن (عزان بن شهاب) وقتل فيه السلطان (حاتم بن سعيد اليامي) ابن عم سلاطين آل حاتم ثم استولى بعد ذلك على (الغصين) وصعد إلى جبل الظلمة وتمركز بقوته هناك فنصب المجانيق وشد الخيام، وعندما استولى على (الغص الكبير) و (الغص الصغير) كان فيهما أولاد السلطان (بشر بن حاتم اليامي) عمر وعلوان فاعتقلهما وأرسل ما معهما من حريم إلى حصن (ذ مرمر)، كما انه اعتقل أخاهما الثالث (علي بن بشر) عندما أغار على صنعا مع مجموعة من فرسان آل حاتم فلقيته خيول الأيوبيين فقاتلوه حتى أسروه. وظل الثلاثة سجناء عند الملك الأيوبي المذكور حتى تعبوا تعبا شديداً فكتب (علي بن بشر) إلى أبيه يخاطبه: كي يفعل أي شي لفك أسرهم:

أمولاي ما أسري بديع فلم يزل   كذا الناس مأسور وآخر آسر

فان ظفر المولى بنا وبحصننا   فلله مظفور ولله ظافر

مليك عزيز لا يعيرنا به   لسان مذل للجبابر قاهر

فلا غرو كم مليك قهرنا وماجد   أسرنا وأعطتنا المقاد العشائر

على ذا ممر الدهر عسر ومبدل   بيسر قضته حكمة ومقادر

فلا تحسبن أني جزوع لما   جرى وحقك أني صادق العزم صابر

وما أنا أخشى غير قول أراذل   أوالِدُهُمْ عن فكهم متقاصر

وما شعروا أن العظائم كلها   كبار وأن هالت إليك صغائر

بسعد عليٍّ ملك همدان ترتجي   وسعدك أن تنجاب عنا الدياجر

فما أن لنا الا كما يعد ربنا   وعطفا من المولى معين وناصر

وواصل الملك العزيز حملاته فحاصر حصن كوكبان وكان فيه السلطان عمرو بن علي بن حاتم اليامي. ويقول في ذلك صاحب (نموذج ملوك اليمن): أن قوة الملك العزيز الأيوبي التي هاجم بها حصن كوكبان فقط كان قوامها حوالي آلفا وخمسمائة مقاتل ومائة فارس خيال، وقد بلغت خسائر جنود الملك العزيز الأيوبي في هذا الحصن فقط حوالي آلف قتيل، أما من داخل الحصن من همدان واتباع آل حاتم اليامين حوالي خمسمائة قتيل أنهار الحصن بكامله عليهم فدفنهم تحت أنقاضه. أما حصن (ذي مرمر) فيقال أن جيوش الملك العزيز الأيوبي ظلت محاصرة له حوالي أربع سنوات، وكان فيه السلطان علي بن حاتم نفسه لكن الملك العزيز تركه بعد أن عرف انه لا فائدة من الحصار خاصة انه كان يكلفه الكثير. ولم تنته حروب يام وهمدان مع الملك الأيوبي ألا بعد أن مات هذا الملك سنة ٥٩٣هـ، وأتحد آل حاتم وكان مقرهم (ذي مرمر) مع الإمام المنصور (عبد الله بن حمزة الزيدي) الذي كان مقيما في الجوف وأصر على مناصرة آل حاتم، وقال في أحدهم وهو السلطان (بشر بن حاتم اليامي) يخاطبه عندما قاتل

جنود الأيوبيين بشجاعة نادرة [(١)] بعد أن فر كل من كان معه وتركوه يقاتل وحده، حتى نجاه الله من بين أوار ولهيب الأيوبيين.. قال هذه الأبيات:

أسـلطان قحطـان بـن هـود وتاجهـا — **وفارسـها المشـهور أن عظـم الـذعر**

واضـربها والسـيف يرعـد هيبـة — **وأطعنهـا والسـمهري بـه قصـر**

مـن يلتقـي الجـيش العرمـرم ضـاحكاً — **كـان مخـوف الثغـر فـي عينـه ثغـر**

تـيقن بـأني لا أخونـك والـذي — **لـه فـي منـى خـرت لأذقانهـا الجـزر**

ومخضـبة السـيقان قـد عقـدت لهـا — **مـن الخـوف فـي اللبـات اردية حمـر**

وهـل يقطعـن بينـي وبينـك قـاطع — **وحلمـك طـود شـامخ شـاهق وعـر**

وأنـت الـذي نهنهـت عـن جانـب العـلا — **بسـيفك والأبطـال كالحـة حـزر**

غـداة لقيـت الألـف لا القلـب واجـم — **ولا البـاع مقبـوض ولا الجنـب مـزور**

وكـم لـك مـن يـوم أغـرّ مجمـل — **وأيـام صـدق حشـوها البـأس والبـر**

ألسـتم بنـي عمـران جـودكم بحـر — **وطعـنكم شـزر وضـربكم هبـر**

ويقال بعد ذلك: أن آل حاتم أنهار مجدهم عند الصراع الحاد مع أقوى الدول الأجنبية من حولهم (الأيوبيين) ومع معظم المناطق ذات القوة والعزة العسكرية، وذلك لما اختلف أمرهم وانشق بعضهم على بعض عندما توفى السلطان علي بن حاتم اليامي وخلفه أولاده وأولاد أخيه (بشر) على السلطة، حيث أساء الجميع إلى السلطان محمد بن حاتم ابن عمهم فالحقوا به الإهانات وعذبوه تعذيباً جسدياً قاسيا فكتم حقده في نفسه، حتى أغار آل حاتم اليامون على مزارع (الملك المظفر) فاحرقوها، وكان هو في ذلك الوقت في صنعاء، ففر ابن عمهم السلطان محمد بن حاتم اليامي حتى وصل إلى الملك المظفر، واتفق معه على محاربة أولاد عمه، وخرج إليهم في قوة ضخمة، وحاصرهم وهم في حصن (ذي مرمر) مدة طويلة، وكان يعلم انهم لابد أن يسلموه الحصن في اقل وقت ممكن نظراً لسوء حالتهم وقلة الطعام لديهم، وصدق حدسه بعد ذلك إذ سلموا له الحصن بعد ذلك، وكان حصنا منيعاً يذكره التاريخ بكل إجلال. وكان يعتبر آخر شيء في أيديهم، وقد قال في ذلك أحد الشعراء وهو (سالم بن عزان الحاتمي اليامي) في قصيدته التالية:

ولا شـك أن الـدهر احـدث بيـنهم — **حـوادث عقباهـا تبيـد وتتلـف**

وأصـبحت الغوغـاء الرعـاع مـن الـورى — **تحكـم فـي رائـيهم وتصـرف**

لعمـري لقـد شـدوا هنالـك شـدة — **تكـاد لهـا شـم الشـناخيب ترجـف**

وذلـك الأمـر قـدّر الله كونـه — **ولـيس لمـا قـد قـدر الله مصـرف**

---

(١) كان ذلك بعد فتح الإمام (الحمزي) لصنعاء عام ٦٠٥هـ إذ قابلت فلول الايوبين قافلة كان يقودها "بشر بن حاتم اليامي"، وكان في طريق عودته لحصون آل حاتم (ذمرمر) فهجمت عليه هذه الفلول فقاتلهم حتى استطاع أن ينجو بقلفلته.

إذا ما قضى الله الزوال فليس عن ... قضاء قضاه في الورى متخلف

وعز علينا أن يفرق شملهم ... حسود وكذاب سعي ومزخرف

سعى بينهم بالزور والكذب ... معشر لهم قدم في الشر والبعض يعرف

جهارا لما قد كان منهم خفية ... ومنوا أماني الظلال وسوفوا

إلى أن جرت أولى وأخرى كلاهما ... ظلال ولم يحنوا هناك ويرأف

وما هي إلا سخطة الله ما رمى ... بها الله إلا من يسيء ويسرف

فأعقب ذاك العز والمجد ذلة ... أزيل بها الطود الأشم المنفنف

فأعقبني حزن طويل ولوعة ... بقلبي منه حرقة وتأسف

نحنٌّ وما يجدي الحنين ولوغدت ... مدامعنا مثل السحائب تذرف

ولو قبلوا رأي الحسين ورشده[1] ... هنالك لم يرجف بما كان مرجف

إذا لهداهم للصلح وللهدى ... وأعلن فيهم بالتي هي أعرف

ومازال من إخوانهم زاجر لهم ... وهم من أولى الشحنا احن وارأف

ولكنهم الغوا كلام صديقهم ... فكان من التأنيب ما ليس يوصف

يقولون لا يقبل فلان ورأيه ... ومازال يصليهم ودادا وينصف

فصبرا فأمر الله لابد نافد ... عساه علينا بالمراحم يعطف

فلله رب الخلق من عطفاته ... عواطف لا تحصى ولا تتكيف

وكان والد الشاعر السابق(عزان بن اسعد بن بشر بن حاتم) قد أرسل لهم خطابا يعاتبهم وينصحهم فيه.وذلك قبل أن تتفاقم المصائب وينحسر ملكهم نهائيا. على شكل قصيدة قال لهم فيها:

ألا ابلغا ابنا علي بن حاتم ... مقال له شم الشناخيب ترجف

صناديد همدان بن زيد وسيدها ... ومن مجدهم بين البرية يعرف

أولئك أخواني وقومي ومعشري ... ومن بهم أسمو فخارا واشرف

وقولا لهم انی وان كنت مقعدا[2] ... فقلبي مما نالهم يتخطف

أيصبح أرذال الرعاع بأسرها ... تحكم في أعرافكم وتنصف

وتمشي على البطحاء تريق دمائكم ... وتهتك أعراض تعز وتشرف

(١) هو الداعي الحسين بن علي بن محمد بن الوليد. وقد اراد اخماد الفتنة فيما بينهم، فاهانه علي بن سعد بن حاتم بقوله (اقصر قيلك واعرف قبيلك) فغضب (عزان الحاتمي) وقال فيهما قصيد طويلا ينصحهم فيها بالاتحاد والرجوع الى الصواب وهو والد الشاعر صاحب القصيدة المذكورة.

(٢) لقد كان في ذلك الوقت يقارب التسعين من العمر.

ألـــــم تعلمـــــوا أن الحوامــــــل عطلـــــت ... وريعـــت نســـاء فـــي المحاريـــب عكـــف

أبـــــى الله أن ترضـــــى بـــــذلك عـــــزوة ... بيـــام التـــي تـــأبى الـــدنايا وتـــأنف

أعيـــذكم مـــن عشـــرة الـــرأي أنهـــا ... لمـــن عشـــرة الأقـــدام أشـــقى واتلتـــف

فـــلا ترخصـــوا مـــا كـــان بـــالأمس غاليـــا ... ولا تســـعدوا مـــن بـــات بالشـــر يهتـــف

ولا تهـــدموا مـــا شـــاده الملـــك حـــاتم ... فبنيانـــه ســـامي علـــى المجـــد مشـــرف

ولا تخـــذلوا فـــي الـــرأي أبنـــاء عمكـــم ... فمـــا مـــنهم ألا ودود ومنصـــف

فـــإن تســـمعوا وتقبلـــوا نصـــح ناصـــح ... يحـــن علـــيكم مـــا حييـــتم ويـــراف

و إلا ففـــي ســـعي الحســـين ودأبـــه ... لكـــم بركـــات عـــدها لا تتكيـــف

فقـــد زادكـــم فـــي نفعكـــم متشـــفعا ... وكـــل شـــفيع بالشـــفاعة ينصـــف

و إلا ففـــي (حـــدان) متســـع لكـــم ... وارض التقاضـــي فهـــي بيضـــاء صفصـــف

ولا تعبـــوا أن كـــان الـــرأي غلطـــة ... فـــلا كبـــد حـــرا علـــى العـــز تأســـف

ومنـــي ســـلام كالريـــاض تبســـمت ... وصـــاب عليهـــا صـــيب المـــزن يـــذرف[1]

(١) كتاب نجران الحديث صـ ٤١.

المكـــــــارمـــــــة
بني المكرم بن سبأ الأصغر

أولد مكرم حسان وأولد حسان صبيح وأولد صبيح علي وأولد علي عمرو وأولد عمرو عبد الله وأولد عبد الله محمد وأولد محمد ثامر وأولد ثامر داوود وأولد داوود صلاح وأولد صلاح الفهد وحسين وأولد الفهد محمد وجابر (وهم أصلا من حِمْير، وانتقلوا بعد خراب سد مأرب إلى الجوف ومنها إلى بلاد همدان وسكنوا محل يقال له " طيبـــة " واسمه القديم (دورم) وهي واقعة جنوب صنعاء، وقد حكموا تلك الجهات ومنها "حراز" وصعفان والعدين وعراس... وغيرهم). وكان بينهم وبين الأئمة الزيدية حروب كثيرة ظلت متصلة.... وقد دخلوا نجران واستوطنوا فيها وبعد أن رحل بعضهم إليها (تقريبا) عام ١١٢٧هـ وكان على رأسهم في ذلك الوقت البعيد (الداعي) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المكرمي، وأقاموا فيها وطاب لهم عيشها فأحبهم الناس في نجران وكانوا يدخلون في سلك جنديتهم مستبسلين حتى استطاع المكارمة أن يبنوا من جند يام جيوشاً قوية غزت وردت غزوات في هذه الأزمنة الطويلة، فقد اتفق المكارمة بعد دخولهم نجران بسنين مع اليامين وأولاد عبد الله في نجران على أن تكن رئاسة المنطقة للمكارمة.[١]

(... اما الفرقة السليمانية بنجران فقد عرفوا فيما بعد بالمكارمة حين وفد إليهم (الداعي) محمد بن إسماعيل المكرمي من طيبة بهمدان اثر اجلاءه عنها في عهد الإمام المتوكل شرف الدين (٩١٥-٩٦٥هـ) [٢]

(ومن ذلك حادثة المكرمي وهو الداعي من بني مكرم واتباعه من بعض همدان الذي بقرب صنعاء ورجال يام وانه ملك حراز أيام المنصور (الحسين ابن القاسم) (١١٣٩-١١٦١هـ) وما قدر أحد على نزعه عنها [٣] وما زالوا يتوارثونها، حتى لمعت الدعوة إلى حسن ابن إسماعيل شبام.... فاستولى على الحيمة، وعمر الحصون فيها وجهز الامام المتوكل الجيوش من أرحب ومقدمهم الأمام المنصور بالله محمد بن يحي ايام سيادته. فكانت بينهما ملحمة بقرية تسمى (الزيلة) قتل فيها من .... رجال يام نيف ومائة وانخدعت أرحب بعد ذلك فما زال الداعي مالك لها ولحراز، وجبل عانز وتطاول إلى غيرهن حتى قتل [غدراً] [٤] وقتل ابنه أحمد بن حسن وخرب حصونه واستولى على مملكته احمد مختار باشا عام ١٢٨٩هـ [٥].

قال إبراهيم بن محمد الكبسي (١٢٢٠-١٣٠٨هـ) شعراً:

وصـــاولوا المكرمـــي فـــي داره فغـــدا ... فـــي أســـرهم واثقـــاً بالعهـــد فـــي غـــدر

فلـــم يراعـــوا لـــه عهـــداً وعـــادتهم ... نقـــض العهـــود علـــى بـــاد ومحتضـــر

التحالف بين المكارمة ورجال يام

---

(١) كتاب نجران الأرض والناس والتاريخ ص٢٩.
(٢) أثر دعوة محمد بن عبد الوهاب في الجنوب ص ١٢٩.
(٣) كتاب بلوغ المرام في شرح مسك الختام ص٧٤.
(٤) أثر دعوة محمد بن عبد الوهاب في الجنوب ص ٥٥٥.
(٥) كتاب بلوغ المرام في شرح مسك الختام ص٧٤.

اتفق المكارمة بعد دخولهم نجران بسنين مع اليامين و أولاد عبد الله في نجران على أن تكون رئاسة المنطقة للمكارمة مقابل أن يقوم المكارمة بالتعاون مع اليامين بغزو اليمن لاسترجاع ما كان ليام من ملك في اليمن أيام (بني زريع) (وبني حاتم) وكان لهم ما أرادوا في حقب كثيرة من حكم المكارمة بنجران [١]. ثم أن تقسيم السلطة بين المكارمة ورجال يام يشبه من بعض الوجوه ما كان للجدين البعيدين حِمْير وكهلان حيث ونسب المكارمة ينتهي إلى حِمْير بن سبأ ونسب يام ينتهي إلى كهلان بن سبأ.

تقسيم الملك بين حِمْير وكهلان ابني سبأ.

...بعد أن جمع "سبأ" أهل مملكته، وجلس ولده حمير عن يمينه وولده كهلان عن يساره، وقال للناس هل يصلح ليميني أن تقطع شمالي،وهل يصلح لشمالي أن تقطع يميني ؟ قالوا لا يصلح ذلك لهما، فقال أرأيتم أن غفلت عنهما وأرادا بعضهما أن يقطعا بعضاً، ما أنتم صانعون ؟ فقالوا جميعاً: نمنع اليمين عن الشمال ونمنع الشمال عن اليمين، فقال أعطوني العهود على ذلك. فأعطوه العهود والمواثيق على منع بعضهما عن بعض، فقال: أيها الناس أني لم أرد بيديَّ إلا ولديَّ هذين حِمْير وكهلان، ولا آمن أن يختلفا بعدي فأعطوا حِمْير ما يصلح لليمين، وأعطوا كهلان ما يصلح للشمال. وأني جعلت حِمْير عن يميني لانه الأكبر وجعلت له ما يصلح لليمين وجعلت كهلان عن شمالي لأنه الأصغر فجعلت له ما يصلح للشمال، فقالوا جميعاً: يصلح لليمين السيف والقلم والسوط، وحكموا للشمال بالعنان والترس والقوس والدواة، وقالوا أن صاحب السيف يصلح للثبات والوقوف في موضعه، وصاحب القلم لا يكون إلا مدبراً راتقاً آمراً ناهياً، وصاحب السوط لا يكون إلا رائضاً سائساً وحكموا أن صاحب الوقوف والثبات والفتق والرتق والتدبير، لا يكون إلا الملك الأعظم الراتب في دار المملكة وهو حِمْير، وحكموا أن العنان مصرف لهوادي الخيل، للذب عن الملك ونكاية الأعداء حيث كانوا، وحكموا أن الترس يرد به البأس عند اللقاء، وأن القوس ينال به المناوي والمعادي على البعد منها، وحكموا أن جميع ذلك لا يصلح إلا لحائط الدولة والذاب عنها وعن بيضتها والقائم بحروبها وفتوحها وإصلاح ثغورها: وهو كهلان...) [حتى قال] (.. فلم يزالا على ذلك وأولادهما وأولاد أولادهما) من ولد حمير ملك قائم بالملك، ومن ولد كهلان ولد قائم بالثغور والأعمال وقود الجيوش والغزو إلى العدو حيث كان [٢].

---

(١) نجران الأرض والناس والتاريخ ص ٢٩.

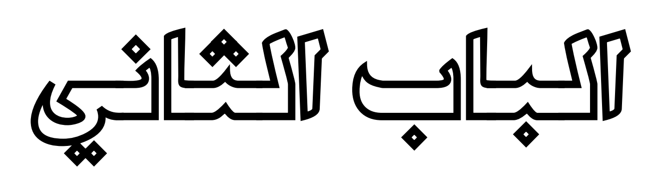
(٢) كتاب ملوك حمير واقيال اليمن ص ١٣/١٢.

قال يحيى بن الحسن [شاعر يمني] (٦٣٦هـ) شعراً:

إذا صـــــدت معــــد لـــــم نلـــــم ... إذ دعونــــا للعـــــلا ابنـــا ســــبأ

(حمّيـــــر) الشـــم و(كهـــلان) الأولـــى ... كرمـــوا فرعـــاً وطــــابوا منصــــبا

التاريخ



الباب الثاني

قيل اليمن مستودعا للتشيع:

... ومما ساعد على انتشار التشيع في اليمن جهاد همدان مع سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام في حروبه، ويعتبر ما قاله أمير المؤمنين نفسه دليلا واضحا على ذلك، فقد قال أيام صفين: (يا معشر همدان. أنتم درعي ورمحي، والله لو كنت بوابا على باب جنة لأدخلتكم قبل جميع الناس، وما نصرتم إلا الله تعالى، وما أحببتم غيره) فقال سعيد بن قيس وزياد بن كعب " أحببنا الله وإياك، ونصرنا الله وإياك، وقاتلنا معك من ليس مثلك، فارم بنا حيث شئت) [١] ومن هذا العرض التاريخي الموجز يمكننا أن نقرر أن نجد اليمن صار حصنا من حصون الشيعة بل مستودعا من مستودعاتها لان أهله برهنوا في مواقف عديدة على حبهم لعلي عليه السلام وبنيه ويعتبر انتشار التشيع في تلك البلاد بالإضافة إلى ضعف الحكام ووهن الرباط الذي كان يربطها بالعباسيين من أهم العوامل التي هيأت الظروف إلى نجاح سفارة الفاطميين في بلاد اليمن. [٢]

نجران وقبائله:

لقد ارتبط في وقتنا الحاضر أسم نجران بمن يسكنه من قبائل بشكل عام و قبيلة يام على وجه التحديد بشكل خاص، واصبح كل منها يدل على الأخر كما ارتبط أسم نجران وقبائله من جهة أخرى بالمذهب الإسماعيلي وهذا الارتباط ألقى بظلاله على أقلام المؤرخين الذين اعتنوا بتاريخ قبائل نجران أو الأحداث التي شاركوا فيها إذ لا تكاد تخلو كتاباتهم من نظرة مذهبية تؤثر بشكل واضح على تناولهم لهذه الأحداث ولا يحتاج القارئ للكثير من الجهد لاكتشاف ذلك، فيكفيه مشاهدة أي من الأسماء التي يشمئز منها الإسماعيليين قبل غيرهم كنعتهم بالقرامطة أو الباطنية أو الرافضة أو المسترزقة إلى آخر الصفات... مما يوحي للقارئ ببعد هذا المؤرخ عن الحياد ومسألة التجني على الإسماعيلية من قبل المؤرخين ليست وليدة اليوم ولسنا أول من قال بذلك فقد سبقنا إليها المفكر العربي الكبير عباس محمود العقاد حين قال: لم ينفصل علم النفس وعلم التاريخ في بحث من البحوث كما انفصلا في بحث قضية "الإسماعيلية" لهذا كثر فيه التخبط وقل فيه الثبوت والوضوح، ونحسب أن محنة التاريخ هنا أصعب من كل محنة. لأن المؤرخ هنا يعمل عملين ولا يستقل بعمل واحد: يعمل لمعرفة الحقيقة ويعمل لاستخلاصها من الأباطيل التي تحجبها عن عمد وتدبير، وواحد من هذين العملين كثير على مؤرخي الورق والحروف[٣]. ..على نقيض ما قيل عن الإباحة في المذهب الإسماعيلي يمتاز مذهب الفيض الإلهي بالمبالغة في التطهر والإعراض عن الشهوات وترفع عن غواية الدنيا.... وعلى خلاف ما قيل عن الإباحة للمحرمات.. فإنهم يقتصدون في الحلال المباح. ..وعلى هذا النحو يتتبع المؤرخ ما شاء من أخبار [الإسماعيلية] فلا يمضي مع الخبر خطوة أو خطوتين حتى يصطدم بالعقل أو الواقع صدمة توجب الشك إن لم تجزم باليقين من بطلان الخبر وتلفيقة.[٤]

وفي آخر القرن الثالث الهجري: كانت يام موجودة في نجران ويخشى جانبهم. فقد غزاهم الهادي يحي بن الحسين الرسي. تحديداً في عام ٢٩٤هـ بعد اعتناقهم المذهب الإسماعيلي على يد الداعي الحسن بن فرج بن حوشب " منصور اليمن " الذي كان بمثابة البذرة الأولى في

---

(١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص١٧.
(٢) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص٢٦.
(٣) فاطمة الزهراء و الفاطميون ص ٨٣ لعباس محمود العقاد.
(٤) فاطمة الزهراء والفاطميون ص١١٨، ص ١٣١، ص١٤٠.

تأسيس الكيان الإسماعيلي في بلاد اليمن ونجران والذي فرض وجوده وكيانه والذي حورب بدوره من قبل مجاوريه من أصحاب المذاهب الأخرى. [١]

..حتى آن الإمام الفاطمي المستور الحسين بن احمد "عليه السلام" حين أرسل أبا القاسم الحسن بن فرج بن حوشب داعيا إلى اليمن أمره أن ينزل عدن لاعه لان بها بعض من يدين بدعوته [٢]...فظهر أبو القاسم منصور اليمن في بلاد اليمن فتمكن في فترة وجيزة من آن ينشئ دولة موالية للخليفة الإمام المهدي عبد الله بن الحسين "عليه السلام" . [٣]

وهذا الهادي يحيى بن حسين الرسي يجهز جيشا ليغزوا يام في نجران متذرعا بقتلهم مصريا وفد إليه ولعله لاعتناقهم المذهب الإسماعيلي .

٢٩٤هـ الإمام الهادي [بن الحسين الرسي] يغزو يام.

ولما كان يوم الأحد لا ربع خلون من شعبان [عام ٢٩٤هـ] خرج في جميع عساكره حتى صار إلى البرية خارج القرية، فأمر وادعة فصاروا ميمنة،، وأمر شاكر وثقيف فصاروا ميسرة، وسار الهادي إلى الحق في القلب بمن كان معه من المهاجرين الطبريين وغيرهم..... وسار الهادي إلى الحق حتى صار بقرية يقال لها لبيبان [*]، فعسكر بساحتها، وأمر بالقرية فهدمت، وحرقت وأمر بنخيل نفر من اليامييين يقال لهم بني عمرو [**]الذين قتلوا "سليم بن المصري" فقطع . [٤]

وفي بداية القرن الخامس الهجري: ازداد نفوذ يام في نجران وكان لهم دورا بارزا في تأسيس الدولة الصليحية عندما قابلوا الملك علي بن محمد الصليحي في مكة وعاهدوه. ثم قامت الدولة الصليحية على يد مؤسسها علي بن محمد الصليحي الذي وحد اليمن بعد أن كان أشلاء تتنازعه الحروب كل منهم يصارع الآخر مما يجعل بلاداً بها كل هذه الصراعات يصعب حكمها وإعادة تنظيمها إلا أن يكون الحاكم ذو حصافة وبعد في الرؤى وعدالة في حل الخلافات، وهذا ما تحقق لعلي بن محمد الصليحي الذي أسس الدولة الصليحية التي حكمت اليمن بأسره وامتد نفوذ دولته إلى مكة المكرمة.

٤٤٢هـ - استعانة الملك الصليحي بقبائل يام وغيرهم .

توالت انتصارات الملك الصليحي وأسمعت من به صمم وبلغت حربه قبائل جنب وسنحان ونهد ويام والمدعويين (بالحجازيين) الذين عاهدوه في مكة فأسرع منهم قرابة أحد عشر مائة حاملين السلاح والمعونة المالية، وانضاف إليهم منهم خلق كثير متطوعة ممن لا سلاح له ولكنهم تاهوا

---

(١) "انظر غاية الأماني ١٩١/١ " و " الحور العين ص ١٩٨ " و" غاية المرام ٣٢-٣٣" محقق سيرة الهادي.
(٢) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص١٤.
(٣) نجران في اطوار التاريخ ص ٩٢
(*) لم نجد من حدد موقع هذه القرية من نجران.
(**) لعلهم بني عمرو بن سلمة بن سلمة بن دول بن جشم بن يام.
(٤) بين مكة وحضرموت ص ٢٨٤.

في الطريق لعدم خبرتهم بمسالك الطرقات إلى [حصن] مسار فتخطفتهم العرب من حولهم ولم يبلغوا [حصن] مسار إلا بمشقة وعنا كبير، وبعد أن خسروا مائة قتيل ومالا جزيلا كانوا يراضون به القبائل السالبة وكان قدومهم [حصن] مسار في شهر رجب سنة ٤٤٢هـ فارتفعت معنوية الصليحي وقويت شوكته. [١]

في أوائل القرن السادس الهجري استعان يام (سكان نجران) بملك صنعاء حماس بن القبيب اليامي لنصرتهم على من اعتدى عليهم من آهل نجران، وهذه ليست المرة الأولى التي ينصر فيها أبناء يام بعضهم البعض بعدما تحل بهم النوائب كما ذكرنا في الباب الأول نصرة ملوك آل زريع للسلطان حاتم اليامي لاستعادة صنعاء في عام ٥٥٣هـ، ومساعدة السلطان علي بن حاتم اليامي آل زريع في عام ٥٦٩هـ.

٥٢٥ هـ يام يستعينون بالسلطان حماس بن القبيب اليامي.[٢] ملك صنعاء على من أضطهدهم من أهل نجران .

في عهد السلطان (حماس بن القبيب) الذي كان يحكم صنعاء بعد أخيه (هشام) الذي تولى حكمها هو الآخر بعد ابن عمه السلطان (حاتم بن الغشم) وهو من بني الغز من مذكر ثم من يام: انه في عهد حماس المذكور آنفا وصله مستجير من يام من أهل (نجران) يشكوا [من ما نالهم من أهل نجران] الآخرين من تعديهم على بعض الناس في نجران فجمع حماس عدد ضخما من همدان، واخبرهم أنه يريد غزو نجران، فاستأذنوه لإصلاح أحوالهم من اجل الحرب. فاخذ دروعهم رهنا حتى يعودوا إليه اكثر استعدادا، ثم تركهم فذهبوا واخذوا يصبون دروعا أخرى يقال أن عددها بلغ حوالي خمسمائة درع، وذلك في مكان يسمى حتى الآن بـ(وادي الدروع باليمن) ثم جاءوه فغزا بهم نجران، وقتل [منهم] كثيراً، ثم أسر [منهم] أعداداً ضخمة.. وقد كان من بين هؤلاء الأسرى بعض المسيحيين. [٣]

ولا شك أن التاريخ سجال بين كر وفر فقد تكالبت الظروف على ما تبقى من أمجاد دولتي بني زريع وبني حاتم فقاست الإسماعيلية الأمرين على أن يحافظوا على أملاكهم التي ورثوها من ذلك المجد التليد ولكن يأبى التاريخ إلا أن يدير رحاه على مطامح البقاء أو الفناء فأخذوا بكل ما أتوا من قوة يصارعون خصومهم حتى لو لزم الأمر أن يفقدوا شيء من أمجادهم في سبيل الإبقاء على بصمة لهم في كف التاريخ. فأشتد اضطهاد الأئمة الزيدية لهم في أواخر القرن الثامن الهجري فاستولوا على بعض حصونهم وقلاعهم. ولكن لم يمض وقتا طويلا حتى تمكنوا منها وحرروها واستمر الأمر في هذه الفترة سجال بين استيلاء وتحرير .

٧٧٣هـ حرب صلاح الدين للإسماعيلية .

اتسعت إمامة محمد بن علي المشهور بصلاح الدين وملك صنعاء واستقر بها وحارب [الإسماعيلية] في جبال اليمن واستباح أموالهم. [٤]

في أخر القرن التاسع الهجري: أصر الإسماعيلية على الدفاع عن حصونهم ومعاقلهم ضد إمام

---

(١) بين مكة وحضرموت ص ٣٣٣
(٢) أحد سلاطين بني حاتم.
(٣) نجران الحديث ص ٣٢-٣٣.
(٤) المخلاف السليماني ج ١ ص (٣٣٦).

صنعاء الناصر بن محمد وبلغت بهم القوة أن هاجموا الخصم في حصونه وقراه وقلاعه. ومن الحصون والقرى والقلاع التي كانت تحت أيدي اتباع الداعي من مشايخ جشم، بيت انعم وبيت غفر وبيت حاز وحجرة سعيد والقلعة (حصن أفئدة) وحصن صعفان، وكان ممن فيها داود بن حاتم الجشمي وإسماعيل بن إبراهيم الجشمي ومحمد بن حسين الجشمي وحاتم بن إبراهيم الجشمي وحسن بن داود الجشمي.(١)

وفي قراءتنا لتلك الحقبة الزمنية نجد أن هناك تنازع بين أربعة من الأئمة الزيدية للوصول لسدة الحكم هذا إذا علمنا ببروزهم السائد على الساحة السياسية في تلك الفترة، وما يهمنا في هذا الأمر ما تم من تحالف بين أهل المذهب واحدى الأئمة الزيدية مما جعلهم طرف مستهدف لخصوم ذلك الإمام ومن هنا بدأ الخيط الذي نسج على منواله تاريخ هذه الفترة.

واللافت للنظر أن الإسماعيلية لا زالت جذوتهم مستعرة لم تخبوا بل قد غزوا صنعاء وأخذوا بثأر من قتل منهم حتى توصلوا إلى صلح مرضي مع الإمام الناصر .

الداعي إدريس بن الحسن (٢) يضطر لغزو صنعاء ٨٥١ هـ ويستعين بعامر بن طاهر (٣) و بالإمام المطهر (٤)
[قال الداعي إدريس] :فذكرنا ما قد سلف لابن كامل من غدره وقام بالحرب في صنعاء وشمر في أمره فعند ذلك لم نجد من الحرب بدا، وكاتبنا عامر بن طاهر فأجابنا انه مشمر للحرب من عنده لا يترك فيه جهدا ثم كتبنا الأمام المطهر فقام بذلك مشمرا ووصل إلى عقبات الأشراف ووقع بيننا وبين آهل صنعاء الاختلاف.

وكان ريحان بن سعيد قتل في الجبجب(٥) مع قوم يدعون بني مر وذلك لما قصدهم في كثير ممن معهم من رجال وفعل معهم النكر فسطوا عليه في معركة القتال وقتلوه لما كشفت الحرب عن ساقها وفتحت أبواب الذمم عن إغلاقها، رجع ابن كامل إلى ما منه عهد وفسد وللتحديث معه افسد، وعاد إلى صنعاء يكدح فيما يضر و يسعى فكان ما كان من قتل الأمير عبد الله بن ناصر الدين وإسماعيل بن إدريس القرشي رحمة الله عليهما، ومن قتل معهما كما فصلنا ذلك في (نزهة الأخبار) وأتينا به على الاختصار ووضحت الاختلاف وجعلت إلى عيال يحي الأشراف وتلقيتهم بالأجمال والأنصاف وما يتلى به من جميل الاضياف وشنينا على صنعاء الغوائر (٦) ... ما حولها ولا نخاف ونحاذر، ووصل الناصر إلى صنعاء وخرج بالعساكر واخرب في وادي ضلع الحضائر ووصل إلينا من قبل المطهر المعفى بن عمران بن المعفى إلى محروس القلعه (٧) (حصن افئدة) فأكرمناه ورفعنا موضعه، وكانت الغوائر بيننا وبين الناصر سجالا وأبادت السيوف منا ومنهم رجالا... وعاد المعافى إلى إمامة مطهر وعليه الذعر فتوانا بعد القيام وقصر، فعند ذلك وقع الصلح بيننا وبين الناصر واظهر الناصر أموالا وغرم خيل وعدة كانت

---

(١) انظر روضة الأخبار ونزهة الاسمار ص ٨٠ وما بعدها طبعة دار المعرفة.
(٢) الداعي عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف مؤلف كتاب عيون الأخبار المؤرخ اليمني الشهير.
(٣) الملك الظافر عامر بن طاهر بن تاج الدين ملك عدن.
(٤) الإمام المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي.
(٥) قرية يمنية في مخلاف مقري.
(٦) الغوائر: الغارات.
(٧) القلعة: هي أفئدة أو دورم، طيبة.

صارة إليهم يوم استشهد إسماعيل بن إدريس والأمير عبد الله بن ناصر الدين رحمة الله على المستشهدين في سبيل الموالين لآل رسوله[١] .

وكما سبق أن بينا أن الإمام الناصر كان أحد أولئك الأئمة (الزيدية) الأربعة المتصارعون، قد هاجم قلاع وحصون الإسماعيلية لمناصرتهم خصمه، ومن مشائخ تلك الحصون والقلاع ومن فوارس المعارك داود بن حاتم الجشمي و إسماعيل بن إبراهيم و محمد بن حسين الجشمي و و حاتم بن إبراهيم الجشمي و حسن بن داود الجشمي.

عام ٨٥٤ هـ - الإمام الناصر بن محمد [٢] يغزو بلدة حاز و بيت غفر.

ثم جاء الناصر فعاث عسكره في الزرع وأمر بفسادها من معه من الجنود ثم جاء الناصر بجنوده ديار بني حجاج وقصد مخلاف بلاد همدان فحط في حاز على الثلث برجله والفرسان وقد انحاز أهل حاز إلى بيت غفر بما معهم وتركوه خلا مقفرا موضعهم. وحاز فيه بقية أساس مدينة عظيمة جاهلية يقال أن فيها طلسم لا يدخلها حنش و لا حية وقد خربت ولم يبق فيها إلا الآثار وأخرب الناصر ومن معه من الزروع وأغار عليهم ليلا داود بن حاتم الجشمي [٣] من مشائخ آهل بيت انعم في جماعه من همدان قد عارض بهم الناصر حيث حط في أي مكان فرموا المحطة [٤] بالنبل فاراعوهم وأصابوا جماعه من الرجال. .فكانت الصيحة في المحطة والفزعة، وهاب كل من فيها ومعهم الجيش، وغزاهم داود بن حاتم الجشمي تلك الليلة مرتين وأغار عليهم رحمة الله غارتين فاخرب الإمام حول بيت غفر [٥] وحاز في الأوطان وأفسد أكثرها في ذلك الأوان ثم نزل بلاد بني حامد على غفلة ورام أن يستأصل شافتهم بالجملة وقد أغار عليهم كامل بن الفهم الحامدي[٦] وكان واليا في(حصن أفئدة) ووافق قومه لهم مادة مرمى كامل ومن معه وانتسب وكان مشهورا بالرمي يخاف ويرهب فاخرب عسكر الناصر من الزروع ورجعوا وحمى بني حامد أكثر ما لديهم بالنبل وامتنعوا وقتلوا بالسهام من محطة الإمام وجرحوا فأوجعوا وعاد الناصر إلى أوطان المنقب فاخرب من زروعها ما اخرب ورام القتال على المنقب من جهاته فوجده ممتنعا وفيه اجواد الرجال من المحامين بالدرق [٧] والسيوف والنبال ثم أن الناصر قال إلى لؤلؤة المقصد وعلى قتال أهلها واجتياحهم يعتمد جزاء لهاشم [٨] بما قدم وما عقد بين قومه وبين بني طاهر وابرم، وكان هاشم بن محمد في لؤلؤة محلة وبها أولاده وأهله ولما راح الناصر من عقبات رجع هاشم بن محمد إلى القلعة (حصن افئدة) في كثير ممن كان معه من أهل الصبر والمحاماة. [٩]

(١) روضة الأخبار ونزهة الاسمار في حوادث اليمن الكبار لعماد الدين إدريس بن الحسن ص ٥٤ ــ ٥٥.
(٢) الإمام الناصر بن محمد بن أحمد.
(٣) داود بن حاتم الجشمي: لعله من جشم بن يام بن يصبا. فقد ورد اسم خمسة وهم: داود بن حاتم الجشمي و إسماعيل بن إبراهيم عمه أي عم داود و محمد بن حسين الجشمي و حاتم بن إبراهيم الجشمي و حسن بن داود الجشمي!!
(٤) المحطة موقع تجمع الجيش.
(٥) حاز بلدة كبيرة. و غفر شمال من حاز. (بلدتان عامرتان) (بهمدان – طيبة).
(٦) بنو حامد أصحاب قرية الغيل والقانية وهم من همدان.
(٧) جمع درق: وهو نوع من التروس.
(٨) هاشم بن محمد بن إدريس بن الأنف.
(٩) روضه الأخبار ونزهة الاسمار ص ٨٠ /٨١.

عام ٨٥٤هـ الإمام الناصر بن محمد يغزو بيت أنعم .

وصل العلم [يغزو الناصر]إلى القلعة (حصن أفئدة) فدلف منهم [أي أهل القلعة] الاجواد بالقياس والتراس [١] والسيوف الحداد وكان معهم من خدام الإمام محمد بن مطهر [٢] قد أصدره للغارة من كوكبان وملاقاة جيش الناصر وعسكره الجرارة فطلع منهم من طلع في أول الليل ودخلوا إلى [حصن] لؤلؤة كأنهم السيل وتبعهم داود بن حاتم) الجشمي) في جماعه من بيت أنعم [٣] لقتال الأعداء أسرعوا فراعوا من دونهم في المحطة وافزعوا وكان أهل لؤلؤة قد ماتوا وأصيب كثير منهم بالافهار [٤] والنبال فاستأنسوا بمن وصل إليهم وعلموا عند ذلك أن لا باس عليهم فهابهم أهل المحطة وفزعوا عن القتال وكان من في لؤلؤة ينزلون إلى القريب ويرمونهم بالنبل ويقع فيهم القتل واخذ جند الناصر أكثر الزراعة بعد أن أقام بنفسه فيخبط الزراعة بالعود ليحرض عسكره على الخراب و ليقوم منهم القعود فوقفوا خمسة أيام واراد داود بن حاتم (الجشمي) أن يغير عليهم في بعض الليالي ويحمل عليهم حملة الليث إذا صال فقال له بعض القائفين [٥] أني رأيت في كتف جزور أنه سيقتل منا رجل كبير فتأخر عن النزول في الليل لذلك القول، ولما كان الصباح قال داوود بن حاتم لا بد أن انزل إلى الزرع وانظر ما اخربه وما سلم لأن الرماة من لؤلؤة قد حملوا بعض الزراعة يرشقون بها من كان بها يلم فنزل ليس معه غير ثلاثة رجال وانتهى إلى موضوع الزرع وقد كمن عُبيه الطاهري كمينا من الليل بين الحجارة ليستطرفوا ممن ينفرد من لؤلؤة لأنهم في نزول الوادي ذوي أدلال فخرجوا على داود بن حاتم ومن معه فانقض عليه عبيه الطاهري في من معه فرجع داود بن حاتم وقد لازمه القوم فتوحل بالطين وقد ألانه الماء فعسر عليه الخروج منه حين لقي الأعداء ووصله رجل من الكمانه – فطعنه بالسنان وضربه داود بالخنجر فأثخنه أيما إثخان وضرب آخر داود بن حاتم وقد توحل في الطين فوقعت الضربة في رأسه فوق الجبين وثار رجال ممن في لؤلؤة كانوا في الوادي ونادى منهم لابراح المنادي فاستخلصوا داود بن حاتم وقد أثخنته الجراح ونجى من القوم وهو لما به وزاح ووقف إلى الظهر ووفاه حمامه واستشهد رحمة الله عليه. ..وانقضت أيامه وقد أصيب من عسكر الناصر في تلك الحملة جماعه بالنبل وما رجعوا إلا وقد صار كثير منهم إلى القتل ولم يشعر أحد من المحطة بوفاة ابن حاتم بالكلية ودفن في رأس لؤلؤة بالعشية وسير الناصر ثاني ذلك اليوم إلى شرف بيت أنعم حتى أطل على الوادي فرمى إلى عنده صاحب بيت انعم إسماعيل بن إبراهيم (الجشمي) عم داود بن حاتم رميا كاد أن يصيب الناصر وهو في النادي فقال ابن علي كامل للناصر ارجع فأن إسماعيل بن إبراهيم (الجشمي) [٦] ذو ساعد شديد ورميه يثلم الصخر و يفري الحديد فرجع الناصر إلى المحطة .[٧]

عام ٨٦٣ هـ - الأمير نهشل بن محمد بن المنتصر(٨) يغزو حصن الحرثي.

[قال الداعي إدريس بن الحسن] :ثم أن خلاف المحرثه وذلك كان واليها علي بن القاضي حمد

(١) القياس: جمع قوس، والتراس جمع ترس.
(٢) الإمام المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي.
(٣) بيت أنعم هو ما يسمى اليوم بيت * نعم: قرية وحصن على طريق شبام حمير وأفئدة حصن على مدخل وادي ظهر ولؤلؤة حصن و قرية عامرتان.
(٤) الافهار جمع حجر تملى الكف.
(٥) القائفين من القيافة وهي معروفة عند العرب وهي معرفة الاثر.
(٦) إسماعيل بن إبراهيم الجشمي لعله ينتمي إلى جشم بن يام بن يصبا.
(٧) روضة الأخبار و نزهه الاسمار ص ٨١ / ٨٢.
(٨) نهشل بن محمد بن المنتصر بن المطهر.

بن غضبان من بلد أهل حجاج ولاه فيها الولد عماد الدين إدريس بن محمد بن إدريس وجعله في حصنها وبلدها الرئيس وقد شحنها الصنو[١] عفيف الدين عبد الله بن الحسن وملأها من كل فن وجعل فيها من الطعام والسلاح وكل ما أمكن وجاء إلى ابن غضبان رجل من المشرق انتسب أن له قرابة وكان يحمل إليه الهدايا ويريد حسن الصحابة حتى قرب من إليه وأتمنه على ما في يديه ثم جاءه بهدية ومعه جماعه فاضافهم ابن غضبان وقراهم وأتمنهم على ما عنده واواهم، ثم غدا ابن غضبان للصيد وتركهم في الحصن وهو له ذوا أمن فخان أمانته إذ ترك في المحرثه قوما لا يُعرفون وأضاع عهدته فغل الدين وهم عن العار لا ينكثون، فخالف المشرقي الغادر، ووصل إليه من بني منبه الغوائر فسلم تلك العهدة للأمير نهشل بن محمد بن المنتصر، فحازها نهشل، ولم يذكرما بيننا وبينه وبين أبيه من الحلف المتقدم والمتأخر، وكنت أظن أني أثق ببني المنتصر على الروح والمال ولما كان لي إليهم من حسن الأفعال وكان بيني وبين محمد بن المنتصر الصحبة والإيمان ولجهادي مع علي بن صلاح [٢] في سالف الأزمان، فقاتلت معه وجئت بالعرادة من محروس عراس إلى قصبة بعلان حتى استولى عليها وانتصر، وحاربت معه اكمة الحصار [٣] لما توهم أن علي بن صلاح حين طلب منه تسليم حصونه وقام لحربه وشمر وقد حفظت له أكمة الحصار ويحوزها الحصار دروان وجمعت القبائل والعشائر، ورددت عنه علي بن صلاح وقد جاء بالعساكر، ونزلت المدلجي لما طلع إلى أكمة الحصار وهو صاغر وبذل علي بن صلاح أن يرد لي حصون بلد همدان، وان أقوم معه لحرب الأمير ويجعل لي ما احبه من العطاء والأمان، فقلت اخترت صحبة ابن المنتصر على كل باد وحاضر، فأني لا اغدر ولا أغادر، وأراد علي بن صلاح أن يصالح أهل عراس على زرعهم ويميل عن خرابة عساكره وما جاءوا به من جمعهم فاضجر ذلك الأمير، ورددت خط الإمام ولقيته بالنكير، ولم يرع الصنيع محمد ولا نهشل، ولا ارتدعا، ولا انقرعا، من ذلك العمل ولقد صدق من قال:

أن الشـــــريف إذا جـــــاع	تضــــرع وإذا شـــبع ترفـــع

وذلك معروف و مشهور .

وقال (سيدنا إدريس بن الحسن الأنف)
في تلك الحوادث شعر، ليبلغ الى الشريف نهشل، وأخذنا منه قدر الحاجه:

اتانـــا الإمـــام ابـــن الإمـــام بجيشـــه	**وقـــد بُـــذلت منـــه إلينـــا الرغائـــب**
وقـــال خـــذوا أمـــوالكم وحصـــونكم	**وخـــذ ارض همـــدان ومـــا أنـــت طالـــب**
بهـــذا بـــن صـــلاح كـــان يرســـل رســـله	**إلـــى بهـــذا دئبـــا ويخاطـــب**
فقلـــت التزمنـــا بـــالأمير محمـــد	**فـــأني لـــه دون الإمـــام مصـــاحب**

---

(١) الصنو: الأخ.
(٢) المنصور علي بن صلاح بن محمد المهدي.
(٣) أكمة الحصار: بلدة الحصار.

أريـــــــد لأولادي صـــــــداقة آلـــــــه	**وقـــد قلـــت هـــذا خيـــر مـــا أنـــا كاســـب**
فـــذلك شـــريف مـــن ذوابـــة هاشـــم	**لـــه فـــيهم تســـموا وتعلـــو المناصـــب**
لـــه فـــي بنـــي الهـــادي أصـــول رفيعـــة	**ومجـــد رفيـــع لـــيس يـــنحط ناصـــب**
وراح زبيـــــدا لـــــم يشـــــاور بـــــأمره	**إلـــى ســـوى أن قـــال فيمـــا يكاتـــب**
وأوصـــيك فـــي أهلـــي وآلـــي وديعـــة	**فكلهـــــم عونـــــا إذا أنـــــا غائـــــب**

حتى قال:

بهـــــذا جزانـــــي نهشـــــل أن نهشـــــلا	**علـــى غيـــر فعـــل الأمجـــدين يواظـــب**
أطـــاع الخبيـــث النـــذل وحـــاز مـــن	**مكـــاني لديـــه جهـــرة وهـــو غائـــب**

وقال:

غـــدرت ولـــم اغـــدر ومـــا أنـــا خـــائن	**واصـــبح مـــن أرجـــوه لـــي وهـــو غاضـــب**
غرســـــت نخـــــيلا عنـــــدهم واجتنيتـــــه	**مـــن الحنظـــل المـــر الـــذي أنـــا شـــارب**
وكنـــت كمستســـقي ســـرابا علـــى الظمـــأ	**ومســـتطعم مـــن جـــائع وهـــو ســـاغب[1]**

عام ٨٦٦ هـ - الملك الظافر [2] و علي بن حسن الأنف يدافعان عن حصونهم ويستوليان على حصن ثلا .

[قال إدريس بن الحسن] :سار (الملك الظافر) بمن معه وسار الصنو علي بن حسن وتبعه ومن معه همدان واصدر الملك الظافر أيضا عسكر ذمار من الرجال والفرسان مع الحسن بن إبراهيم المقحمي فساروا مبادرين وبلغهم في طريقه مع البشرى أن [حصن] كوكبان قد حفظ من جميع الجهات وانهزم من امّه من التبعات وان صاحب [حصن] ثلا قد حصل في الأسر ومطهر [3] الإمام ما عليه شر فاستبشروا بذلك.... وساروا معه يؤمون مقصده فانتهوا إلى بلاد حصن ثلا فاخربوا منها ما اخربوا..

ولما تفرق الناس.... خرج رجل من بني حجاج إليهم وكان قاتلا لرجل من بيت غفر من جشم [4] فأشار ابن الإمام محمد بن مطهر إلى رجل من جشم من أهل حجرة سعيد [1] فقتله فاحتمى

(١) روضة الإخبار ونزهة الاسمار ص ١١٠-١١١.
(٢) الظافر عامر بن طاهر بن تاج الدين ملك عدن.
(٣) الإمام المطهر محمد بن سليمان الحمزي.
(٤) لم يذكر اسم الجشمي الذي قتل الرجل و لا اسم القتيل ولعله محمد بن حسين الجشمي.

عليه رجل آخر فحمل عليه الرجل الذي من همدان فأراد قتله فلاذ [بقبيلة] عنس فوقع بينهم وبين من حضر من همدان مزاحمه ومقاتلة فحملت خيل عنس فأراد الصنو علي بن حسن وابن المقحمي وابن الإمام أن يدخلوا بينهم للصلاح فوصل حجر من بعض اللعناء إلى وجه الصنو علي بن حسن حفظه الله فشجه وأدماه فلما وقع الحجر في وجه الصنو بادرت همدان على الحاضرين بالسلاح وأرادوا أن يلقوهم بالموت المتاح فنهاهم علي بن حسن وزجرهم ومنعهم عن إثارة الحرب وأخرهم ورجع إلى بيت غفر هو والذين معه من همدان. .

ومع الانصراف مع الذين كانوا من عنس وذمار من الرجال والفرسان ولام بعضهم بعضا على ما كان ولم يعلموا من الذي رمى بالحجر فيحلوا به المنكر واصبح ابن الإمام مطهر وابن المقمحي ومن معهم من العسكر فوافوا الصنو إلى بيت غفر منقودين وقالوا نحن بخيلنا وسلاحنا في طلب عفوك.. فعفا عنهم وصفح وأكرمهم لذلك الفعل سمح [٢] .

وأغفلت كتب التاريخ الفترة من بداية القرن العاشر إلى بداية القرن الثاني عشر ولعلنا أن شاء الله نطلع على بعض المخطوطـات التـي تلقي الضوء على تاريخ هذه الفترة.

أن العقبات التي تواجه الإسماعيلية من ضنك وتضييق لم تكن لأسباب عرقية أو سياسية كما هو سائد في تلك الفترة بل هو أمر عقدي وفكري وهذا متلازم تلازم الليل والنهار فقد سجن رأس الإسماعيلية لذلك السبب بعينه واكبر دليل على ذلك هو أتلاف الكتب التي هي أمتداهم فكريا في من يعقبهم من الأتباع والباحثين، وقد أزعم أنها متأصلة في ثقافتنا العربية فكلما أنتصرت فئة محت من ذاكرة التاريخ أمجاد سابقيها. ففي بداية القرن العاشر الهجري: أوذي الداعي وبعض الإسماعيلية وأتلفت الكتب واحتلت بعض الحصون ثم ما لبثت الأمور حتـى عـادت إلى سابق عهدها.

٩٠٢هـ حبس عبد الوهاب [٣] للداعي الإسماعيلي .

أمر السلطان عامر بن عبد الوهاب الظاهري بتقييد رئيس الإسماعيلية الحسن بن إدريس عماد الدين[٤] الداعي العشرين في دور الستر في مدينة تعز وأودعه دار الأدب [٥] وأمر بإحضار كتبه وأتلافها .[٦]

٩٦٥هـ -إجلاء المكارمة عن طيبة.

فأما الفرقة السليمانية بنجران فقد عرفوا بالمكارمة حين وفد عليهم الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي من طيبة بهمدان اثر إجلائه عنها في عهد الإمام [٧] المتوكل شرف الدين وقد قال الشجني أن الإمام المتوكل على الله قد استولى على معقلهم المعروف بحصن شبام من بلاد حراز. [٨]

---

(١) حجرة سعيد: فهي قرية عامرة بالسكان (همدان – طيبة).
(٢) روضة الأخبار ونزهة الاسمار ص ٢١٦.
(٣) عامر بن عبد الوهاب الظاهري – أحد سلاطين عدن.
(٤) ابن الداعي إدريس بن الحسن مؤلف عيون الأخبار وفنون الأثار.
(٥) دار الأدب: السجن.
(٦) (المذاهب الدينية في اليمن ص١٦٩).
(٧) الإمام المتوكل يحيى بن شرف الدين.
(٨) (أثر دعوة محمد بن عبد الوهاب في جنوب الجزيرة ص١٢٩).

لم يكن المؤرخ موفق في تحديد السنة التي اجلي فيها الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي من طيبة باليمن إلى نجران حيث أن الداعي اجلي في سنة ١١١٩ هـ وليس ٩٦٥ هـ.

قال الدكتور حسين فيض الله الهمداني: وكان[الإسماعيلية] يلاقون اشد المعارضة وانكد الاضطهاد وكانت أملاكهم وأموالهم تنهب ودمائهم تسفك ومنازلهم ومساجدهم ومقابرهم تهدم وخزائن كتبهم تسلب. ..[١]

وبعد سنة الـ ١٠٠٠هـ تعرضت نجران لحروب من قبل الإمام القاسم في سبيل أحتلالها إلا أنه لم يستقر بها وذلك يعود لعدم انسجام سياسي بين الإمام وأهل نجران فما لبث أن فشل وعاد أدراجه .

وقد حاول القاسم [٢] الارتحال إلى نجران في الشمال اثناء وجوده في (برط) بعد أن والاه بعض أهلها، ولكن عند وصوله إليها حدثت حروب "قتل" فيها بعض أصحابه لأن أهلها من[الإسماعيلية]، فلم يستقر بها، وعاد إلى جهات برط [٣].

(١) (الصليحيون والحركة الفاطمية باليمن ص ٨)
(٢) الإمام المنصور القاسم بن محمد بن شرف الدين.
(٣) بين مكة وحضرموت ص٣٣٩.

التاريخ

الباب الثالث

الباب الثالث

وفي أول القرن الثاني عشر الهجري: وتحديدا في عام ١١٢٧هـ وبعد حروب مريرة تم اجلاء الداعي محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المكرمي من طيبة باليمن الى نجران حيث استقر لدى يام واتفق هو و هم على الحلف المكون من المكارمة وولد عبدالله ويام فكون جيشا قويا منهم وغزى وصد غزوات.

(يلاحظ انه يقال حروب يام وغزوات يام – وهو يعني المكرمي وولد عبدالله و اليامي وإنما أصبح اسم الشهره يام كما ورد في كتب التاريخ).

وكان هدفهم استعادة حصونهم(حصن أفئدة – حصن صعفان - بيت انعم - بيت حاز - بيت غفر - حجرة سعيد) حيث لايزال أخوان لهم ببعض تلك الحصون والاتصال بينهم لا يزال مستمرا وحيث لا وصول لهم - اي الجيش اليامي - الا عن طريق تهامة لذا اقاموا علاقات قوية مع حكام المخلاف السليماني وأبرموا حلف وجرت بينهم عهود ومواثيق على التعاون والتناصر بين الطرفين فصار حتما عليهما الوقوف الى جانب بعضهم البعض، لذا استعان بهم حكام المخلاف السليماني وحكام اليمن في بعض الاحيان ولجأ اليهم من أضطهد من الطرفين وربما استعان بهم من أطراف نجد بعض القبائل ممن ينتسب اليهم وغيرهم .

قال الدكتور عبد الله بن صالح العثيمين:...وكانت قبائل نجران اليامية نشطة جدا من الناحية العسكرية ولذلك فان زعماء المخلاف السليماني كثيرا ما استعانوا بتلك القبائل في حروبهم ضد منافسيهم المحليين وخصومهم في الخارج[١].

وقال الدكتور محمد بن عبد الله آل زلفة: من المعروف ان قبائل يام تربطها علاقات موغلة في القدم مع حكام المخلاف السليماني في منطقة جازان حاليا، وحينما نقلت سلطة هذه البلاد الى السيد الادريسي حافظ على علاقاته بقبائل يام مصدر قوة الاقاليم الحربية للحفاظ على سلطة من يتولى الحكم فيه [٢].

وقال محقق خلاصة العسجد: بتحالف الشريف محمد مع يام اصبح في يده الأداة الضرورية لتحقيق طموحاته. [٣] (هو الشريف محمد بن احمد الخيراتي احد زعماء المخلاف السليماني).

١١٠٠ هـ ــ وقعة النوير ومسلع . [٤]

في وقعة النوير ومسلع أغار على بدو أسفل نجران جيش من ذو حسين وبني نوف وسائر دهم وأهل الجوف فتصايحت عليهم رجال يام وأذاقوهم كؤوس الحمام وأوسعوهم قتلا وأسروا وجاءوا إلى نجران منهم بالا سرا وحمل العجمان بخيلهم في تلك الوقائع حملة من لا يخاف الحمام الواقع ويروى أن رجل من آل معيض العجمان (يقال له) حكران حمل بجواده على رجلين فوق مطية وهما رديفان فطعن الأخير منهما بالسنان فخرقه ثم خرق الكور ومضى إلى الثاني وخرق مقدمة الشداد بطعنة واحدة وكان أمره ذلك اليوم عجب وهؤلاء العجمان لهم بسالة وحماسة وصبر وجلد وقوة وفراسة وهم فرسان الطعن والجلاد واحلاس الجياد .

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية الجزء الاول صـ٢٨ـ الطبعة السابعة ١٤١٧هـ للدكتور عبدالله الصالح العثيمين.
(٢) عسير في عهد عبدالعزيز صـ١٧٧ـ الطبعة الاولى عام ١٤١٥ هـ للدكتور محمد بن عبدالله ال زلفة.
(٣) مقدمة خلاصة العسجد صفحة ٥٤.
(٤) جلاء الأفكار (محمد عبدالله سليمان المكرمي) والتاريخ ١١٠٠ هـ على وجه التقريب.

١١١٠هـ وكان قد ظهر في برط رجل يدعى عبد الله بن الناصر وأجابه قبائل دهم ووائله وعاضده الشيخ قاسم بن الصلماء وقصدوا نجران ولما بلغ النذير إلى يام وهم في غفلة احتشد أهل الوادي للقاهم وهم في قلة وكان الشيخ نوبان بن دلهم وقومه بعيدين في الرملة وأما سائر البدوان فهربوا بأنعامهم وأهلهم إلى خلف حبونا ولم يجتمع إلا قليل من أهل الحضر من حبونا ونجران ولما التقى في رجلاء وطن آل منصور الجمعان ودارت بينهم رحى الحرب كانت الدائرة على يام وانكسروا إلى المخلاف وقتل منهم عدة في المغار وانكف الحرب في ذلك اليوم ولما انشق عمود الصباح تدانا الفريقان للحرب والكفاح وأصدقهم الياميون الحملة فانهزم الأعداء بالجملة واخذوا عليهم مطايا وجندلة طائفة منهم المنايا وأرادوا أن يلحقوا بهم في المجال فمنعهم عن ذلك العقال والمشايخ خوفا لقلتهم وكثرة أعدائهم وفي تلك المعركة قال الفقيه علي بن هادي بن سدران شعرا بعث به إلى الداعي بدر الإيمان محمد بن إسماعيل ألمكرمي :- [١]

عظيم النصر من رب الأنـــــام	**بأيدي الغشم من أولاد يـــام**
حما الوادي العتيق من الأعادي	**نذودهم كذود الســـــــوام**
دعونا فاستجبنا هم سراعــــا	**وحزناهم عن الماء والطعام**
وتربنا من الأعداء وجوهــــا	**وسلبنا من الأجساد هــــام**
بمعركة يثور النقع فيهـــــا	**يشيب لهولها رأس الغــلام**
كأن رؤوسهم رؤوس الضحايا	**غدات النحر من البلد الحرام**
فأشبعنا سباعا جائعـــــات	**تهادا اللحم من عام لعاـــم**

حتى قال :

وإنا دعوة المولى علي	**وصي المصطفى خير الأنام**

١١١٩هـ ثم ارتحل الداعي (محمد بن إسماعيل) إلى الشط [٢] عن نجران وحل بالدرب المعروف بحيان وعمَّر هناك مسجد شامخ وأقام هناك ثلاث سنين وبعد ذلك رجع إلى نجران وقد أشار إليه الفقيه (جابر بن مانع بن قطيان) بعمارة الحصن المقابل لسلوة وهو بسم العرجاء (والعان) وهو آثار محل قديم وكان ماوئ للسراق والهوام فعمره وسماه قصر(سعدان) وانتقل إليه وكان ذلك في سته وعشرين من ذي الحجة من عام ١١٢٢هـ [٣]

(١) جلاء الأفكار (محمد عبدالله سليمان المكرمي) والتاريخ ١١١٠ هـ على وجه التقريب حيث أن وفاة الداعي محمد بن إسماعيل ١١٣٠هـ.

(٢) شط آل سلوم : شط الوادي كشط النهر جانبه وال سلوم قبيلة من يام وهذه القرية في وسط وادي حبونا وأصبحت تسمى (حبونا) (كتاب بين مكة وحضرموت صفحة ٢٠٤) عاتق بن غيث الحربي

(٣) جلاء الأفكار (محمد عبدالله سليمان المكرمي).

ويظهر لنا أنه في عهد الإمام شرف الدين في القرن العاشر وما بعده عندما استولى على حصون ومعاقل الإسماعيلية تحول الأفراد إلى نجران عند أصحاب دعوتهم هناك من الإسماعيلية النجرانية...وبوصول الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي إلى نجران تولى السلطتين الروحية والزمنية وأيقظ النشاط الحربي في النجرانيين وهم المعروفين بالغارات والغزوات فغزى بهم إلى نواحي حضرموت وبعض أطراف نجد .[١]

ذكر صاحب كتاب جلاء الأفكار ونقطة بركاز الأخبار (محمد عبدالله سليمان المكرمي) : (في يام قولا حميدا) ويقول فيهم هم أهل الجود والإكرام المعروفين به عند جميع الأنام وأهل الشجاعة والإقدام ولا سيما عند ملاقاة الأقران وتزلزل الأقدام ولهم الولاية الصحيحة لأولياء الله والعقيدة الخالصة الصريحة وهم ممن يغيث الملهوف ويفعل المعروف ويقرئ الضيوف ويحمي الجار ويؤمن الخائف إذا استجار وممن يحفظ الحرمة ويفي بالذمة ويتبع الأئمة (ويام من قديم الزمان باقون على التشيع والولاية إلى هذا الأوان) .

ولم تزل القبيلة اليامية بسعد داعيها منتصرين وهم في الغزوات على أعدائهم غير مقصرين ولم تبرح غاراتهم تغير إلى مأرب والجوف وحريب وبيحان وحضرموت والكرب ونجد وبلاد قحطان يوسعوهم قتلا وأسرا ويزيدهم الله قوة ونصرا وفي ذلك يقول شاعرهم شعرا :

سيلي من العرضين جاء متكبر   **شل الغثا من الابرقين إلى كلب**
فـــإلى بلاد المصعبين ومأرب   **إلى نواحي حضرموت والكرب**

وفي ١١٤٢هـ - استولى اسماعيل بن هبة الله [اصبح فيما بعد الداعي السليماني الرابع والثلاثون]على بيت الفقيه .[٢]

وقال صاحب كتاب مائة عام من تاريخ اليمن الحديث [٣]: هل ينسى ما حل ببيت الفقيه على يد قبائل يام من نجران بعد ما فتحت لهم حاشد الطريق وانضم إليهم أحمد بن محمد ابو منصر صاحب ذئبين [٤] .

واستشهد بقول أبن الأمير [٥]:

هـــل ينســـى أحـــد بيـــت الفقيـــه وقـــد   **صـــكت بأخبـــار يـــام فيـــه آذان**
كـــم عزيـــز أذلـــوه وكـــم جحفـــوا مـــالاً   **وكـــم ســـبيت خـــود وصـــبيان**
فالنضـــم يعجـــز عـــن حصـــر لمـــا دخلـــت   **مـــن مـــواطن فـــي أخبـــار قـــد كـــانوا**

قال عبد الرحمن البهكلي:

---

(١) نجران في أطوار التاريخ ص١٢٣

(٢) خرج على الإمام الزيدي قوم من وائله يقدمهم الشيخ حليس بن حازب بن جعران وهو رجل صاحب طيش .... وسمي ذلك الرجل نبي وائله الذي تنبأ عند ابن جعران وأرسل الإمام الزيدي إلى الداعي يستنجد به فأرسل الداعي الفقيه السامي جابر بن مانع بن قطيان ومعه جماعة من الأعيان . (جلاء الأفكار) لمحمد عبد الله سليمان المكرمي.

(٣) كتاب مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ص ٩٨.

(٤) بلدة في اليمن.

(٥) محمد بن إسماعيل بن الأمير.

إنما كان الباعث لهم على الوصول أن حصل بينهم وبين الخليفة المنصور [*] خلاف شانه يطول ، بسبب انه قد اقطعهم بلاد حراز بأسرها من جبال اليمن لنصرهم إياه في ابتداء دولته بعد وفاة والده لانه عارضه في الدعوة جماعة من آل الإمام فاخذوا عليه البلاد وأطاعهم جميع العباد ولم يبق في يده إلا مدينة صنعاء حتى وقع الحصار عليه بها برهة من الدهر فاستدعى يام والمكارمة [**] من نجران وحصل له على يدهم النصر فطردوا جميع المحاصرين له ، واسترجع البلاد على اكمل الوجوه فاقطعهم تلك الجهة مقابلة فيما صنعوه ثم عنّ له الرجوع في ذلك وثنى عنانه عما هنالك وصمم على أخذها فوقعت بينهم فتن أدى الحال فيها إلى نزولهم التهائم ونهبوا بيت الفقيه ابن عجيل ، وبندر الحديدة ، واخذوا جُملا مستكثرة من العروض والدراهم والبهائم . [٣]

ولكن صاحب كتاب مائة عام يقول:

وكان المنصور[*] حين بلغه العدوان على بيت الفقيه قد أرسل بعساكر ومدد عاجل من صنعاء وتمكنت هذه العساكر من الإيقاع بقبائل يام في موضع يقال له المحمره من طرق تهامة واستعادوا ما سلبوه بعد أن هزمت يام إلا أن الهجمات التي جاءت بعد ثلاث سنوات لم تلق من يتصدى لها.

في الحقيقة لم يكن سبب انسحاب يام من بيت الفقيه هو الهزيمة كما ذكر صاحب كتاب مائة عام من تاريخ اليمن الحديث بل أن حرب أخرى كانت في انتظارهم لا تحتمل التأجيل كما سنرى. ..

وأثناء فتح بلدة بيت الفقيه [٥] من قبل إسماعيل بن هبة الله جاءته خلال ذلك الوقت كتب من الشريف الحسني[*] محمد بن أحمد مسرعة يذكر فيها...أنه في وقعة بني حرة وعره[**] وانه في أمر شديد محصور وسط القوم فلم يرى الداعي إلا إسعافه واستنقاذه .

[*] هو الإمام المنصور الحسين بن القاسم.(وقد عارضه الامام محمد بن اسحاق بن القاسم)(وورد أن الذي عارضه هو اخوه أحمد بن القاسم) .

[**] خرج الداعي إسماعيل بن هبة الله المكرمي ومعه الفقيه الفاضل جابر بن مانع مقادمة للجيش اليامي عندما استنصر بهم الإمام الحسين بن القاسم عام ١١٣٩هـ "السيرة الضيائية"، توفي الفقيه ضياء الدين جابر بن مانع بن قطيان وقبر في أبي عريش فأعلى الله قدسه في دار مآبه وألحقه بدعاته وكان صاحب رتبة عالية ومنزلة سامية ولم يكن فوقه إلا خليفة الداعي وصاحب الدعوة الهادية وكان انتقاله في ٢٦ من شهر محرم أول عام ١١٥٦ هـ وله ثلاثة من الأولاد الفقيه علي بن جابر بن مانع قتل في أبي عريش ودفن إلى جنب والده عام ١١٧٤ هـ والفقيه حسام الدين حسين بن جابر بن مانع بن قطيان توفي في عام ١١٨٤ هـ والفقيه احمد بن جابر بن مانع بن قطيان (جلاء الأفكار) لمحمد عبد الله سليمان المكرمي.

(٣) خلاصة العسجد صفحة ١٣١.

(٥) نقلا من بعض السير المخطوطة (السيرة الضيائية).

[*] الشريف الحسني محمد بن احمد الخيراتي.

[**] قد تكون قبيلة الحّرّث والقطبة.

قال العقيلي في تلك الوقعة:

وعند وصول "يام" إلى مور والأمير محمد قد لزه الأمر وكادت الحرث والقطبة تستأصل قواته علم بعودتهم فأرسل من يستدعيهم فلبوا دعوته وسارعوا إلى نصرته فدك بهم قبائل الحرّث... ثم قصد بهم المعنق ففتك بالقطبة فتكاً ذريعا وأجلاهم عنه وهدم قلعتهم. [١]

المنصور الحسين بن القاسم يحاول حصار حصن أفئدة:

وفي [٢] حصن افئدة [***] المنيع كان علي بن هبة الله لما حط عليها همدان بأمر الأمام المنصور الحسين بن القاسم أمام صنعاء وحصروه وهو في الحصن المذكور بأهله وعياله.... فصار يرمي الرومي رميا مصيبا وهدم ركن الحصن وهال ذلك الرمي علي بن هبة الله وأهله كاد انه لو رمى به ثانية هد ثابت الحصن وقويمه فلما رأى علي بن هبة الله ذلك قام مسرعا ودعى الله سبحانه متضرعاً... فاهلك الله ذلك الرامي حين أراد يرمي ثانية لأنه فض المدفع وقتل راميه وخاب ضن الفئة الباغية.... وكان وصول أخيه إسماعيل بن هبة الله وبوصوله دفع عن أهل الحصن كل سؤ وأذية.

... احتركت يام مع المكارمة للنزول على بلاد الإمام مرة أخرى فتلقاهم الشريف إلى أطراف بلاده ، وتوسط الحال بينهم وبين الإمام وحسم مادة الخلاف والخصام ، وارجع الإمام لهم بعض الإقطاع مما طابت به نفوسهم وصلحت عليه أمورهم . وأكد الشريف بينه وبينهم المواثيق وانهم أعوان على كل أحد حتى لو ظهر عليه خلاف من الخليفة كانوا أعوانه ، وهو كذلك فالتأم حالهم واتحد. (٦)

قبيلة ذو حسين تفرض الحصار على قلعة صعفان:

[٥] في عام ١١٥٧هـ أراد الإمام [*] أن يقبض قلعة صعفان [**] المسمى بمتوح [***] من تحت أيدي المكارمة فأغرى ذو حسين بأن القلعة لهم أن هم أخذوها من المكارمة بقوة أيديهم فخيب الله الجميع المطاع منهم والمطيع... وقد بلغ الداعي هبة الله بن إبراهيم [****] [الداعي السليماني الثالث والثلاثون [بما تألبوا عليه بأمر الإمام وبما أضمروه من الأمور فقدم ولده

---

(١) المخلاف السليماني ص ٣٩٣.
(٢) نقلا من بعض السير المخطوطة (السيرة الضيائية).
(***) حصن للمكارمة بطيبة.
(٦) خلاصة العسجد صفحة ١٣٥.
(٥) نقلا من بعض السير المخطوطة (السيرة الضيائية).
(*) الامام المنصور حسين القاسم.
(**) صعفان جبل في حراز.
(***) متوح حصن في جبل صعفان.
(****) كان سيدنا هبة الله بن إبراهيم المكرمي في بلاد شهارة بالاهنوم فاستأذن إمام الزيدية واتى على طريق حوث وسحار ووصل في تسعة عشر ربيع الآخر عام ١١٢٩ هـ وأقام ليله بالموفجه والعمورات وبنو حشيش (وأقاموا) له بالضيافات وفي اليوم الثاني أقام عند أهل زور آل الحارث ثم عند أهل الصفاء في اليوم الثالث ثم نهض إلى سلوة وأضافه القاطنون بها من آل عمرة وأيضا آل مكحول وال كلثم وال طفاف وانتقل بعد شهر إلى قصر (سعدان) (جلاء الأفكار) لمحمد عبد الله سليمان المكرمي.

الحسن بن هبة الله [أصبح فيما بعد الداعي السليماني الخامس والثلاثون] حيث أن أخيه إسماعيل بن هبة الله تأخر لجمع الأجناد من الخيل والرجال فوصل الحسن بن هبة الله في موضع يقال له مقربة فالتقى هو وأصحابه والقوم ذو حسين وهم ممتنعة بالمتاريس مترتبة وهم كانوا في قوة عظيمة العدد... والحسن بن هبة الله في مائتين وخمسين أو سبعين رجل كمي [٢] لا غير ذلك كما يعلم الله الأحد الصمد فالتقى الجمعان وقد كانوا يزعمون أن ينكسروا يام ولذلك وايم الله ظن بعضهم اعني يام الكرام لقلتهم وغربة بلدهم وقلت عددهم وازوادهم فبينما هم كذلك إذ حمل الحسن عليهم حملة حيدرية لما سمع قائلا يقول هل يحسن اليوم الحملة العلوية فحملوا معه أصحابه الجميع يام كحملة ضرغام.....وقد قتل من ذو حسين كم قتيل ثم ألقوا يد السلم وقد لاحت بذلك اليوم اللوية النصر والفتح من أجناد المكرمي إسماعيل فوصلوا وقد انهزموا الكافة وقتل حين تولوا بالأدبار منهم قدر خمسين وزيادة بذلك النهار. .

وقد قيل في ذلك شعراً:

وهناك جعلت مواعيد اللقاء   عن لمس كل مقاتلٍ ومعانق

كتحكم الداعي أبا إسماعيل في [٣]   رفع المطيع وخفض كل منافق

وإقامة الشرع الشريف كما أتى   عن باقر وعن الإمام الصادق

وعن النبي محمد ووصيه   وعن الأئمة في الطراز السابق

وجهاده لذوي العناد لأنه   بالنصر من مولاه عين الواثق

إذ رام [٤] ضد الحق يمحي رسمها   واتا بأمر لم يكن بموافق

في جحفلٍ كالبحر في أمواجه [٤]   وعساكر من قومه وفيالق

في ذروة الأشراف مع يام الأولى   أهل الولاية واليقين الصادق

ومن (أولاد) عبد الله جمعاً وافراً   وجميعهم من تحت ظل بيارق

عقدت بأقوى ساعة يمنيةٍ   عن مادة طرقت بنصر الرازق

وهناك خرقوا البلاد فلم يكن   فيها لهم عن قصدهم من عائق

حتى علوا صعفان وانخلس الذي   قد كان حل به انخلاس السارق

وهناك اقتلعوا البلاد وانزلوا   نجل البرية من الرفيع السامق [١]

---

(٢) كمي: شجاع.
(٣) يقصد بالداعي هنا هبة بن ابراهيم
(٤) إذ رام – أي إذ أراد.
(٤) الجحفل - الجيش.

إذ كـــان هـــو أصـــل الفســـاد فصـــار فـــي　　　مـــا قـــد جنـــاه بذلـــة ومضـــايق

والـــيهم مـــن بعـــد ذا زحـــف العـــداء　　　(بمواكـــب) محشـــورة بخلائـــق

مـــن ذو حســـين ومـــن بكيـــل جمـــيعهم　　　مـــن كـــل أشـــر أطلـــس مـــائق

وتوقلـــوا شـــق الـــبلاد بضـــرةٍ　　　وطمـــوا عليهـــا كالغبـــار الأفـــق

وبـــرأس مقربـــةٍ توافـــق جمعهـــم [٢]　　　وجـــرى اللقـــاء مـــا بيـــنهم بتعـــانق

وتنـــازلوا وتقـــاربوا وتواثبـــوا　　　والـــروم تخـــدم بيـــنهم كصـــواعق [٣])

بثالـــث الأيـــام اختلطـــوا معـــاً　　　وجـــرى اللقـــا مـــا بيـــنهم (بتوافـــق)

وهنـــاك ولـــوا مـــدبرين علـــى الـــورى　　　مثـــل الوســـيق يخـــاف ضـــرب الواســـق [٤]

---

(١) السامق - العالي.
(٢) (مقربه) بلدة في اليمن.
(٣) (الروم) البنادق الرومية.
(٤) (الواسق) السائق - (الوسيق) المسوق.

إطلاق الوجيه عبد العلي [١] من السجن.

بعد انتقال علي بن هبة الله زعم [الإمام] [٢] انه لم يبق للمكارمة عليه وعلى أمثاله يد عالية فانتزع ما تحت أيديهم من القطع عنوة وهي أعني قطع...المكارمة التي استردها [الإمام] المذكور حاسبا بأن لم يبق لهم قوة وقد انوى أن يحبس منهم أهل طيبة الحسن والوجيه عبد العلي وعيال المنتقل (أي علي بن هبة الله) وغيرهم من غر المكارمة النخبة فلما بلغ المكارمة المذكورين ما نوى [الإمام] اتخذوا [اللجوء] إلى بلاد والدهم هبة الله الاستعداد والاهبة وكان [الإمام] ترك لهم رقباء يرصدون لهم على الطريق في بلاد دهم وحاشد وهمدان عصبة بعد عصبة فعميوا لم يرهم أحد...فوصلوا نجران المحروس وتأنسوا في حضرت تخت الداعي المذكور المأنوس غير الوجيه عبد العلي فأنه...لم يسعه التأخر بل قدم فادياً نفسه على الداعي هبة الله وأولاده الميامين لأن مع بقائه كان سلامتهم أجمعين فسار إليه وهو في صنعاء وكان أعني [الإمام] مستعد مجهزاً على حاشد فسار معه إلى أن رجع منصور فسأل [الإمام] عبد العلي عن حال السائرين إلى نجران وقال أنهم ساروا بغير رأيه وجعل ذلك عذرا وأمر بحبس عبد العلي المذكور وتقييده وهدم دور الدعوة التي في طيبة سهلا ووعراً وكم آذى [الإمام] الوجيه عبد العلي من القيد... وبكل أمر نكير فخرج إسماعيل بن هبة الله بالأجناد اليامية...فأخذ بعض بلاد [الإمام]... وقد كان إسماعيل بن هبة الله منوي بلاد [الإمام] الخاصة من السهل والجبل أجمعين ولما تحقق خذلان الإمام من الله ومن وليه فألقى يد السلم إليه واعطاء الدراهم لبناء القصور ورد القطع من غير تمهل ولا كسل فجدد عمارات [دور] الدعوة اعظم مما كانت طولا وعرضا على يد الوجيه عبد العلي وأعطاه من الكساء والدراهم واركبه غر الجياد دهما وبيضاً .[٣]

---

(١) هو سيدنا عبد العلي بن الحسن بن إسماعيل بن إبراهيم المكرمي وقال مخاطبا قيده (بلغز عجيب):

ولي عدو ولكن من تواضعـــــه	يدنوا على ساقي ويلثمـــــــه
امشي فيمشي معي لكن له زجل	يحكي خطاب ولكن لست افهمه
أظنه يوهم الواشي ويشعـــره	إذا نطقت فسري ليس يكتمـــه
أخشى من البرد يغشاه فيثلجـه	فافرش العهن حوليه واخدمـه
عجيب منه ومني أن ذا عجـب	يهينني وأنا بالرغم أكرمـــــه
يظن قلبي جبان لا وحق أبـــي	لاصبرن لكي ينفك مبهمـــــه
ولي الاه تعالى لا يضيعنـــــي	يارب عبدك عبد العين فارحمه

(جلاء الأفكار) لمحمد عبد الله سليمان المكرمي.

(٢) الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن شرف الدين.

(٣) نقلا من بعض السير المخطوطة (السيرة الضيائية).

١١٥٧هـ لجوء الشريف محمد بن احمد الخيراتي الى نجران بعد استيلاء حوذان على المخلاف السليماني

أشار [الإمام] (١) المذكور على الشريف (٢) حوذان، بأنه يأخذ ولاية تهامة من (إبن) أخيه الشريف محمد (بن أحمد) من غير توان، وذلك بعد رجوع سيدنا [إسماعيل بن هبة الله] وأخيه [الحسن بن هبة الله]، بعد الصلح بين [الإمام] وبينهما واثبات التقارير التي كانت للداعي منه على يد الشريف محمد المقدم ذكره والشأن، لان هذا الشريف كان بينه وبين الداعي هبة الله من عهد أبيه الشريف احمد عهود أنه لا يتجاوزه فيما يأمره الداعي ولا يتعداه والسبب في ذلك أن ولاية أبي عريش وما والاها لم يولي الشريف أحمد المذكور [الإمام] إلا لأجل سيدنا الداعي المذكور الذي كان سعيه عند [الإمام] مشكور فكان حوذان المذكور يحاول الشريف احمد ويجاوره، في الأحجام، والأقدام ويكابره ويجاكره وينافره، والشريف أحمد المذكور كذلك يتساهل من أمره ويصاغره إلى أن أزعجه من تحت مملكته إزعاج القاهر المقهور، فخرج - أعني محمد المذكور- والتجاء بالداعي هبة الله وبقى قدر شهرين في محروس نجران بخيله ورجله مع الأشراف والخدم والعبدان، فاستنار بذلك سراج الداعي في الآفاق والأنام، ولكون الشريف لم يكن إلا مشهوراً ما بين اليمن والشام (٣)، إلى أن خرج بالداعي إسماعيل الذي في معاليه وايم الله سبحاً طويل، وصحبته قدر آلف من يام البهاليل، وهو- متعنا الله بحياته – في معاونة الشريف المذكور، وأما حوذان فكان قد ظن أن لا يزول وأن لن يحور عن أبى عريش ولن يبور، وكذلك كان وأيم الله جميع الناس يظنون حتى أهل صعدة على المسافرين إليها من يام يضحكون، ويقولون بحوذان جاء على يام المنون، واكثر أهل الدعوة القاصرين النظر يظنون أن حوذان هو الغالب الاغلب، لكون [الإمام] يمده بالرجال والأموال من غير ريب، ثم كونه في قدر أربعة آلاف ما بين خيل ورجل معه موجودة من أهل سحار والشام، وهؤلاء قليل وأي قليل.....حتى أنه - أعني [الإمام] - كان يوحي إلى جميع الخولان والعرة والشام بأنهم يطردون من بلادهم أجناد الداعي ويذيقونهم كأس الخزي والملام، وأنه قد أوحى إلى علي(٤) بأن [يجمع] من سحار قوماً كثير من أولي البأس والنجدة، فتلاقوهم مقادمة يام المذكورين، فبدؤهم برمي البنادق والنصال ونيتهم بالفساد معترضين، فلما سمعوا رميهم المتأخرين من أصحاب الداعي ويام فحملوا من هناك حملة تشيب من هولها الأطفال فاصبحوا أصحاب علي المذكور به هاربين، ورجعوا ما بين مصروع ومقتول ومقطع أذنه أو أنفه أو اليمين، ونهب بعض من السلاح والمدافع منهم الأجمعين، حتى انهم خافوا أن تؤخذ مدينتهم صعدة ولكن لم يكن للداعي فيها إرادة... ثم رحلوا من هناك إلى أن وصلوا حرض، فاخذوا واليها وقد كفى أهلها حزن ومرض، ثم وصلوا موضع يقال له جحا (٥) فالتقى فيها الجمعان من أجناد الداعي وأجناد حوذان، فانكسر المذكور وكان في أربعة آلاف ما بين رجل وخيل وقتل قدر مائتين.. وروى أن اكثر عسكر حوذان أخذهم الرهب. ثم أن [الإمام] الحسين (٦) لم يزدد بهذه. ..إلا عتواً ونفوراً ولم يزل يغري أهل الشام على الشريف محمد (٧) المذكور الذي أقامه الداعي واصلح له كل ما أفسده عمه ظاهراً من أمور ومستور، ولم يزل أهل الشام يغيرون على بلاد الشريف... فخرج الشريف، وقد كان [منعه] الداعي (٨) عن الخروج إلى بلاد الإمام [منعاً] لا يسعه عنه تحريف،

---

(١) الامام المنصور الحسين بن القاسم.
(٢) الشريف الحسني حوذان بن محمد الخيراتي .
(٣) اليمن المقصود هنا الجنوب والشام يقصد به الشمال.
(٤)هو السيد جمال الدين علي بن أحمد القاسم بن علي وكان آل احمد بن عبد الله وال حسن بن ناصر(الحمزات) (أهل عويره) على علاقة بأمير صعده وقد نفر الناس من سلوكهم سيما قبيلة جشم.
(٥) بلدة في تهامة.
(٦) الحسين بن القاسم بن شرف الدين.
(٧) محمد بن احمد امير ابي العريش
(٨)هبة الله بن ابراهيم

فلم يبال الشريف المذكور، وقد أفسد من مؤمني الدعوة كل ذي سعي مشكور، فلما وصل صبيا وهي كانت من بلاد الإمام تلاقى هو بالقتال وأهل الشام، فرجع خائب مكسوراً ذائقاً طعم الذل منهم والهوان لخلافه على الداعي مقهوراً.... ثم أن أهل الشام زادت شقوتهم يغيرون ليلاً ونهار [فاخبر] الشريف الداعي و[اخبر] الداعي [الإمام] فلم [يفعل الإمام]،... حينئذ فسح الداعي للشريف فخرج معه يام الكرام، فقتلوا من أهل الشام قتلاً ذريعاً، واخذوا صبيا وبلادها وقد كانوا بزعمهم أن ذلك الموضع منيعاً...فلما سمع خبر ذلك [الإمام] اقشعر جلده وقال أن لا بد عقب هذا الفعل من السوء على الداعي والمكروه، فأهلكه الله تعالى من خلال تلك النية .[1] وكذلك الشريف المذكور، لما خرج بغير رأي الداعي باء بالحظ المخسور، وكان قد قتل في تلك الكسيرة عمه الشريف مبارك إذ كان أراد أن يعاون الشريف فلزموه أهل الشام [2]، وقطعوا رأسه وجاءوا عليه بكل نكيرة .[3]

والحال أن يام والمكارمة لم يكن في بالهم إسعاده على اخذ صبيا ومخلافها لمواثيق قد جرت بينهم وبين الخليفة لا يقضي الشرع ولا العرف بإخلافها .(فقتل عمه الشريف مبارك اثناء غزوه لصبيا) [4]

ويذكر العقيلي استيلاء حوذان على المخلاف السلمياني ولجؤ الشريف محمد بن أحمد إلى نجران وخروجه مع يام إلى أبي عريش:

عاد الأمير حوذان من اليمن إلى أبي عريش في أول عام ١١٥٧هـ يحمل الأمر السري بعمالته على المخلاف ومكث يوالي الاتصالات ويرتب الأمور ويشجع رجال المقاومة وعناصر المعارضة حتى تم كل شيء، وعند ذلك أستأذن ابن أخيه في الخروج إلى مزرعته ولم يتوقف إلا في صبيا. ادلج ليلاً، فلم يلح صبح يوم غرة جمادي الأولى عام ١١٥٧هـ إلا في مدينة صبيا فألقى القبض على عاملها وكبله بالحديد وأعلن أمر الإمام بعمالته على المخلاف فأقبلت إليه كافة أعيان ورؤساء صبيا ومخلافها، وفي مقدمتهم الخواجية والنعامية . وبنو شعبة [5] وكان بعض جموع بني شعبة قد وصل إلى قرية السلامة ومعهم حلفاؤهم من أهل صلب وبني جونه فاشتد بهم أزره وقويت شوكته. ووصلت الأخبار إلى ابن أخيه فكانت مباغتة غير منتظره وإنما ادرع بالحزم وتجهز من وقته إلى صبيا فتقدم لملاقاته أحد أعمامه وأوقفه في هجرة ضمر بغية السعي في الصلح وانتهى السعي بأن يعود الأمير محمد إلى أبي عريش لمدة ثمانية أيام عسى تتمكن الوسائط السلمية إلى الاتفاق. وانتهت الأيام الثمانية بدون الوصول إلى اتفاق، وفي ليلة السبت الموافق ١٧ جمادي الأول ١١٥٧هـ تقدم الأمير حوذان على رأس جموع آهل صبيا ومخلافها وبني شعبة ومن معهم التي هبت لمناصرته إعراباً عن استيائها وسخطها ضد سياسة ابن أخيه إلى أن وصل إلى قرية البديع، وهنا وافاه الخصم الأول لابن أخيه وهو الأمير أحمد بن خيرات القطبي، وأنضم على رأس أنصاره إلى الجموع المهاجمة وبعد مناوشات وقتال انتهى بمعركة دارت رحاها قرب قرية العقدة أنهزم الأمير محمد إلى أبي عريش التي حصنت واستعدت للحصار فتقدم الجيش المهاجم وضرب نطاق الحصار على المدينة إلى ١٠ شعبان عام ١١٥٧هـ وتم التسليم على الشروط الآتية:

١-أن تسلم البلاد إلى أمير الأمام (حوذان).

---

(١) يشير إلى وفاة الامام الحسين بن القاسم.
(٢) الشام يعني أهل الشمال.
(٣) نقلا من بعض السير المخطوطة (السيرة الضيائية).
(٤) خلاصة العسجد صفحة ١٦٧.
(٥) الخواجية والنعامية وبنو شعبة من قبائل تهامة.

٢- أن يخرج الأمير محمد إلى حيث أراد.

وفي يوم ١٥ شعبان خرج الأمير محمد من أبي عريش قاصداً نجران ، وكان رئيسهم يومئذ القاضي هبة الله بن إبراهيم المكرمي فلما وصل الشريف إلى نجران تلقاه جميع من به بالإكرام ونهاية الرعاية وغاية الاحتشام ووعده القاضي بالمناصرة له بمن يريده من الاجنادوظلت أيام قدومه عندهم كالأعياد،يشهدها الحاضر والباد فلما بلغ الخليفة (وصوله إلى هناك) عظم عليه الأمر من حيث انه قد بذل في سد الطرقات عليه أموالا جزيلة .

وإذ قد ورد عليه-أي حوذان- الخبر اليقين بانفصال الشريف من نجران بجند لا يجاوز الالف حاملين لكاس المنية الممزوج بالحتف ، وصحبته أولاد القاضي هبة الله إسماعيل واخوه حسن واخوه عبد الله مقادمة للجيش فلما وصل إلى أطراف مدينة صعدة لقيهم السيد الماجد جمال الدين علي بن القاسم بن علي بن وقد جمع جموعا من قبائل سحار قاصدا لمنع الشريف عن المضي والاستمرار لمواطاة سبقت بينه وبين الخليفة المنصور فناوشوه القتال وأصبحت رحى الحرب تدور فكانت الدائرة على أصحاب بن الإمام فولوا منهزمين ولم ينجيهم إلا سورمدينتهم الحصين (١).

"وفي شهر ربيع الأول عام ١١٥٨هـ" اخذ الأمير حوذان في الاستعداد والتأهب وحشد أنصاره وأخذ أهل القرى اليمانية من شمال حرض إلى خبت المسرحي في النزوح عن قراهم ونزح سكان بندر جازان إلى فرسان،وفي أخر ربيع الأول تواردت الأخبار بوصول الأمير محمد إلى حرض، وبعد محاصرته لمدينة حرض ثمانية أيام سلمت المدينة حاميتها ودخل المدينة. خرج الأمير حوذان من أبي عريش على رأس حشوده حتى خيم في قرية الدامغ (التهامية)، أما الأمير محمد فعندما علم بنزول عمه في الدامغ خرج من حرض وأحتل قرية البدوي(التهامية) ، وكانت منه حركة بارعة أوقعت الاضطراب في خطة دفاع عمه واضطره إلى الرحيل من قرية الدامغ والرجوع غرباً لصد تقدمه حتى عسكر قبالته في قرية جحا، وهكذا ظل كل منهما متهيباً الهجوم على معسكر الآخر. وفي عصر السبت الموافق ٣ جمادي الأول ١١٥٨هـ أبتدأ الأمير حوذان بالهجوم وسرعان ما تراجع مهزوماً وتفرق أصحابه، وتقدم جيش أبن أخيه واستحل مخيمه ونهب خيمته وأمتعته، أما هو فعاد إلى أبي عريش وتحصن في القلعة ومكث ثمانية أيام واصل في خلالها ابن أخيه تقدمه إلى مقاب (التهامية)، وعندها طلب حوذان الأمان لنفسه فأمنه ورحل إلى اليمن وكتب إلى الإمام يرجوه إمداده بقوة فلامه الإمام على خروجه بمثل تلك السرعة ونسب أسباب هزيمته إلى ضعف همته وقلت عنائه فيئس حوذان من نصره وصالح ابن أخيه وعاد إليه ... في أواخر شعبان من عام ١١٦٣هـ يتجهز من أبي عريش يرافقه عمه حوذان في فرسان الحملة فأقام الأمير أياماً.. ثم عزم على ما نهض من اجله وهو القبض على رؤساء النعامية - الذين ساعدوا عمه حوذان مع الخواجين وبني شعبه - فشعر كبير النعامية الرئس الحسن بن إبراهيم فنجا بنفسه إلى درب بني شعبه....أشرنا قبل أن الأمير حوذان كان ضمن فرسان الحملة وهنا عندما تم تنفيذ العقاب على النعامية أدرك انه السبب المباشر وأنه لا شك آت دوره فشد الرحال ليلاً ولم يصبح في محله. أرتاع الأمير لفرار عمه ظاناً أنه لحق بخصومه الآخرين بني شعبه.فشدد وراءه الطلب فلم يدركه وأخيراً تحقق له انه لحق بالمروة.... من بلاد الحرث، عاد الأمير إلى أبي عريش وافرغ اهتمامه بشان عمه حوذان الذي قام من المروة يشن الغارات على أطراف المخلاف الجنوبية فشكى المسارحة على الأمير من تعدياته فتبرأ منه وقال لهم قد أبحت لكم دمه فاقتلوه فقالوا للأمير إن له أهلا غيرك فإذا تبرأ من دمه جميع أقربائه قتلناه فأرغم الأمير جميع آل خيرات على البراءة منه. (٢)

---

(١) خلاصة العسجد صفحة ١٥١/١٤٧.

(٢) المخلاف السليماني ج ١ ص ٣٩٣.

١١٥٩هـ خروج يام إلى قبيلة الجحادر على موارد الماء. [١]

(الجحادر) [٢] قوم كثيرة الغزوات منعوا قبائل يام البدوية، عن ميراد الماء (الذي) كان بينهم في القسمة السوية، ولم يبالوا من أحد ولا يخافوا من باري البرية، أعجبتهم كثرتهم وأطربتهم قوتهم وكبرتهم، إلى أن آل الأمر بالمقهورين من يام المذكورين أن التجئوا إلى سيدنا الداعي [هبة الله بن إبراهيم] مشتكين مستنجدين فوجه سيدنا هبة الله ولده سيدنا الحسن بن هبة الله ومعه زمرة من أصحابه يام بن يصبأ، فلما وصلوا بلادهم مالوا إلى السلم أولئك القاهرون من الجحادر فلا ناضلوهم لا طعناً ولا ضرباً، بل القوا مقاليدهم في يد سيدنا الداعي، وأذعنوا بتسليم الحقوق الواجبة المرعي منهم والراعي فطابت لهم المساعي.

١١٥٩هـ محاولة استيلاء الشريف على صبيا:

ومازال الأمر في اتساع، والتباين في إستتباع، والشريف محمد بن أحمد يوجه همته إلى تملك صبيا لا يصده عن ذلك صاد، ولا يرده عن مطلبه راد، فطلب أهل نجران وغيرهم من قبائل سحار ووائلة، حتى جمع محطة عظيمة هائلة؛ وعزم على النهوض لأخذ صبيا المحمية، وإضافتها إلى ما تحت يده من الجهات العيرشية.. والحال أن يام والمكارمة لم يكن في بالهم إسعاده على أخذ صبيا ومخلافها لمواثيق قد جرت بينهم وبين الخليفة (أي الإمام الزيدي) لا يقضي الشرع ولا العرف بإخلافها.. فلم يتبين لهم من الشريف إلا أن قصده استخدامهم في جهات بلاده، وأنه غير معتدٍّ إلى شيء من حدود أضداده. ونزلت منهم محطة رئيسهم النقيب علي بن جابر بن نصيب اليامي. فلما استقر بالنقيب علي بحضرته، وتبين له من فحوى خطابة ومحض إرادته (انه يريد الاستيلاء على صبيا) أجابه (أي علي بن جابر بن نصيب) بعدم الامتثال والإسعاد؛ وأن لا يتم (التوجه إلى صبيا) إلا برأي إمامي يقتضي ذلك المراد؛ فورى له الشريف بأنه (ستكون حركته إلى أطراف) البلاد (الخاصة به) يحد ذلك إلى قرية الريان من قرى وادي جيزان. فطاوعه (النقيب علي بن جابر بن نصيب) على ذلك.
وخرج بمن لديه لهذا الشأن، وكان خروجه في أوائل شهر شوال الكريم، فاستقر بقرية الريان، وصحبته جماعة من الفرسان، ومنهم عمه حوذان. ثم عزم على النهوض إلى قرية صنبه من قرى وادي ضمد، وهو من حدود أهل صبيا (هنا ظهرت نية الشريف لغزو صبيا لعلي بن جابر بن نصيب) فانعزل بأكثر الجند ورجع إلى أبي عريش، وأما الشريف فواصل مهاجمته لمدينة صبيا ولم يوفق وقتل عمه الشريف مبارك.

وما برح الشريف يتطلب العوائل ويكرر إلى أهل نجران وغيرهم الرسائل مجتهدا في طلب الثار ساعيا في غسل دنس العار.

١١٦٠هـ - معركة الغرى:

في شهر صفر منها (أي عام ١١٦٠ هـ): جند "الشريف محمد بن احمد شريف أبي عريش" الجنود، وبند البنود، ونهض لأخذ مدينة صبيا بجنود لا قبل لهم بها من يام وقبائل المشرق، ومن البدو كسفيان وغيرهم. وخرج من أبي عريش، فلم يرع أهل صبيا إلا أصوات بعض بنادق أصحابه بموضع يسمى الغرى – بغين معجمة مفتوحة وآخر راء مهملة ثم ألف مقصورة- وهو قريب من صبيا.. وذلك على حين غفلة من أهل صبيا ولم يكن يخطر على بالهم (أي أهل صبيا) أنه يطرح بذلك المطرح وعلى تلك الصفة "أي الشريف محمد بن أحمد".. فلم يشعروا (أهل صبيا) إلا بوصول رسول إليهم من الشريف (محمد بن أحمد) وهو الشيخ علي بن مربع الشعبي، يعرض عليهم الصلح، وأنهم يلتزمون له في تسليم نصف متحصل بلدهم.. وانفوا من

(١) نقلا من بعض السير المخطوطة(السيرة الضيائية).
(٢) قبيلة من قحطان.

قبول ذلك.. ثم قصد أهل صبيا محطة الشريف، وذلك عشية السبت لعله حادي عشر شهر صفر الخير. وكان أهل صبيا في غاية من القلة، إنما معهم أخلاط من أهل المخلاف. فلما عاينهم الشريف "محمد بن أحمد" وأصحابه هيأ جنوده ولما تقارب الجمعان وتزاحف الصفان كانت الوقعة المعروفة بوقعت الغرى وفر أصحاب الشريف أبي طالب "صاحب صبيا" (وتم الاستيلاء على صبيا) وقتل منهم أربعة وثلاثين رجلا واسر منهم جمع. وقتل من أصحاب الشريف "محمد بن أحمد شريف أبي عريش" جماعة منهم النقيب علي بن جابر بن نصيب رئيس محطة يام، وآخرين من عقالهم.[١]

١١٦٢هـ - لجوء الشريف حوذان بن محمد الخيراتي إلى نجران .[٢]

وذلك أن الشريف حوذان، لما كابر وحارب الداعي إسماعيل كما ذكرنا ذل وهان، بعد المحاربة وناله من أبن أخيه ما ناله من الامتحان والامتهان، الذي أعوزه أن يلتجئ إلى سيدنا إسماعيل، كما التجأ محمد المذكور قبله إليه وكثير من سادات القبائل حاشد وبكيل، لان الشريف محمد لما ملكه الداعي بلاد التهامة، طغى وتجبر على من نازعه من شريف ووضيع وعلى غيرهم ولم يخف الملامة، حتى أنه قطع تقرير الشريف حوذان فبقى في نجران ملتجئ جناب الداعي، متضرعاً إليه في جميع المسالك والمساعي، فاصلح ما بينهما سيدنا المذكور بالصلح التام وعرف بذلك [الإمام] عباس [٣]، ورضي محمد المذكور ورد تقريره وتقرير وزيره الذي جاء معه المسمى بالشريف ناصر، فقابلهما الشريف محمد لما وصلا من نجران إلى بلادهم بالترحيب والتهالي، وباطنه مخالف بادي أمره والظاهر، وقد كان الداعي أصحب من عنده الشريف حوذان رجالاً من الفقهاء ويام، وظن الكافة بإصلاح بعضهم بالبعض من الخاص والعام.

ويذكر العقيلي حول لجؤ الامير حذوان الى نجران:

اضطر الأمير حوذان ... إلى الرحيل إلى نجران والالتجاء إلى المكارمة فأكرمه رئيسهم القاضي "إسماعيل المكرمي" واخذ في مكاتبة الأمير محمد ساعياً في الصلح بينهما حتى توفق إلى ذلك وأخذ العهود والمواثيق على الأمير لعمه وبعثه مع وفد من رؤساء يام فاستقبلهم استقبالاً حسناً واظهر لهم استعداده بالوفاء وقيامه بالعهد الذي قطعه للمكرمي بالعفو عن عمه وكان قد صمم على غير ذلك [٤]

١١٦٣هـ - يام تأخذ بثأر الشريف حوذان بن محمد الخيراتي.

قيل أن الشريف حوذان طلع عند الشريف محمد وقد حصل بينهم كلام الذي جرهم إلى الخصام، وقيل كان ذلك الخصام عمدا من الشريف محمد وبداء حتى انه وأخوه علي والشريف ظافر وثلاثة من أشراف أهل الجوف تشاوروا وقتلوا حوذان وخفروا الذمة تجرؤا، فخرج الداعي لأنه كان تحت حكمه وذمته وقد أنفق من الأموال والأنفس والرجال لخفر ذمته وحشمته، مجاهدا لله سبحانه على الشريف محمد المذكور، وكان خروجه بنفسه وأصنائه [٥] وأولاده متوكلا على من تصير إليه الأمور، وظنوا الأعداء كلهم كذلك الشريف العائب أن الداعي سينكسر ويهرب من كثرة جموع الأعداء ولم يدر أن العائب هو الخائب الهارب، وقد كان والله فاه كل لسان في عيب

(١) خلاصة العسجد ص ١٧٦-١٧٨.
(٢) نقلا من بعض السير المخطوطة(السيرة الضيائية).
(٣) عباس بن الحسين بن القاسم.
(٤) المخلاف السليماني ج١ ص ٤٠٠.
(٥) أخوانه.

محمد وذمه في عيبه في قتل الشريف حوذان عمه، فلما وصل الداعي قلعة حرض وفيها أخو الشريف علي مترتب وفيها من الشحن والمدد والعدد ما يطربهم ويعجب، فحملوا أجناد الداعي وأولهم أهل العجمان المذكورة بالكلية، فأخذوا الرماح.... ففتحوا تلك القلعة، واغتنموا سامعهم بغير مدافعة، إلا أن أخوان من يام الكرام احترقوا في النار ذات الاضطرام، وسبب ذلك أنه كان في مكان علي المصروع باروداً كثيراً فطاحت فيه شرارة من فتيلة بندق مع ازدحام يام فيه لأخذ ذلك البارود الموضوع، فأما العشرة منهم فقضوا حال ساعتهم الحمام، والباقون فقد. ... حصل لهم الصحة بعد أيام. ....[١]

وقال صاحب خلاصة العسجد في قتل حوذان:

فلما بلغ قتل حوذان إلى المكرمي بلغ منه ذلك مبلغا عظيما ، ورآه من الشريف ارتكابا جسيما ثم صمم هو ومن أطاعه من يام على النزول ، واجلب معه بأكثرهم على كل صعب وذلول وكان انفصالهم من نجران في شهر شعبان وفي أواخره وصلوا إلى حرض وبه إذ ذاك علي بن احمد عاملا من قبل أخيه فتحصن بالقلعة التي هناك فحاصروه أياما ثم دخلوا عليه وقتلوه ومثلوا به أشنع مثلة لاعتقادهم انه السبب في قتل الشريف حوذان .وانتهبوا جميع ما معه بالقلعة من الأثاث وقتلوا جل عسكره واسروا الباقين ثم منوا عليهم ... فأمدهم أهل المخلاف بإعانات من الأطعمة والجزور ، وقد كان تلقاهم الأمير الأكرم فارس بن عبده احمد القطبي صاحب المعنق بالضيافة وسار صحبتهم ... وكان وصولهم إلي أبى عريش في شهر رمضان المعظم... فأقاموا على حصاره إلى أواخر ذي القعدة الحرام ... ولم يزل الحال كذلك حتى وقع بينهم الصلح على شرط تسليم مال وإجراء مقرارت لهم ولأولاد حوذان في كل شهر ويكون ذلك بضمانة الشريف ظافر بن الحسين ، والشريف حسن بن احمد فرضي الشريف ذلك .
وفي أواخر المحرم عزم المكارمة ومن صحبهم من يام إلى نجران بعد اخذوا لجميع من واجههم وأطاعهم على حرب الشريف الأمان ، وشرطوا عليه أن لا يعاقب أحد من أهل المخلاف فبذل لهم ذلك ووفى به فلم يقع منه على أحد خلاف. [٢]

ويذكر العقيلي أخذ المكرمي بثأر حوذان:

علم المكرمي بقتل الأمير (محمد بن أحمد) عمه (حوذان) وكان هو (أي المكرمي) المتعهد لحوذان والضامن له على وفاء الأمير فنزل على رأس يام إلى المخلاف السليماني..... وصل المكرمي مدينة حرض وقتل عاملها على بن أحمد أخا الأمير محمد ... ثم تقدم صوب أبي عريش وفي طريقه كتب إلى رؤساء المخلاف بأن الإمام قد عزل الأمير فاستبشر الجميع وسارعوا بتقديم الأطعمة والذبائح للمكرمي وقومه واقبلوا إلي الترحيب به ومقابلته ووفد عليه فارس بن أحمد القطبي صاحب المعنق بالضيافة وسار صحبتهم إلى أبي عريش وذلك في شهر رمضان عام ١١٦٣هـ ومر المكرمي من شرق مدينة أبي عريش في حملته وقد فر اكثر أهلها إلى جهة صبيا وغيرها أما الأمير فقد تحصن في القلعة. عسكر المكرمي قبلي مدينة أبي عريش بين أبي عريش والعقدة [٣] وغادوه وراوحوه بالغارات وأقاموا على حصاره إلى شهر القعدة وتم الصلح بينه وبين المكرمي على:

---

(١) نقلا من بعض السير المخطوطة (السيرة الضيائية).
(٢) خلاصة العسجد صفحة ٢٠٥-٢٠٨
(٣) بلدة في تهامة

(١) أن يصدر الأمير عفواً عن جميع أهالي المخلاف الذين أعانوا المكرمي.
(٢) أن يدفع للمكرمي مبلغا من المال.
(٣) أن يقرر راتبا شهرياً لأبناء عمه المقتول. [١]

*** لجؤ بني الأحمر (سلاطين حاشد) إلى نجران :**

ومما شاهدنا بأن ملوك اليمن وسلاطينها، ومن كانت لهيبتهم الدولة إذا تحركوا دكدكت هيبتهم قوانينها، بني الأحمر الرؤساء السلاطين، لما حبس أخاهم [علي] الإمام [٢] جاءوا إلى الداعي (لاجئين) متجورين، وسيدنا الداعي لم يكن بذلك يدري، فلما وصلوا أحلهم بالترحيب والتأهيل بما هو له آهل من الكرم الذي لم يزل سائلاً منه يجري، وكتب إلى الإمام بصفة المتجورين، وأنهم وصلوا إليه وهو في غفلة من مجيئهم أجمعين، فلم يساعده الإمام المذكور إلا وقلبه كان يتميز من الغيظ الكمين، ووعد أنه سيطلقه لكن بعد وصول المتجورين إلى حضرته، وأنهم في وجه الداعي لا يجري عليهم سؤ من جهته، فساعد الداعي [الإمام] على ما قال... وإما الداعي [فودع] بني الاحمر من عنده.. وقد كان أركب أخا علي المحبوس حصاناً من الخيل الجياد [٣]

إطلاق سراح السلطان علي بن الأحمر من السجن .

كما مر فقد وعد [الإمام] [٤] بإطلاق السلطان علي المحبوس، ولكنه لم يزال يماطل في ذلك وطال الميعاد، ..... و[الإمام] يماطل بما يسؤ الداعي من إخلاف الميعاد، ونيته الفساد، ...وكان قد وجه الداعي عساكره المنصورة إلى الشريف الحسني بكل قرم ضرغام وقد أخذ الشريف [بلدة] اللحية [٥]، وبلاد مور [٦] فخاب ظن [الإمام]، فأطلق ذلك السلطان المحبوس مسرعاً (وكان قد) تشفع [الإمام] بسيدنا الداعي في ارتفاع الشريف المذكور عن بلاده من غير حور ولا جور [٧] .

١١٦٤هـ - ظهور أبو علامة.

في شهر رجب كان ظهور أبي علامة بموضع يسمى "الشجعة قريب من بلاد نهم" وهو رجل مغربي الأصل (هو احمد الحسيني المعروف بابي علامة) يروى انه كان في أول بداية سياحاً يتتبع المساجد والزوايا ومشاهد الأولياء ودعا الناس إلى طاعته وشاع للعامة انه الممهد للمهدي المنتظر آخر الزمان فافتتن به عوام الناس افتتانا عظيما وكانت له أعمال رائعة وأحوال فاجعة. دخل كثير من الناس في طاعته اختيارا. وكان يُظهر على اتباعه حكم الجذب[٨]، فوقع للعوام فيه اعتقادا عظيم وطار ذكره في أقطار اليمن وملك الأقاليم ووصله الناس من كل فج، وتزعزع منه خليفة صنعاء وسلطان عدن ولحج، وداخلتهم منه ألواهمه العظمى... فملك الكثير من بلادهم ... وكانت عساكره تخرب الحصون الشامخة والقلاع الباذخة بلا مشقة ولا كثرة مؤنه. [٩]
عند ظهور أبو علامة كتب كافة الأشراف والأمراء إلى الداعي إسماعيل بن هبة الله استطلاعا لما عنده من علم أبو علامة لعلمهم أن الداعي معدن السر والعلم الشرعي ولم يزالوا يتحسسون منه أخبار الدعي أبو علامة المتسمي بالسيد احمد فكان جواب الداعي عليهم الجميع بان أبو

---

(١) المخلاف السليماني ج ١ ص ٤٠١
(٢) الامام عباس بن الحسين بن القاسم.
(٣) نقلا من بعض السير المخطوطة (السيرة الضيائية).
(٤) الامام عباس بن الحسين بن القاسم.
(٥) بلدة من بلاد تهامة.
(٦) بلدة من بلاد تهامة.
(٧) نقلا من بعض السير المخطوطة (السيرة الضيائية).
(٨) الوجد: (في اصطلاح الصوفيه) حال من أحوال النفس يغيب فيها القلب.
(٩) خلاصة العسجد صفحة ٢٠٨-٢١٠-٢١٩.

علامة من السحرة الفجرة وان عاقبته الهلاك والبوار . ثم إن أبو علامة أمر أصحابه بمحاصرة حصن صعفان وكانوا ملفلفين من كل قبيلة يزعمون انهم في الله لابو علامة من الأعوان فلما وصلوا الحصن المذكور صاروا يبرقون ويرعدون ويقولون إن لم تنضموا إلينا فعلنا بكم وفعلنا واعلموا أن السيوف والرماح والبنادق لا تؤثر فينا ونستطيع أن نهدم الحصن ومن فيه بالسحر وكان والي الحصن القاضي الأنبل هبة الله بن علي ومعه أربعون من يام فرد عليهم من بالحصن بإطلاق الرصاص فكانت النتيجة قتلى وجرحى من الغزات وعادوا من حيث أتوا لم ينالوا خيرا. [١]

" أرسل أبو علامة من عسكره المجاذيب" إلى البلاد التهامية وقد أرسل الشريف بمحطة من أهل نجران لهذا المقصد ، فوصلو إلى قرية البدوي (وهي قرية من قرى خلب فيما بين أبي عريش وحرض) فتوجه به إلى مور وكان وصوله إليهم في ذي القعدة ولما بلغ خبر وصوله أبا علامة أرسل جيشا كثيفا فوصلوا إلى محطة الشريف وذلك في الثلاثاء في أواخر الشهر المذكور . فعبأ جنوده والتحم القتال، وما كان بأسرع من انهزام أصحاب أبي علامة ، وقد شاع على السنة الناس انه لا يقطع فيهم الحديد ولا الرصاص فبقي أصحاب الشريف في أمر مريج وكاد يداخلهم الجبن فلما رأوا تأثير السلاح صدقوهم الحملة وقتلوهم اشر قتلة وظفروا بسلبهم – واسر من أصحاب أبي علامة خلق كثير.. [٢]

١١٦٨هـ - يام تأخذ بالثار من دهم.

قيل أن دهم قد كان قتل بعضهم امرأة من أطراف يام، وان قتل المرأة وايم الله عيب عند الكماة الكرام، وقد كانوا دهم المذكورين، افسدوا الطريق لما بينهم وبين [يام] من القتول العظام، فقصد من يام بعضهم إلى سيدنا الداعي إسماعيل الهمام مشتكياً على دهم الذين أثاروا كل فتنة لكثرة عددهم في الأقدام والأحجام وكانوا قد تعدوا على حمائل الداعي بأخذ المجبأ من غير احتشام، وكان قد طغوا في الجواب والكلام، فأوجب الداعي المذكور تحذيرهم في جميع الأمور فلم ينتهوا.... إلا تمادياً واستكباراً فأمر يام المذكورين أن يغزوا إلى بلادهم ليلاً ونهاراً، فقطعوا أسواقهم وقتلوا منهم كثير سطوة وقهراً، فلما حصل عليهم [الحرب]... خضعوا وانكسرت همتهم حتى [ان]مشايخهم رجعوا ملتجئين إلى حكم الداعي المذكور وجعلوه مهيمناً عليهم...و اصلح ما بينهم الداعي فحمد له الجميع منهم المساعي. [٣]

١١٦٩هـ - استعانة الشريف محمد بن احمد بيام.

تجهز الأمير [٤] لقتال قبيلة بني شعبة واستعان بقبائل يام الذين هم عمدته في حروبه مع أهل المخلاف فوافوه، في النصف من محرم سار إلى الدرب على الطريق العليا إلى أن هزمهم ودخل مدينتهم وكان لانتصارهم هيبه في أرجاء المخلاف. [٥]

---

(١) السيرة الضيائيه.
(٢) خلاصة العسجد صفحة ٢١١.
(٣) السيرة الضيائية.
(٤) الامير محمد بن احمد الخيراتي.
(٥) المخلاف السليماني ج١ ص ٤٠٢-٤٠٣.

الباب الرابع

١١٧٤هـ - استعانة الأمير محمد بيام.

... استدعى الأمير "محمد بن أحمد" قبائل يام وسار بهم لغزو قبيلة بني شعبة وفي عودته ترجح غزو جبل فيفا، وعندما وصل إلى قاعدة الجبل الأشم وصله رسل شيخ جبل فيفا، قاسم بن أحمد الملقب بالمعكوي راجياً منه المسالمة موضحاً انه لم يحصل من سكان الجبل ما يستدعي الغزو والتأديب فلم يلتفت الأمير إلى رجائه وقام بالتعبئة الحربية وقسم الجند إلى ثلاثة فرق على الوجه الاتي:

١- القسم الأول وطلع من الجانب الغربي .
٢- والقسم الثاني وطلع من الجانب القبلي .
٣- والقسم الثالث وطلع من الجانب الجنوبي.

على أن يكون الاجتماع في رأس الجبل.

... وصعدت قوات الأمير على الترتيب السابق واستطاعت الفرقتان الغربية والشمالية في المرحلة الأولى التغلب على قوة أهل الجبل المقابل لهما، وبعد أن لاحت لهم بوادر النصر تجمع أهل الجبل عليهما من كل جهة بتلك الحراب الخشبية التي من طعن بها انكسرت في جسمه فإن لم توررده حياض المنون أبقته في عذاب اليم وألم مستطير حتى يدركه التسمم والموت البطيء، وبعد أن رموهم بالوضف التي تفلق الرؤوس وتدني الأحياء من الرموس فانهزمت كل فرقة من جهتها ولم يسلم إلا الأقل، وأما الفرقة الجنوبية فقتل دليلها فضلت وأطبق عليها أهل الجبل من كل جانب فمن سلم من القتل تردى في مهاوي ومزالق ذلك الجبل الأشم إلى مهاوي الهلاك، وغنم الفيفيون جميع اسلحة الجيش تقريباً فلم يسع الأمير إلا الرحيل عائداً إلى أبي عريش. [١]

١١٧٤هـ (اتهام المكرمي للشريف بأضعاف يام)

ورفع الشريف إلى المكرمي بجميع ما وقع من الأمر وكان، وسلاّه عن هذه القضية العظيمة الشان بان الحرب سجال (والحال كما اعترف الأول إذ قال):-

فيـــــوم علينــــــا ويـــــــوم لنـــــــا ويـــــــوم نُسَـــــــاءُ ويـــــــوم نُسَـــــرّ

ولكن المكرمي استعظم هذا الواقع وأساء في الشريف اعتقاده وزعم أن له في هذه الفعلة إرادة ، وانه لم يرد لقصد الجبل المذكور إلا الأضعاف لبني يام والإكادة. واخذ عليه الشريف التوقف عن الحركة لاخذ الثار .[٢]

١١٧٥هـ في شهر صفر نزل القاضي إسماعيل المكرمي بمحطة من بني يام عظيمة بقصد الانتفا من أهل جبل فيفا فلما تقابلوا منيوا بهزيمة أخرى فكانت هذه الهزيمة سبب لتباعد ما بين الرجلين حيث كان كل منهما يعتقد أن صاحبه سبب كل ما حدث وكانت البداية اتهام المكرمي للشريف بإضعاف بني يام أيام غزوة أهل جبل فيفا ووقوع التباغض والتدابر بينهما.[٣] ... فكتب "الشريف" إلى المكرمي في استدعاء أقوام من يام ، وكأنه يريد الاطلاع على ما عنده وهل يطاوعه في ذلك أم لا ؟ فتعلل "المكرمي" بتعليلات ولم يرسل أحد.

(١) المخلاف السليماني ج ١ ص ٤٠٣/٤٠٤/٤١٠.
(٢) خلاصة العسجد صفحة ٢٥٩/٢٦٠.
(٣) خلاصة العسجد صفحة ٢٧٥-٢٨٠.

كتب "الشريف" إلى بعض عقال يام من غير وساطة "المكرمي" أنه من أراد منكم الوصول للخدمة فليصل بمن يستطيع من العسكر من غير رأي "المكرمي".

أرسل "المكرمي" إليه يتهدده [ويذكره] بما قد سبق له معه من الاجتهاد والمناصرة على الأضداد إلى غير ذلك.

ووردت إلى الشريف الأخبار بان المكرمي عازم على حربه وقصده إلى عقر الدار فأرسل عند ذلك إلى رؤساء بكيل، وبذل لهم الرغائب واخبرهم بما بينه وبين المكرمي من المقاومة وطلب منهم الإجابة أن احتاج منهم إلى ذلك عند هجوم ذلك الطالب فعادت الجوابات عليه منهم بالامتثال وجعلوا إلى مطلبه أن أحوجه الحال.

فلما تحدد خبر توجهه ما برحت بكيل تترى إلى حضرة الشريف أفواجا ويترادف وصولهم فرادى وأزواجا حتى بلغ مقدار الواصلين منهم ومن اتباعهم إلى ألف وفيهم كل ليث صائل يحمل الحتف، وبعد استقرار الأكثر منهم بحضرته وصلت أليه طائفة من القبيلة المسماة جشم(١) أصحاب أولئك القوم النازلين إلى الشريف أولا وهم في الظاهر مباينون للمكرمي مائلون إلى طاعة الشريف ،ولا يعلم ما في الضمائر إلا الخبير اللطيف وعددهم نحو سبعمائة نفر ولما قربوا من مدينة أبي عريش بقي الشريف منهم على وجل لعدم الاطلاع على ما أضمروه من النصح أو ضده فرجح تبقيتهم خارج المدينة أياما ثم فرقهم في أطراف البلاد وبعد أن عرف ما عندهم وأمن شرهم وكيدهم أذن لهم في الدخول فدخلوها ، وكان الناس منهم في أمر مريج خشية من وقوع الفتنة بينهم وبين بكيل المقيمين بالمدينة ولما بينهم من التعاند والتضاد .

والمكرمي في خلال ذلك تتجدد أخباره وتشتعل ناره حتى لم يرع الناس إلا نزوله في عساكر كثيرة قريب من ثلاثة آلاف ومعه من الخيل جملة وكان وصوله إلى أطراف تهامة في أوائل شهرا جماد الأولى ولم يزل يترحل يوما فيوما حتى قرب من المدينة ، وخيم بالزبارة المسماة أم الغلف بحيث ترى خيامه من طرف البيوت فأراد بعض الأعيان التوسط بالصلح درءاً للفتنة وحقنا للدماء ووصل إلى المكرمي وعرض عليه ذلك فشرط ارتفاع بكيل وتسليم مال جزيل من جملة المقررات التي قطعها عليه الشريف أيام المباينة ، وغير ذلك فلم يقبل الشريف ذلك لا سيما ارتفاع بكيل فانه عرف ان مقصد المكرمي فيه غير جميل .

وجد جِدٌّ كل منهما للفتنة وهيا الشريف أجناده للخروج عليه في يوم الأحد لعله الثالث والعشرون من الشهر المذكور ، وجعل العلامة للخروج ضرب المدافع وانه متى سمعوا العسكر ذلك نهضوا من المدينة فأمسى الناس تلك الليلة عازمين على حصول القتال في صبيحتها ، ولما أصبح الصباح ضربت المدافع فخرج جميع العسكر من بكيل وجشم ، ووصلوا إلى باب الشريف ينتظرون خروجه فخرج إليهم وقد لبس لامة حربه ومعه جميع الأشراف ، فظهر من جشم في تلك الساعة عدم الرضى بقتال أصحابهم وأنكر الشريف من بعضهم الشر وعول بعض عقالهم عليه اشد التعويل في التأخر عن قتال ذلك اليوم وعقروا عليه عقيرة من الإبل والتزموا له في الوصول إلى المكرمي ومناصحته والتكليف عليه في الرجوع إلى نجران ، ثم يقع الخوض في الصلح بعد ذلك ، فامتثل الشريف وطاوعهم وأمر بكيل بالرجوع ، فإذا بعضهم قد تقدم إلى موقف الحرب ولم يبق بينه وبين بني يام إلا مسافة قريبة ، وظهر للكافة خداع جشم وعرفوا انهم معينون أصحابهم لا محالة .

ولكنه ترجح للشريف تأخير القتال ذلك اليوم وعالج أولئك المتقدمين من بكيل حتى رجعوا بالمشقة ، ثم عاد الشريف إلى محله ، واخذ يعمل الحيل في إخراج جشم من أبى عريش لما شرطوا عليه بكيل ذلك بسب ما لحقهم من الخشية منهم وعدم الركون لهم فقد صاروا أعداء في صورة أصدقاء وسار بعض عقال جشم إلى المكرمي فعرض عليه الصلح ، فأبى من ذلك اشد الإباء فرجع من عنده وقد تفاقم الأمر ووقع القطع بحصول القتال ، وصمم الشريف على ذلك.

---

(١) جشم بن يام بن يصبا.

... وعند ذلك أمر الشريف بإخراج جشم إلى مدينة صبيا واظهر لهم انه يريد حفظها له عن أصحابهم كيلا يعدلوا إليها ، وجعلها في وجوههم فامتثلوا ذلك واصحبهم ابنه الشريف الأمجد ناصر بن محمد ، فخرج من أبي عريش ضحوة يوم الاثنين لعله الرابع والعشرون من الشهر ولما انفصلوا تربص الشريف وبكيل إلى بعد صلاة الظهر ذلك اليوم ، ثم تقدمت بكيل على يام ومعهم الأشراف بأجمعهم غير الشريف فانه تأخر بنفسه ، فقصدوهم إلى مطرحهم ، فالتقى الجمعان ووقع بينهما حرب شديد تشيب منه ناصية الوليد فكانت الدائرة على بكيل وقتل منهم نحو سبعين رجلا أكثرهم من العقال وممن قتل من أكابرهم النقيب ناصر بن عمير ومعه جماعة من إخوانه وبني عمه ، ومنهم النقيب محسن بن عفراء وغيرهم ممن لا يقصر عنهما شانا وذكرا ، فولت بكيل الأدبار ورجعوا إلى أبي عريش وقد كابدوا مشقة العار والفرار واخذوا يام في طردهم إلى قريب المدينة واسروا منهم نحو عشرين رجلا أو يزيدون حتى جن عليهم الليل بسدول الظلام فكان لهم في ذلك فرجة وعصمة من بني يام. عاد بنو يام إلى مطرحهم مسرورين ، وأمست بكيل بليلة نابغية وهم بين باك وحزين فتحصنوا بعد ذلك بالبيوت والقلاع وعزموا منها على المقاتلة والدفاع وسلموا المدينة العريشية من الحريق ومع هذا فلم يخرج من أهلها إلا اليسير من خشية الضيق وبقيت الأسواق بحالها معمورة والعورات التي بالمدينة مستورة .

ثم رفع المكرمي إلى الخليفة[١] بالمتفق لعله طابق غرضه لسبب ما جرى من تلك الجواري التي مضت تستبق . "ووصل جواب المكرمي من الإمام مقررا لما فعل"، ولم يتحقق هل أرسل له شيئا من الإعانة أو أهمل ، وبعد أيام قلائل قرب المكرمي عن ذلك الموضع الذي كان فيه إلى مكان اقرب منه ، فضاق الحصار على من بالمدينة ، ورفعت بكيل إلى أصحابهم بما جرى عليهم من القتل وما هم فيه من الحصار وطلبوا منهم النزول للأخذ بالثار فأجابوهم بالثارات بحصول الغارات وكتب بعض عقالهم إلى المكرمي يتوعدوه بحصول الجزاء عن قريب فبقي خائفا يترقب من نزولهم عليه نزول المستريب ، ولما كان الخميس الثاني عشر من شهر رجب الفرد الحرام تقدم جماعة من فرسان يام إلى أطراف المدينة ، فنادوا بأعلى صوت للنزال فخرج إليهم جماعة من الأشراف على سبيل الاستعجال فالتقى الخيلان وتجاولا في ذلك الميدان وأصيب اكثر الأشراف بجراحات انتهت إلى السلامة وقتل شريف من أهل مكة ... ثم تداعى أهل مطرح يام وخرج من بمدينة أبي عريش من الأقوام ووقع القتال إلى قريب نصف النهار ثم رجع كل إلى مطرحه ، ولم يزل الخوف يعظم مع المكرمي وبني يام ، والخشية تتزايد عليهم من غارة بكيل في بعض الأيام حتى كان ليلة الثلاثاء السابعة عشر من شهر رجب الحرام فقوض المكرمي الخيام وانصرف .. [٢]

كان الرحالة نيبور يقيم في أيام هذه الأحداث بمدينة اللحية ، فذكر ما جرى بالمخلاف السليماني فأتى بتفسير آخر لسرعة انصراف بني يام ، قال (فشاع الخبر بان شيخ قبيلة قحطان دخل بلاد نجران وهذا ما اضطر الشيخ المكرمي إلى الرجوع السريع) [٣]

١١٧٨هـ -إطلاق سراح سجناء العجمان .

(١) الخليفه هو الامام الزيدي المهدي لدين الله عباس بن حسين القاسم.
(٢) خلاصة العسجد صفحة ٢٩٥/٢٨٨.
(٣) حاشية خلاصة العسجد صفحة ٢٩٥.

... لما عاد الأمير عبد العزيز من غزوته التي قام بها على سدير وعند وصوله إلى رغبة وردته الأخبار بأن جماعة من قبيلة العجمان المنتسبة إلى يام من همدان من قحطان قد تجاوزت على فريق من قبيلة سبيع التي دخلت في سلك الدعوة وآمنت بها وأوسعتها قتلا ونهباً فابلغ الأمير عبد العزيز الدرعية بخبر هذا الحادث فأمرته الدرعية أن يجد في طلب المعتدين ويسعى لاسترجاع ما استولوا عليه من أموال قبيلة "سبيع" ويبتعد عن الاشتباك مع العجمان في قتال لأنهم قوم قساة ومن ورائهم قبيلة يام وهي قبيلة يخشى بأسها.فصدع الأمير عبد العزيز بما أمر وأدرك العجمان بموضع يقال له (قذلة)، فأحاطهم بجيشه وطلب إليهم إعادة ما استولوا عليه من الأموال، فأبوا عليه ذلك واظهروا له استعدادهم لقتاله، فاضطره الموقف على خوض المعركة وقد قتل من العجمان خمسين رجلا منهم ابن طهيمان، وقتل من المجاذمة عشرين رجلا واسر منهم نحو مائتين وأربعين واستولى على خمسين فرساً من خيولهم بالإضافة إلى ما كان معهم من المال والسلاح، وانطلق من نجا من العجمان في هذه المعركة إلى نجران مستصرخين صاحبها المكرمي مناشدينه المروءة والنجدة لكي يثأر لهم من الدرعية ويستخلص أسراهم مهونين له الأمر مدعين بأن أولئك الأسرى يعانون ألواناً من العذاب والاضطهاد. فاستجاب صاحب نجران لشكواهم وجمع المقاتلة من عشيرة يام وغيرها وابلغ صاحب الأحساء عريعر بن دجين بعزمه على السير لقتال الدرعية وعقد معه اتفاقاً للتعاون والاشتراك بقتالها، وضرب له موعداً للقاء عند حائر سبيع وسار المكرمي بمجموعة من يام والعجمان وغيرهما وقد بلغ عددهم ألفاً ومائتي مقاتل. (١)

فوصل بمجموعة إلى حائر سبيع في شهر ربيع الثاني ١١٧٨هـ... وعسكر حولها وحاصر أهلها ومن كان فيها من أهل الدرعية. عندئذ اضطرت الدرعية أن تخرج قوة عسكرية لمقابلته وكان عددها أربعة آلاف مقاتل وأسندت قيادتها إلي الأمير عبد العزيز، وقد أوصاه الشيخ محمد بن عبد الوهاب سراً بالوصية التالية:"سر له بهذا الجيش ونازله ولا تحاربه حتى يقع بيننا الصلح، فأني لا أتوسم خيرا من وراء قتال هؤلاء القوم. ما نقول في أناس مسكنهم اليمن ويدخلون في قلب نجد في هذا العدد القليل مع أنهم عرفوا شوكتنا فلم يبالوا بها؟ فإياك والحرب معهم وإنما أمرتك بالخروج إليهم حتى لا يختلف علينا فيقال: ضعف أمر هذه الدعوة وهابوا الحرب مع رجل يامي".

المعركة :

... ولكن أفراد الجيش الذي قاده الأمير عبد العزيز كان قد غشيهم الزهو والغرور واستكبروا قوتهم وعددهم وعدتهم لدرجة لا حد لها، وكانوا في مسيرتهم يظهرون ضروباً من التيه والخيلاء معتقدين كل الاعتقاد بأن عدوهم لن يصمد أمامهم وأنه سيوليهم ظهره حال دنوهم من معسكراته. ولما وصل الأمير عبد العزيز بقواته إلى حائر سبيع لم يمهله عدوه فرصة للاستعداد

---

(١) وقد سبق من آل الهندي خمسمائة رجل طلعوا إلى الشريف صاحب أبي عريش دون رأي الداعي وكانوا صحبة محمد بن بطين بن منيف بن سلطان ثم لما دعى ألضيائي (إسماعيل بن هبة الله) للغزو نفر معه مجموعة من مشايخ جشم الذين مضوا إلى الشريف دون رأي الداعي وجعلوا سيرهم مع من يقود الغزو كفارة لما فعلوه في السابق .
ثم لما أبطأ وصول عريعر (بن دجين ألخالدي) أرسل (الداعي) الفقيه الأجل حسين بن جابر بن مانع بن قطيان ابن نصيب في عدة من الأعيان (بالشلايل) إلى أهل الجهامة من العجمان وكان خروجهم في ٢ / ٢ / ١١٧٨ هـ ورجوعهم إلى نجران في غرة شهر رجب من نفس العام (جلاء الأفكار) لمحمد عبد الله سليمان المكرمي.

والتفكير بل داهمه بالقتال مستعملاً البنادق، ثم رأى المكرمي أن استعمال هذا السلاح في المعركة مع جيش الدرعية لا يجدي نفعا ولا يقرر نصرا سريعا، فأمر اتباعه باستعمال السيوف فاستلوها من الأغماد وكروا بها على جيش الدرعية فالحقوا به هزيمة منكرة بعد أن قتلوا منه خمسمائة رجل منهم سبعة وسبعون من أهلي الدرعية، وسبعون رجلا من أهالي منفوحة، وثمانية وعشرون من أهالي العيينة، وستة عشر من أهالي حريملا، وأربعة من أهالي ضرمي وقتيل واحد من أهالي ثادق. وكان مع قوات عبد العزيز قسم من البدو قتل منهم الكثير وقد اسر من جيش الدرعية مائتان وعشرون أسيراً وفر الباقون لا يلوي أحدهم على أحد حتى بلغت فلولهم الدرعية .

عقد الصلح:

بعد هذه المعركة ارتحل المكرمي من حائر سبيع ونزل بالقرب من قصر(الغذوانية)القريب من الدرعية استعداداً لاحتلالها. فأخذت ترد عليه الهدايا والرسائل من صاحب الرياض وغيره من أعداء الدرعية يحرضونه على احتلال الدرعية ويعدونه المساعدة بالرجال والأموال كما كتب إليه صاحب الأحساء يخبره بقدومه إليه. أما الدرعية فقد أوفدت فيصل بن سهيل (شيخ قبيلة الظفير) إلى صاحب نجران ليعرض له استعدادها للتفاوض معه لعقد صلح شريف، فأجابها إلى ذلك بعد أن اشترط عليها أن تطلق سراح الأسرى الذين عندها من قبيلة العجمان ويطلق هو أسراها الذين عنده. فتم الصلح بينهم على هذه الشروط وعقدوا بينهم اتفاقية عدم الاعتداء، فأهدت إليه الدرعية مائة وعشرين فرسا من جياد الخيل وأموالا كثيرة، فقبل هداياها وأطلق لها أسراها ثم قفل عائدا إلى بلاده.

موقف عريعر من الوثيقة:

تلقى صاحب الأحساء ما عرضه عليه صاحب نجران للاشتراك بقتال الدرعية برحابة صدر فجهز جيوشه من بني خالد وأهل الأحساء وأستنفر جميع أهالي نجد فلبوا نفيره سوى أهل العارض وشقراء وضرمى وتوجه بهذه الجموع ليلتحق بالمكرمي ويشترك معه في احتلال الدرعية، فبلغه وهو في الطريق نبا عقد الصلح بين الدرعية والمكرمي، فكتب إلى المكرمي صاحب نجران كتاباً يحثه فيه على مواصلة قتال الدرعية، ومما جاء فيه ((أننا نحمد الله على هذا الاتفاق الذي حصل بيننا وبينكم على حرب هذا المبتدع، ونحن أن شاء الله سنقوم بمواجهتك ونتم الأمر بيننا على كيفية حربه ولا نطيل الأمر)). فأجابه المكرمي يعتذر عن تلبية الطلب بسبب وقوع عقد الصلح مع الدرعية، وقد جاء في كتابه: ((لو كان هذا الاتفاق قبل أن يجري الصلح بيننا وبينه لانتظم الأمر على وفق خاطرك، ولكن الآن حصل مرادنا من الانتقام وقد طلب منا العفو ونحن أهل له عند المقدرة وأعطيناه فلا يمكن إبدال القول أما أنت فجرب حربك معه ونحن لا نتعرض بشيء)). فلما وصل كتاب المكرمي إلى عريعر فت في عضده واغتم لذلك غما شديداً لأنه كان يظن أن المكرمي سيلبي طلبه ويشترك معه في قتال أهل الدرعية فكتب إليه كتاباً آخر يرغبه في محاربة الدرعية ويمنيه بالمال والربح الوفير، ومما جاء في هذا الكتاب ما يلي: " انك أن وافقتني على قلعه من هذه الأرض لك كل عام مائة ألف ذهب تصلك إلى نجران ." فرفض المكرمي هذا العرض أيضاً ورده بكتاب مما جاء فيه " لا يكون ذلك كيف والشيمة هي حسن الوفاء بالقول. نعم إذا أنت أدركت منه مرادك الآن فبها، وإذا أحدث علينا

شيئاً فأنا بمجرد سماعه آتيه لا يردني عنه شيء أما قتله أو الموت ." [1]] وقد ذكر غزوة الحائر صاحب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب مع اختلاف طفيف]

وقد علق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل شيخ ردا على صاحب كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب عندما قال (فأرسل محمد بن سعود بأمر محمد بن عبد الوهاب بعض أولاده غير عبد العزيز وبعض) نساء(من أهل بيتهم........ الخ): قوله غير صحيح بل هذا من إختلاق هذا المؤلف .

وثيقة صلح الدرعية [2]

توجد مخطوطة صلح الدرعية مع وثيقة أخرى في مكتبة محمد بن حسن غريب الخاصة في الرياض وقصيدتين مخطوطة تحكي حروب أهل نجران مع المجاورين لهم، ومن ذلك قول الشاعر المجهول:

هناك قام المكرمي بجنوده

وعساكر من قومه وفيالق

ذروة الأشراف مع يام الأول

أهل الحمية واليقين الصادق [3]

... في السنة ١١٨١هـ توجه القاضي حسن بن هبة الله المكرمي صنو القاضي إسماعيل إلى الحج.
... وحج معه جماعة من يام فلما قدموا على شريف مكة تلقاهم بالقبول والإكرام ، وبعد توجه المكرمي نزلت محطة من بني يام ورئيسهم النقيب حسين بن جابر بن نصيب اليامي(من مذكر بن يام) صنو علي بن جابر المقتول في "معركة" الغرى. ونزلت يام من طريق بيش في الطريق التي نزلوا منها في المرة الأولى فارسل إليهم الشريف أن يبدأوا أولا بصباح قرية الحقو لاتهامه لاهله بأنهم يؤوون العدو من البدوان الذين يأخذون أموال الرعية ولكونهم من طرف آل عبس فاغتنمت يام هذه الفرصة وصبحوهم على حين غفلة ونهبوهم وقتلوا منهم جماعة. ودافع أهل الحقو عن أنفسهم في ساحتهم . وقتلوا جماعة من يام. ثم انصرفوا عن قريتهم مع عدم القدرة على دفع أولئك الصائلين . [4]

وفي عام ١١٨٣ هـ وصل الخبر بوفاة القاضي إسماعيل بن هبة الله المكرمي وكتب أخوه حسن بن هبة الله كتابا بليغا استشهد فيه بقول أبى الطيب في محمد بن إسحاق من قصيدته المرثاة:

خرجــــوا بــــه والكــــل بــــاك حولــــه صــــعقات موســــى يــــوم دك الطــــور

(١) تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
وحياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٤٨
(٢) أثر دعوة محمد بن عبد الوهاب والفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية ص١٥.
(٣) أثر دعوة محمد بن عبد الوهاب والفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية ص ٣٢.
(٤) خلاصة العسجد صـ ٣٣٥.

وطلب من الشريف الاستمرار على ما بينهم من القواعد. [١]
[ويبدو إن الحالة السائدة بينهما يجب أن تستمر فإذا كان الحال في عهد القاضي إسماعيل بن هبة الله هو اجتهاد الشريف في تفريق كلمة يام فمرة يدعو جشم ويترك مذكر ومرة يدعو مذكر ويترك جشم ، والإصرار من الشريف على تهميش دور المكرمي والتقليل من شانه ومحاولة إقصائه عن زعامة يام وعدم الأخذ بنصائح إمام صنعاء وتوجيهاته وكذلك لم يقبل وساطة شريف مكة ورفض وساطة أعيان المخلاف ووجهائها في إطفاء الفتنة وحقن الدماء فإذا كان هذا هو الحال المستمر طول هذه السنين فهل هذا هو الذي يرجو القاضي حسن بن هبة الله أن يستمر ؟ أو أن تجدد المعاهدة على أساسه ؟]

١١٨٤هـ خروج يام إلى المخلاف السليماني (جازان حالياً) .

كتب الحسن بن هبة الله المكرمي إلى الأمير محمد [٢] بوفاة أخيه إسماعيل بن هبة الله المكرمي طالباً منه تجديد العلاقات واستمرار الصداقة التقليدية، فرد عليه معزياً ومواسياً، ولم يشر في جوابه إلى ما يشم منه رائحة الرغبة في تجديد العلاقات واستمرار الصداقة، فحز ذلك في نفس المكرمي وأخذ في تأليب يام وحشد جموعهم لغزو المخلاف ليري الأمير الذي استهان بطلبه أنه أشد خطراً من أسلافه الذين عواطفهم لأمراء آل خيرات، ومن جملتهم هذا الأمير نفسه وكان آل خيرات جل اعتمادهم في تركز نفوذهم وتثبيت سلطتهم على أهل الشحر والحضارم في أول إمارتهم، ومن بعدها على يام ولم يستعينوا بأهل المخلاف الذين هم أهل البلاد إلا في النادر ومع غيرهم - لهذا عندما تواردت الأخبار بنزول يام بعث رسله لاستدعاء قبائل بكيل، وفي أول عام ١١٨٤هـ بدأت جموعهم تتوافد لتلبية ندائه حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف مقاتل وفي ربيع ١١٨٤ هـ نزلت يام بقيادة الحسن بن هبة الله المكرمي إلى حرض وعاثوا في البلاد سلباً ونهباً وقتلاً، واستاقوا المواشي....... وانداحوا في سهول تهامة، ففر السكان من حرض إلى أبي عريش والأمير في أبي عريش متردد في الخروج حتى وافته القبائل التي استدعاها علاوة على بكيل وهي:

١ - وادعة .
٢ - سحار ووائلة.
٣- قحطان وقبائل بكيل.

ونهض بقبائل بكيل من أبي عريش إلى موضع يسمى حرف إبراهيم وفي أثناء ذلك تقدم قوم من يام كطليعة، فبلغ الأمير فظن أن قبيلة يام قاصدت مخالفته إلى أبي عريش فانتدب جماعة من الفرسان بعضهم من النعاميين ومن غيرهم ليعلموه خبرهم ووجهة سيرهم، وعند طرف قرية البدوي فاجأتهم طليعة يام، وهي لا تتعدى الخمسة عشر فارساً ومعهم عدد من الركائب وخيل الأمير في مثل عددهم فنشب بينهما القتال وانهزم أصحاب الأمير وأسر بعضهم، عند ذلك نهض الأمير من حرف إبراهيم إلى الملح، فوق وادي تعشر ومنه عزم على أن يعسكر في المحصام، فيقطع عليهم خط الرجعة إلى نجران، فتنبه المكرمي فعبأ رجاله قبل أن ينفذ الأمير خطته.

التعبئة:

(١) خلاصة العسجد صـ ٣٥٢.
(٢) الامير محمد بن احمد الخيراتي.

عبأ المكرمي رجاله جناحين وقلب كالأتي:

١ - قبيلة مواجد .
٢ - قبيلة جشم .
٣ - قبيلة آل فاطمة.

وسارت شمال مدينة حرض حتى جازة مسيل الوادي وعبأ الأمير رجاله على الوجه الأتي:
١ -وادعة وعبيدة في مقابل مواجد بقيادة أبنه أحمد بن محمد.
٢ -بكيل في مقابلة جشم بقيادة أخيه الحسن بن أحمد.
٣ - وسحار ووائلة ومن في طبقتهم في مقابل أل فاطمة بقيادة أبنه حيدر بن محمد.

ودارت رحى المعركة فانهزمت مواجد وكثر فيها القتل وأصيب الحسن المكرمي برصاصة في ركبته وكذلك تراجعت جشم أما آل فاطمة فقد هزمت من أمامها من سحار ووائلة وطاردتهم إلى وراء مخيم الأمير محمد الذي أنسحب منه قبل ذلك بدقائق ونهبت آل فاطمة جميع ما في مخيم الأمير. ...

[ولم يرو لنا المؤرخ كيف هُزمت وادعة وعبيدة في أخر الأمر أمام قبيلة مواجد، ولا كيف كرت قبيلة جشم على بكيل فهزمتها وأسرت قائدها الشريف الحسن بن أحمد ولكن أتى بما يدل على ذلك]

فقال: ومما يدل دلالة واضحة - على أن كفة يام هي الراجحة - ما يأتي:
١ - أن الحسن بن أحمد قائد بكيل قد أسر في المعركة.
٢ – أن شمس يوم الخميس لم تغب يوم المعركة إلا وبعض المنهزمين في ساحة أبي عريش...[١]

١١٨٨هـ - استعانة الأمير حيدر(٢) بن محمد بيام[٣] .

[اتصل عم وأخي الأمير حيدر بالإمام[٤] طمعاً في أمارة المخلاف] تخوف الأمير حيدر من هذه المناورة واستدعى يام فاقبل إليه منهم ما ينوف على ثلاثة آلاف مقاتل وكرد على ما لمسه من ميل الإمام مع أخيه وعمه وسار بيام إلى بلاد الإمام الشرقية غازياً إلى أن وصل إلى عاهم وضاعن [٥] .

١١٨٨هـ يام ترفع الظلم عن مرشد بن علي بن الأحمر.

(١) المخلاف السليماني ص ٤٠٦٤٠٨.
(٢) الامير حيدر بن محمد بن احمد الخيراتي.
(٣) المخلاف السليماني ج ١ ص ٤١٠.
(٤) العباس بن الحسين بن القاسم.
(٥) بلدتين في اليمن.

« وفي خلال ذلك وصل كتاب من الشيخ مرشد بن علي وعقال بني الأحمر بعد موت الشيخ قاسم بن علي وهو المهيوب عند رجال همدان، وعند الدولة والقبيلة وأهل البلدان، ... قال تعالى (كل من عليها فان) فعراهم بعده الضعف والهوان واستخف بهم كل إنسان فكتبوا إلى سيدنا الداعي بدر الإيمان، [وذكروا] أن قطعهم التي في الرائغة [قد استولى عليها الأخصام] ومنعوا الحقوق الواجبة [فيها] وقطعوا، وأنهم يريدون رجال يام [يمدوهم على إعادة تلك القطع] ثم سوف يتم المشاركة فيما لهم من القطع وما لكم منها فإذا وصلوا إليهم أخذوا الشور وما عندهم من المقال ويهيبوا بهم على أهل البلاد وأن نقوم باليد الواحدة على من امتنع ونتعاون على دوله وقبيله. فطلب الداعي رجال يام وعرفهم بذلك الكلام، فأجابوا [أن] الرأي رأيك وأنت المالك. فأجمع الرأي على أرسال الشيخ علي بن حسين بن طحنون والشيخ عامر بن رشافة وجماعة من العيون الذين عليهم الركون في خمسين نفر من الرجال [واصحبهم سيدنا أن هؤلاء العقال ومن معهم هم سيوفنا المواضي وما دار من الكلام والشور بينكم وبينهم فيعمل عليه التراضي، فلما وصلوا إليهم لقوهم ملقا يسر وأظهروا أن هؤلاء الأولين والآخرين في الأثر، ولم يتفق بينهم قول، وخافوا أهل الرائغة وتلك البلاد لما علموا بوصول (رجال يام) ثم سدوا] هم وإياهم على شيء مفعول، .... وبقوا بعد ذلك بني الأحمر وأهل بلادهم وكل لصاحبه مساير، والأمور صالحة والشركة لائحة. (١)

١١٨٩هـ - زيد بن زامل الدوسري يستعين بقبائل يام.

وكان أول ما قام به السعوديون ضد زيد بن زامل غزوة قام بها سعود بن عبد العزيز سنة ١١٨٩هـ وفي السنة التالية أغار عبد العزيز بن محمد نفسه على الدلم والحق بها من الخسائر ما دفع زيد بن زامل إلى البحث عن حليف قوي يستعين به على درء الخطر المحدق به وقد رأى أن أنسب من يمكن الاستعانة به رئيس نجران الذي كان صدى انتصاره على قوات الدرعية في الحائر سنة ١١٧٨هـ لا يزال عالقاً في الأذهان... وأجتمع الحلفاء من نجران وقبائل يام والدواسر وغيرهم وساروا حتى وصلوا إلى الحائر وهناك جرت بينهم وبين اتباع الدرعية مناوشات غير حاسمة. ثم أرتحل الحلفاء إلى ضرما حيث دارت معركة أضطر بعدها أولئك الحلفاء إلى الانسحاب تاركين وراءهم عدد من القتلى وذلك سنة ١١٨٩هـ. (ذكر ابن غنام أن الرئيس النجراني مرض أثناء المناوشات ولا بد أن مرضه أثر على معنويات قومه وعجل في انسحابهم) ج٢ صـ٩٣ـ [كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد] وقال أيضا في صـ١٣٩ـ ج١، (وحملت قبائل اليمن رئيس نجران على سرير وقد أرهقته الآلام وأقضته فمات اثنا انصرافه من تلك الحرب) .(٢)

١١٨٩هـ غزوة أهل نجد بادية نجران.

وفي هذا العام غزت قبائل عبد العزيز النجدي إلى بداوات نجران فالتفت عليهم قبائل يام، فكانت ملحمة دارت بها الدائرة على أهل نجد، وكان ذلك أول أمر نجم لهذه الطائفة جهات اليمن .(٣)

١١٨٩هـ - استعانة الأمير حيدر بن محمد الخيراتي بيام .

توفي الأمير (محمد بن أحمد الخيراتي) وأوصى بأن يخلفه ابنه حيدر ولم يتم العمل بتلك الوصية وخلفه ابنه الأكبر احمد بن محمد بن أحمد الخيراتي [الذي] غدا يتوسع في الأعطية

---

(١) سيرة مخطوطة، نخبة النخب وأسوار الذهب، ص٤٢.
(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية ج ١ ص ١٠٦.
(٣) درر نحور العين ص ٢٦.

والمقررات على أخوته وأبنا عمه وكان تنقصه قوة الارادة فقلت هيبته .. وتلاشت السلطة المركزية وتأخرت أعطية من لم يكن لهم إقطاعيات فاعلنوا الخلاف وخرجوا ثائرين... [فاستدعى] يام لاستخدامهم [ثم] استدعى أخيه حيدر .. وتنازل له عن الإمارة [الذي بدوره] تسلم زمام الأمور .. ثم توجه على رأس يام إلى حرض ومنه وزع عليهم الأعطية وجهزهم للعودة إلى بلادهم في أواخر ١١٨٦هـ.

وبدت على [أحمد] دلائل الندم والأسف على تنازله عن الإمارة .. وأخذ في الاستعداد للوثوب فشعر أخوه بخطره فضرب عليه نطاق الحصار .. وانتهى الأمر بخروج [أحمد] من أبي عريش إلى اليمن وفي طريقه أتفق بعمه "الحسن بن أحمد" الذي هو بدوره قد خرج مغضباً لأبن أخيه .. فاتفقا على العمل ضد عدوهما المشترك.

وصل الأمير أحمد إلى الإمام [المهدي العباس بن الحسين بن القاسم] وبثه شكواه فكتب إلى الأمير حيدر بشكوى أخيه وأنه يرى الخير لهما المصالحة.

تخوف الأمير حيدر .. واستدعى "ياما" فأقبل إليه منهم ما ينوف على ثلاثة آلاف مقاتل وكرد على مالمسه في ميل الإمام مع أخيه وعمه سار "بيام" إلى بلاد الإمام الشرقية غازياً .. [ثم] صرف نصف يام إلى بلدهم وذلك في عام ١١٨٨هـ

أما الإمام .. [فأعطى] الحسن بن احمد أمر بعزل ابن أخيه و توليته على المخلاف فبعث هذا بالأمر الى ابن أخيه حيدر فقبل التنازل مكرهاً.

[ولان] العمل كان مشتركاً بين الأمير أحمد وعمه الحسن بن أحمد ضد خصمهما المشترك الأمير "حيدر" .. قام شريكه يطالب بقسطه فلم يف له الشريك بكل ما تم عليه الأتفاق لذلك .. سارع بالتوجه إلى .. أخوه الأمير السابق حيدر خصم الأمس .. وتفاهما على العمل ضد عمهما.

في رجب عام ١١٨٩ توفي أمام (صنعاء) المهدي فأخذ القلق و الخوف يساور قلب الأمير الحسن خشية أن يعضد الأمام الجديد [المنصور على بن العباس] ابني أخيه حيدر بن محمد و احمد بن محمد بيد أنه تشجع واخذ البيعة و بعث له بأوراق البيعة مع المقرر السنوي من الخيل فوصله التأييد على عمالة المخلاف و هنا أدرك خصما الأمير بأنه أسقط في يدهما وأن من الأفضل لهما الاستعانة بقبائل يام لإدراك قصدهما بالقوة.

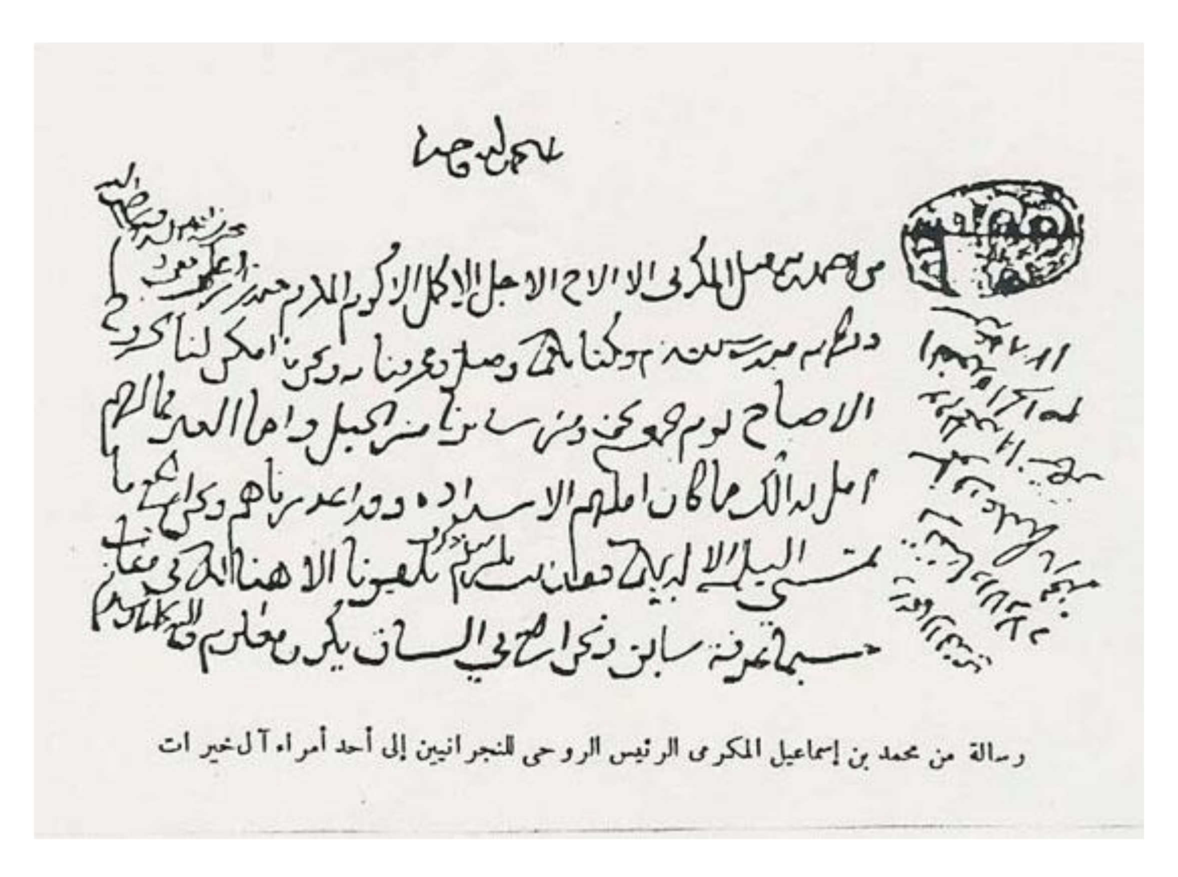
. .. وفي شهر ذي القعدة ١١٨٩هـ نزل من قبائل يام خمسمائة..... وكان لدى الأمير بعض المتجندين من يام ... فطلب الأمير منهم نصيحة رفقائهم الجدد واقناعهم بالعودة إلى نجران ... وزحفوا إلى الأمام حتى عسكروا في زبارة أم (الغلف) وقضوا بقية يومهم وفي الصباح مروا من أطراف مدينة أبي عريش في شبه استعراض حربي ووجهتهم إلى قرية البيض التي ينتظرهم بها الأمير السابق حيدر بن محمد وبوصولهم إلى البيض استدعوه، وبعد المفاهمة أرسل إلى عمه يعرض وساطته بينه و بين يام ... فرفضها.

و خرج حيدر وضرب خيمته في معسكر يام كما أرسل إلى الأمير احمد بن محمد بن احمد وضربوا الحصار على أبي عريش ومنعوا منها مواد التموين، وكتب الأمير الحسن إلى الأمام بالواقع مستنجداً وظل منتظراً حتى وافاه جواب الإمام وبرفقته كتاب أو بالأحرى أمر إلى أهل المخلاف السليماني يحضهم على الوقوف بجانبه والقتال في صفه وهب أهل المخلاف لمساعدته ... وأقبلت كتائبهم تترئ إلى أبي عريش للقتال إلي جانبه، ونشب القتال بين يام المؤيدين للأمير حيدر وأهل أبي عريش ومن معهم من أهل المخلاف المؤيدين للأمير الحسن ففي يوم ١٣ ذو

الحجـة ١١٨٩ هـ تقدمت يـام بقيـادة الأميـر حيـدر لمهاجمـة المدينـة فخـرج إلـيهم المـدافعون وهزموهم، في أول الأمر ثم استعادوا معنوياتهم بتشجيع من الأمير حيدر وأعادوا الكرة على أهل المدينة وأنصارهم حزب الحسن فأزالوهم عن أماكنهم ثم هزموهم شر هزيمة.
وانسحب [الأمير الحسن] إلى اليمن في شهر صفر .. وأختلف الأخوان في من يتولى الإمارة .. فرجحت كفة الأمير أحمد .. [ثم أهل أبي عريش] لم يرضوا بإمارة الأمير أحمد حتى جعل لهم على نفسه ضمناء من وجوه يام من الظلم والجور والعسف الذي اتسم به في عهده الأول. (١)
[بعد ذلك أورد صاحب المخلاف رواية عن معركة ليام في سوق ابي عريش بقيادة أحمد بن إسماعيل المكرمي ولقد بحثنا في تلك الفترة الزمنية وما قبلها وما بعدها فما وجدنا أحد بهذا الاسم من الرؤساء إلا في عام ١٢٨٤هـ أي بعد اربعة وتسعين عام من هذه القصة !!] (٢) .

[وأورد محمد أحمد العقيلي: وثيقة من أحمد بن إسماعيل المكرمي إلى حيدر بن علي ولم يذكر سبب لتلك الوثيقة ولم يذكر أن احمد بن إسماعيل المكرمي اشترك في معركة و لا غزا غزوة فما الهدف من ذكر تلك الوثيقة ؟ الله اعلم أنه أوردها ليثبت أن احمد بن إسماعيل كان مع أهل معركة السوق (سوق أبي عريش) و لكن الفارق الزمني الكبير الذي يفرق بين تاريخ المعركة وتاريخ الوثيقة لا يساعد على ذلك.]

[تاريخ المعركة هو ١١٩٠هـ وتاريخ الوثيقة ١٢٨٤هـ أي أن أربعة وتسعين عاما هي الفارق بين الحالتين. و الأمير حيدر بن محمد هو المستعين بيام و ليس حيدر بن علي!!!]



رسالة من محمد بن إسماعيل المكرمي الرئيس الروحي للنجرانيين إلى أحد أمراء آل خيرات

(١) المخلاف السليماني ج ١ ص٤١٠/ ٤١٢.
(٢) المخلاف السليماني ج١ ص٤١٥.

نص الوثيقة:
الحمد لله وحده
من أحمد بن إسماعيل المكرمي إلى الأخ الأجل الأكمل الأكرم المكرم حيدر بن علي حرسه الله. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.صدرت للسلام كتابكم وصل وعرفنا به ونحن ما أمكن لنا الخروج إلا صباح يوم الجمعة نحن ومن سايرنا من الجبل وأما الغير فما لهم أمل لذلك مما كان أملهم إلا سدادة وقد أعذرناهم ونحن أن شاء الله ما نمسي الليلة إلا لديكم فقد أنت تلزم من ذكرت يلقونا إلا هنالك في (مقاب) حسبما عرفته سابق وغدا ونحن أن شاء الله في الساق يكون معلوم والله يجملنا والسلام. والجمال الذي يرافقنا والأولاد يسلمون عليك تاريخ يوم الجمعة ١٩ شهر القعدة سنة ١٢٨٤ .

الختم [١]

١١٩١هـ نزول يام للمخلاف السليماني.

....بمجرد أن علم الأمير [٢] بأخبار نزول يام سارع إلى العودة إلى أبي عريش ومكث بها بادي القلق مشبوب الاهتمام وفي أثناء ذلك أصطدم بعض جنوده من الياميين الدائمي الإقامة مع بعض أهالي المدينة فقُتل أحد اليامين فكظم [اليامين] غيظهم انتظارا للفرصة المواتية، وصل المكرمي حسن بن علي وعسكر في شعب مشرف، ثم أنتقل إلى قرية العقدة، ومنها قام بالغارات على قرى جازان ووادي ضمد حتى أضطر الأمير إلى استرضائهم بشيء من المال .....[٣]

١١٩١هـ خروج يام وقصدها صعدة.

وفيها تجمعت قبائل يام أهل نجران وقصدوا صعدة [٤] لعلمهم باتحاد أمرهم مع قبائل سحار ... ولما حاصروا صعدة وقاربوا تسلمها جنح أهلها إلى مصالحتهم فاشترطوا عليهم ثمانية آلاف قروش فرانصة. ثم ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء فتفاشلوا .. وعادوا بخفي حنين [٥].

١١٩٢هـ - استعانة الأمير علي بن محمد الخيراتي بيام.

تولى شئون الأمارة [أمارة الخلاف السليماني] علي بن محمد [٦] وأخذ في العمل على محاولة تهدئة الأمور ثم خرج إلى الواعظات -وكانت تابعة للإمارة المناطة بهم - عاد منها إلى "حرض" [٧] وهناك قابله جماعة من يام فاصطحبهم إلى أبي عريش ثم إلى بيش [٨] فاليمن ..[٩]

(١) المخلاف السليماني ج ١ ص٥٢٠
(٢) الامير احمد بن محمد الخيراتي.
(٣) المخلاف السليماني ج ١ ص٤١٥ /٤١٦.
(٤) صعدة مدينة في الشمال الغربي من بلاد اليمن.
(٥) درر نحور العين ص ٤٩.
(٦) الامير علي بن محمد الخيراتي.
(٧) بلدة في البلاد التهامية.
(٨) بلدة في البلاد التهامية.
(٩) المخلاف السليماني ج ١ ص٤١٧

١١٩٢هـ الفتنة التي أثارها أهل أبي عريش ضد يام.

في جماد الآخرة سنة ١١٩٢هـ نجمت فتنة بين يام - حاشية الأمير [(١)] و جنده وبين أهل أبي عريش قام يام وقد أنسوا من أنفسهم القوة بمطالبة الأمير بتمكينهم من القود بشخص زعموا أنه هو الذي قتل رفيقهم اليامي في عهد الأمير أحمد ونزولاً عند إرادتهم زج الأمير بالمتهم في السجن وتعهد لهم بتسليمه إذا لم يرض أهل المدينة في دم رفيقهم فضجت المدينة وأرسلوا من يراجع الأمير في غلطته فقال عليهم بمراضات يام فاضطر الأهالي إلى بذل أكثر من الدية ليام فأشتطوا هؤلاء في الطلب وطالبوا بتعويض غير مستطاع ولا معقول فرفض أهل أبي عريش طلبهم. وعند ذلك طلب الياميون من الأمير تسليمهم المتهم للقود به ونزولاً عند إرادتهم أمر الأمير بتسليمهم الرجل المتهم. أستلم الياميون وقادوه للقود منه بدون محاكمة ولا إثبات شرعي فأسرع وجها المدينة إلى الأمير راجين إرجاء التنفيذ فأمر بسجنهم. عندما تجمهر أهل المدينة وساروا في شبه مظاهرة صاخبة ورابطوا قريباً من الجامع بحيث يشرفون على ساحة التنفيذ وما راعهم إلا إقبال يام بالرجل وإيقافه في وسط الساحة وتنفيذ رغبتهم، فطوح السيف برأسه فأطلق المتظاهرون النار ونشب القتال. ابتدأت المعركة أول النهار إلى بعد صلاة الظهر وأضطر أهل المدينة إلى التحصن في البيوت الحجر ومنها أصلوا الياميين نار حامة فأراد الياميون لما نالهم من حرارة الشمس والعطش الدخول إلى بيوت الأمراء (آل خيرات) فظن هؤلاء أنهم يريدون الهجوم على بيوتهم فاصلوا شواظاً من رصاص البنادق فوقعوا بين نارين وتحرج موقفهم فانسحبوا إلى خارج المدينة فخرج أهل المدينة لمطاردتهم وقد بلغ عدد القتلى من يام في تلك المعركة ٤٠ قتيلاً ورحلوا من يومهم إلى نجران .[(٢)]

١١٩٣هـ - استعانة الأمير يحيى بن محمد بيام.

......وقد زاد الحالة سوءاً نهوض أخيه الأمير السابق يحيى بن محمد لاستعادة الأمارة مستعيناً بيام الذين وافاه منهم ألف مقاتل، وهنا نشب القتال بين أهل أبي عريش المؤيدين للأمير احمد وبين يام أنصار الأمير يحيى بن محمد...ولما استلم "يحيى بن محمد" مهام الوزارة سار على رأس يام لاستحصال زكوات صبياء ....[(٣)]

١١٩٣هـ - نزول يام للأخذ بثأر أصحابهم .

في إبتدأ عام ١١٩٣هـ نزل المكرمي متذرعا بقصد إبرام صلح بين أهل مدينة أبى عريش ويام وأن كان المقصد الحقيقي الأخذ بثار أصحابه وإعادة مكانة الياميين وسلطتهم ونفوذهم [نلاحظ ان الكاتب هنا يتكلم عن النوايا دون ان يقدم دلائل لاستنتاجاته تلك]، وقد أتخذ المكرمي من قرية البدوي قاعدة لشن غارة مزعجة على أبي عريش بعد أن استولى على المحصول الزراعي لعموم خبت المسرحي. شدد الياميون على المدينة فاضطر أهلها إلى الاستنجاد بأهل صبيا وضمد فوصلهم أهل صبيا على رأس عاملهم ناصر بن محمد كما وافاهم أهل ضمد، وشعر المكرمي بهذا التجمع فتأخر موقتاً عن مهاجمة المدينة وشغل أصحابه بإكمال ما تبقى من غلال خبت المسرحي حتى اجتمعت لهم تلال من الحبوب في حين أن النجدات التي وصلت إلى أبي عريش أرهقت أهلها بنفقة إقامتهم فاضطر أهل المدينة بالسماح للكثير من تلك النجدات بالعودة إلى أوطانهم وعند ذلك سنحت الفرصة للمكرمي فتقدم صوب المدينة. تقدم المكرمي إلى أن

---

(١) الامير يحي بن محمد الخيراتي.
(٢) المخلاف السليماني ص٤١٧-٤١٨
(٣) تاريخ المخلاف السليماني ج١ ص٤٢٣-٤٢٤.

عسكر في زيارة أم الغلف التي تشرف على المدينة وفي ٧ محرم ١١٩٣هـ تقدم أهل المدينة على عسكر اليامبين على الترتيب الأتي:

(١) الأمير يحيى بن محمد على رأس جماعة من قبيلة بكيل في الميمنه.
(٢) أهل صبيا الذين سارعوا إلى مساعدة رفقائهم في القلب.
(٣) أهل أبي عريش في الميسرة.

ويظهر أن الأمير لم يخرج إلى المعركة من باب المجاملة لأهل المدينة الذين تولى بمساعدتهم الأمارة [ما زال الكاتب يتكلم عن النوايا دون دلائل وكأنه مكشوف عنه الحجاب]، وإلا فهو على اتصال باليامبين، فإننا نلاحظ أن ياماً وجهت قوتها إلى الميسرة والقلب، فأما الميسرة التي تتكون من أهل المدينة فقد انهارت تحت وطأة شدة الهجوم وثبت أهل صبيا ثباتاً مشهوداً حتى هزمت أيضاً، وأما الميمنة فقد تراجعت دون خسارة، ويقول صاحب النزهة تعليقاً على الموقف -وكان القصد إليهم يسير- أي أصحاب الميمنة وأتبع اليامبون المنهزمين من أهل صبيا وأبي عريش واثخنوا فيهم القتل وقد بلغ القتلى من أهل المدينتين ٨٠ قتيلاً، ونصف ذلك العدد أسرى.[١]

١٢٠٨هـ خراب عراس.

.... كان الفقيه حسن بن علي حنش أرشد إلى التنكيل بقبائل يام الذين يحصنون عراس[٢] وهدم ديارهم وأخراجهم من المحل تطهيراً للبلاد من لوث الفساد، فألقى هذا المراد بين يدي الإمام وما استغنى عن استشارة حاكم الحضرة العماد يحيى بن صالح السحولي فكانت المشورة من حاكم الحضرة بالإقدام على أولئك الطغام وأبادتهم من بين الرعية ... ولما أباد حضراهم وأتي على حصونهم ... ظهرت الإحن والأحقاد واجمع رأي الوزير الأعظم الحسن بن عثمان الأموي وأحمد بن إسماعيل فايع على أن الأمر الذي اقدم عليه الأمير يحيى بن محسن جالب لخروج قبائل يام من نجران وأنه لا سبيل إلى مدافعتهم ... وتكلم الحسن بن عثمان ... وما زالت الأمور تموج وقبائل يام في تلك الإيام تتفوه بالخروج ووصل منهم محمد بن عبد الله صاحب طيبة[٣] من وادي ظهر ... ولما تمادى الأمر "سأل " حسن بن علي حنش ما المراد من هذا التخويف؟ فأجابه أنه لا يصلح الأمر سوى إعادة ما هدم وتشيده على الوجه الأتم، وإرجاع ما سلبه الجند من المال والمتاع، فأبى وقال ما كنت مؤثراً على حكم الشرع رأي العقل ... [وبعد أخذ ورد رأى أن يولي الأمر] الحسن بن عثمان الأموي، فأعاد للمكارمة ما كان هدم ورفع وشيد..[٤].

١٢٠٩هـ خروج يام إلى مور.

(١) المخلاف السليماني ج ١ ص ٤٢٠ -٤٢١.
(٢) عراس – منطقة جنوب مدينة يريم متصلة بها.
(٣) طيبة قرية وحصن أعلا الجبل المطل على وادي ظهر من جهة الغرب.
(٤) درر نحور العين ص٣٤٤/٣٤٥.

وفيها خرجت قبائل يام ووصلت إلى مور[١] والعامل على الزيدية [٢] في تلك الأيام علي يحيى سرور فبعث الإمام عليهم جماعة من حاشد في نحو ألفين، فالتقوا واحتربوا وكانت الدائرة على حاشد، فأنه قتل منهم نحو المائة وأسرت يام منهم خلق وسلبوهم السلاح وجميع الخزانة من السوق والسياق والمتاع والقراش، وتعقب ذلك نزول عبد الله جوهر..[٣] .

١٢١٠هـ - خروج يام لتهامة.

[نزلت] قبائل يام إلى تهامة في مطلع عام ١٢١٠هـ فسير المنصور [٤] جماعات بلغت ثلاثة آلاف مقاتل على رأسهم من حاشد السادة بيت أبي منصور وبنو الأحمر ومن بكيل آل جزيلان وقاد الجميع عامل الزيدية علي بن يحيى سرور، ووقعت مناجزات تقهقرت على أثرها يام إلى نجران. [٥]

١٢١٠هـ نزول يام إلى تهامة.

وفيها نزلت قبائل يام على تهامة فسير الإمام جماعات من حاشد كالسادة بيت أبو منصر وبني الأحمر ومن بكيل آل جزيلان فكانوا نحو خمسة عشر مائة وكان الأمير عليهم علي بن يحيى سرور وكاتبه عبد الله بن علي الحيمي، فساروا إلى اللحية[٦] والأمير علي بن يحيى هناك وولاية الزيدية إليه، فوصلت يام إلى حرض[٧] فخرج الأمير علي بن يحيى من البندر إلى الجامعي[٨] وأقام مطرحة، ببر الوريور ... فأقدمت يام إلى مطرحه فقامت الحرب على ساق وقتل من الفريقين عدة ثم كانت الهزيمة في جند الإمام إلى مدينة مور، وفي اليوم الثاني وصلت زيادة الإمام فيهم بني الأحمر والنقيب حسين شوط .. والنقيب بن عمران العنز وآخرون نحو خمسة عشر مائة فندبهم علي بن يحيى على الأقدام علي يام فقهقرت منهم الأقدام وطالبوا بالزلاج[٩] وقد أخذوه من الإمام وتفاشل الأمر، ويام بمحل يعرف بـ(كتف السيد) وحصلت الفترة من جانب أصحاب الدولة خمسة عشر يوماً ويام هناك مناظرة ولما لم تر كيداً رجعت إلى نجران[١٠] .

1211هـ - خروج يام للبلاد التهامية.

وكان الأمير عبد الله جوهر قد خلف الأمير سرور (وعادت يام لغزو تهامة) وكان معه (أي الأمير عبد الله جوهر) ألف وخمس مئة من قبائل ذي حسين وآل عفراء و آل الشايف فهزمتهم يام ومن معهم من جند الدولة - وكانت الأسرى في ذي حسين نحو مئتين وسبعين نفراً أخذت يام سلاحهم ومتاعهم، وأنهزم الأمير عبد الله جوهر في جنده فسارت يام إلى الجامعي[١١] [ثم] إلى الوعضات وما والاها وعادوا إلى بلادهم. [١٢]

---

(١) وادي مشهور تقع في أسفله مدينة الزهري.
(٢) بلدة تهامية.
(٣) درر نحور العين ص ٣٥٥.
(٤) الامام المنصور علي بن العباس بن القاسم.
(٥) مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ص ١١٧.
(٦) اللحية فرضة على البحر الأحمر.
(٧) حرض مدينة ووادي شرقي ميناء ميدي.
(٨) مركز إداري من مدينة اللحية.
(٩) المقابل المادي.
(١٠) درر نحور العين ص٣٧٥.
(١١) بلدة في اليمن.
(١٢) مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ص ١١٧.

١٢١١هـ خروج يام إلى تهامة.

وفيها خرجت يام وقصدت تهامة، فبلغت القطيع[١] ... وأسروا السيد أحمد بن سليمان صاحب القطيع.

١٢١٣هـ دخول يام إلى الدريهم.

وفي هذا العام خرجت قبائل يام وبلغوا إلى الدريهم[٢] فاستقروا به و[غنموا] البلاد جميعها، والتفت الزرانيق عليهم فبغتوهم إلى الدريهم ووقعت بينهم قتلة عظيمة وعادوا البلاد فنزلوا بجماعات منهم، وارادوا الانتصاف فدخلوا زبيد[٣] [وغنموا] أموالاً منها وعادوا بلادهم.[٤]

١٢١٤هـ خروج يام إلى حيس.

وفيها تغيرت احوال التهائم ولم يرض الرعية لصالح بن عبد الله الاموي وحصلت الموحشة بينهم وبينه وخرجت قبيلة يام ووصلت إلى حيس[٥] [وغنموها] وأقاموا ببلادها نحواً من ثلاثة اشهر وعادوا منها. [٦]

١٢١٥هـ غزو الموهبة نجران.

وفيها بعث عبد العزيز[٧] نحو أثني عشر ألف يقصدون قبيلة يام إلى نجران فساروا، فجاءت العيون إلى يام تخبرهم، فسار من يام ثلاثة ألاف فنزلوا نهقة وبينها وبين نجران ثلاث مراحل وهي تحجب بدراً عن المصاول فجاءت طريق النجديين مخالفة فلم تشعر قبيلة يام إلا وقد قيل لهم أن المكرمي قد حوصر ببدر فكروا بالغارة فبلغ أهل نجد فتنحوا عن بدر، فتبعهم يام فتصافوا قريباً من نهقة ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، واشتدت قبائل نجد فدهموا أياماً إلى قريب بدر، فجاءتهم زيادة فكانت الدائرة على قبائل نجد، غنم فيها أهل نجران أربعمائة ذلول موقرة ميرة وزانة وعبي حساوي فكروا راجعين. [٨]

١٢١٥هـ دخول يام إلى زبيد.

... وارادوا دخول بيت الفقيه[٩] وبها الأمير محمد وفد الله وكان قد رتبها ترتيباً كبيراً، فلم يستطيعوا وساروا إلى تهامة اليمن وأنتهى بهم السير إلى زبيد فحصروها ودخلوها وما حولها،

(١) بلدة بجوار الطريق الذاهبة من الحديدة إلى باجل.
(٢) البلدة الواقعة بالغرب الشمالي من بيت الفقيه.
(٣) مدينة ساحلية.
(٤)درر نحور العين ص٤٠٨.
(٥) بلدة تهامة في جنوب زبيد.
(٦) درر نحور العين ص٤٦٠.
(٧) عبد العزيز بن محمد بن سعود (الدولة السعودية الأولى).
(٨) درر نحور العين ص٤٧٨.
(٩) مدينة من مدن تهامة.

فضموا أشتات المتاع والمال النقدي والحلي، فأعوزهم حمله، فتخيروا أحسنه وسلطوا على ما لا طاقة لهم بحمله النار. [١]

١٢١٥هـ ظهور الفتن في اليمن وظهور الموهبة.

ففي هذا العام ما زال أحمد بن حسين الفلقي بأمر عبد العزيز ويلقي إلى الأذان حسن طريقة النجدي ويرفع في أهله الأشراف المعافين لطف سيرته ويثير عزمات الغافلين، ويحدث في المجامع صلاح نجد في الدين، ويصور لهم حسن مذهبه ويستميلهم إلى جانبه ويخبرهم عن ملاقته لهم بمكة عام أربع عشرة وأستفصالهم له عن داعيتهم وأنه فرض على الإنسان فرض العين أن يجاهد المباينين له ... فبث فيهم الدعوة وأسترهبهم بما عليه صاحب نجد من الدين والقوة فمال إليه بادئ بدأ الشريف علي بن حيدر وهو إذ ذلك متولي جازان وأعمالها غير أنه لم يظهر المباينة فتخربت له الطوائف وتجمعت وأجمعت على خلع طاعة أشراف أبي عريش .. وقبل الناس إلى بيش رعيلاً بعد رعيل وتقاعد أشراف سائر تلك الجهات عن أثارة الفتنة ماعدا أشراف أبي عريش فأنها ثارت عزماتهم فبعثوا إلى الأطراف، يستنجدون خواصهم من العرب والأشراف .. فاشخص منهم جماعة إلى نواحي أبي عريش يندبون أصحابه من قبيلة يام فوردوا بهم عليه وكانوا خمسمائة، فسار بهم قاصداً وادي بيش[٢] فدعا الناس الفلقي إلى مصاولة حمود فاجتمع له من المقاتلة ثلاثة الآف وبادروا السير نحو أبي عريش[٣] ونزلوا بساحل صبياً[٤] فدفنوا به الآبار وأخفوا مواضع الماء وتنحوا قليلاً فنزل حمود إلى ساحل صبيا بموضع مشرف على مسيل وادي صبيا ليقيل هناك ويستشير أصحابه وهو فارغ القلب عن المصاولة في ذلك اليوم وأرسل العيون فاخبره جماعته بأنا بمحل لا ماء فيه ونخشى هجوم العدو علينا وانتصافه منا، فأمر رجلاً فصاح في قوم من كان له فرس فليركبها ومن كان راجلاً فليحمل سلاحه ويلبس لامة حربه ودخل في أناس من يام يقال لهم آل فاطمة والشريف علي بن حيدر في قبيلتي مواجد وجُشم وقام الشريف حمود بالشق الغربي من مسيل وادي صبيا فصف القوم للقتال كصفهم للصلاة وهو ما شي لابساً لأمة حربه وخلفه فرسه يقودها سائسها فلما استووا ودنى منهم العدو الزمهم أن يرموا ولا يحملوا حتى يكون هو الفاتح للوطيس الساعي إلى قلب الخميس[٥]، ودعى إليه الأشراف وقاموا على خيولهم يميناً وشمالاً فزحف الفلقي وأمر جيشه أن يرموا فأقعى حمود بفرسه فأقعت الأشراف بأفراسها بعد حتى لصقت بالأرض ثم همز فرسه فقامت وقامت الأشراف حوله فركض بالخيل في وجه العدو وصاح بعبيده ياولادي الغنيمة الغنيمة وكان عساكره خلف ظهره وصاح بهم اللحوق اللحوق ولم يزل يجول بالخيل في مصاف الفلقي وأصحابه ترمي متخلله بين الخيل فداست مقدمة الفلقي سنابك خيله ورشقتهم بالرماح وطفق مسحاً بالصفاح وأنهزم الصف وولوا الأدبار والخيل تكر فيهم مقبلة ومدبرة واشتد ميمنة الفلقي فعقروا ثلاثة أفراس من خيل حمود وأصيب جماعة من أصحابه ووجدوا بين خيول الشريف من أصحاب الفلقي في تلك الصدمة ثمانية قتلى داستهم سنابك الخيل كل واحد من الأشراف عيّن قتيله منهم وأثني عشر قتيلاً أصابتهم الرصاص، وصاح الشريف حمود بعلي بن حيدر ومن معه من جُشم ومواجد: الغارة الغارة فضربوا الميسرة والقلب فناوشهم ساعة بالطعن والضرب وأشتد حمود فهزم الميمنة فانقض أصحاب الفلقي وولوا الأدبار .. [٦]

---

(١) درر نحور العين ص٤٨٣.
(٢) من قرى جازان.
(٣) من مدن جازان..
(٤) مدينة من مدن جازان.
(٥) وهو الجيش يقال له الخميس..
(٦) درر نحور العين ص٤٧٥/٤٧٦.

١٢١٦هـ خروج يام إلى التهائم.

وفيها تحركت قبائل يام وقصدت التهائم، ... وغنموا الأموال .. وعادوا وقد أوقروا حمائلهم من جميع المشتهيات[١].

١٢١٩هـ موالاة يام في حراز للإمام.

وفيها جنح علي محمد شبام ومن والاه من قبائل يام على موالاة الإمام، وأفصحوا عن نزولهم من الحصون مكراً منهم وخداعاً، فتسلم منهم الأمير يحيى بن محسن حنش رهائن وصولحوا على ثلاث عشر مائة قرش. [٢]

١٢١٩هـ موالاة يام في حراز للإمام ٢.

ولما ضاقت النفوس وأشتد الحرب والبوس وذهب من الطائفتين الرؤوس طلب جند الأمير يحيى بن محسن التأمين ونصبوا ليام الراية وطلبوا العهد على أن لا غدر ولا خداع. فانثال جماعة يام إلى بيت القاضي وتسلموا جميع ما في الحصن من متاع وفراش ومال. وأقعد كل رجل من أصحاب الدولة إلى جانبه رفيقاً من يام ودار بينهم العتاب وأظهرت يام الغلظة والشدة في الكلام ثم طلبت خروج جند الدولة من الحصن فقاموا ليخرجوا فوجدوا قبيلة يام قد صفت صفين وأشهروا السيوف في الجانبين وخرج الكل تحت ظل السيف حقيقة، وأنزلوهم إلى الحصن كاهل فأرادوا الذهاب فأضافتهم قبيلة يام تلك الليلة ثم سيروهم من الغد واستفاضوا على البلاد.[٣]

(١) نفس المصدر ص٤٩٢.
(٢) نفس المصدر ص٦١٤.
(٣) نفس المصدر ص٦١٥.

التاريخ

الباب الخامس



الباب الخامس

١٢٢٠هـ يام حراز تخرج إلى الحديدة.

وفي آخر جمادى الآخرة سار جماعة من يام الذين كانوا بحراز بلغوا إلى الحديدة فدار بينهم وبين عامل الإمام بها في الذب ومنع الموهبة ومن يلوذ بحمود من النزول إليها والسعي في إصلاح الطرق وعلى أن يستنزلوا أصحابهم من حراز على أداء مال معلوم، وسار جماعة منهم وكانوا نحواً من مائتي نفر وخمسة وعشرين، وكان الأمير صالح بن يحيى قد أمرهم أن ينزلوا جماعتهم من حراز فصادفوا غازية من الموهبة ما بين قرية القطيع وبندر الحديدة فتصافوا للقتال ودارت رحى الحرب بينهم وأشتد الطعن والضرب فدارت على الموهبة ولزم كبار يام منهم ستين أسيراً فسلبوهم مع غيرهم من الفارين بنادقاً وسلاح فقادوا سبعين مطية كانت الموهبة حملتها الأزواد وأخذ فرساً جواداً من فرسانهم، وعُقرت فرس للنقيب صالح بن قطيع اليامي وعادوا.(١)

١٢٢٠هـ -استعانة الفقيه صالح بن يحيى بيام.

وصلت إلى [الشريف حمود] خطوط من (علي حميده) شيخ القحري صاحب (باجل) (٢) يذكر له اجتماع كلمة يام و الفقيه صالح عن أمر الإمام (٣)، وأنهم يقصدونه بالشر قبل كل أحد، وهو يستمد الغوث من الشريف، فأرسل الشريف رتبة الحصن يحفظونه، ووعده بالوصول إليه بنفسه وجنوده أن صدقت مخائل يام، وحين ختم الأمر بين يام والفقيه صالح طلب منه الوصول إلى (باجل)، والمطرح على حصن علي حميده، فطلبوا منه أن يخرج إليهم مقدمياً ينصب الخيمة بينهم، فأرسل إليهم ابن أخيه حسن بن حسين بن يحيى العلفي، بعد أن أخذ منهم المواثيق في صيانته وإعزازه وإكرامه وأنهم لا يخاطبونه بشيء من المطالب،وبعد ذلك راسلوا علي حميده أنه يخلع طاعة الشريف ويرجع إلى طاعة الإمام، فبقي يمرض لهم الكلام وهو يكتب إلى الشريف يستنجده في الغارة وكان الشريف فيما بلغ قد عزم على إرسال أحد الشريفيين الماجدين، أما يحيى بن علي فارس أو الشريف علي بن حيدر ويكون النافذ بينهما أمر الجند وإليه ولاية مناجزة يام والفقيه صالح على أن يكون قيام الجند فيما يحتاجونه موكولاً إلى علي حميده وبعض خزنة الشريف، وبينما هو في تحكيم هذا الرأي إذ وافاه خبر موت علي حميده، وأنه حل به الحمام وأحله بين الجنادل والرجام، فحينئذ عزم الشريف على النفوذ بنفسه، وتوجه إلى قتال عدوه بنوعه وجنسه، وفي صحبته رجال الأشراف، وأهل الخيل، وجند ليس من قبيلة واحدة،إنما هم كحاطب ليل ولكن المذكور لقوة بأسه وثبات جأشه يكتفي بالقليل من الجند وكثير ما يقول في مجادلاته (النصر بالمدد لا بالعدد) والغلبة بالقدرة لا بالكثرة، فنفذ من مدينة (مور) في أوائل شهر رمضان سنة عشرين بعد المائتين والألف ومعه من الجند أهل القتال نحو الألف، فيهم من ذو حسين نحو المئتين، ومن رجال المع مثلهم والباقون من الفاف الشام. وحين بلغت الأخبار إلى يام بانفصال الشريف علموا وقوع الشر، فتأهبوا للقائه وحشدوا رجالهم لمناجزته، وقد كان الشريف مصراً على أن لا يبتدئ يام بحرب، ولا يباشرهم بطعن ولا ضرب، إنما عنده من بعضهم كلام، وفي يام رجلان من كبرائهم كانوا حريصين على قتال الشريف وعدم المخادعة معه والحامل لهما أمران أحدهما قد لاحت لهما بارقة الأطماع في (صالح بن يحيى) وأيقنوا أنهما يقفان منه على مال جزيل وعطاء اثيل، والثاني أن في أنفسهما

(١) درر نحور العين ص٦١٨.
(٢) بلدة من البلاد التهامية تقع شرق مدينة الحديدة على بعد حوالي ٥٥كلم.
(٣) الامام المنصور علي بن العباس بن القاسم.

ضغينة للشريف حيث لم يجدا منه ليناً ولا قولاً حسناً حين وصولهم وهو في الريغة والرجلان المذكوران هما (جابر بن مانع بن مذكر) من آل فاطمة من هبرة والثاني(عبد الله بن حسين بن نصيب) من مواجد بن مذكر،... فاقبل الشريف يقصد قرية باجل غير متأهب أهبة الحرب، وكان يظن أن يام لا يقصدونه إلا إذا قصدهم، فحين رءاه رجال يام نصبوا الرايات وتفرقوا ثلاث "رايات" واقبلوا حاملين على جند الشريف غير مبالين بايجاف ولا وجيف، فحين علم الشريف انهم قاصدوه ويرون انهم عن باجل يصدونه عبأ جنده، وقدح زنده، وتبسم تبسم الهزبر الهصور، وجال جولة الفارس العقور، وجعل من رجال قومه وفرسان يومه أميراً لأهل الرايات، وحمل من حينه فالتحم الحرب، واختلط الطعن والضرب، وثار العجاج، واظلم أفق تلك الفجاج، وكان في راية الشريف رجال من ذو حسين من بكيل، فثبتوا ثبات أسد الغيل، وحمل الشريف حملات حتى هزم من في مقابله، وضرب حتى تثلم سيفه وطعن حتى تقصد عالي عامله، وعقر تحته كم من جواد، وانتقل في ذلك الحين على ظهور الجياد، وخلط المواضي بالصعاد، واثخن القتل ، وفرق من أعدائه الشمل، وأخذ في تثبيت مشاة جنده من ذو حسين ورجال المع، وثبت كل أهل الخيل وهو أثبتهم، ويليه الفارسان البطلان يحيى بن علي وعلي بن حيدر واستطال العراك، وطال القسطل [١] إلى منازل السماك [٢]، وما رضي أحد الفريقين بالانهزام، حتى قتل من رؤساء يام الشيخ عبد الله بن نصيب أحد الرجلين الذين شاءوا حصول الحرب، فانهزمت يام بعد صرعته وانقلبوا به جريحاً إلى خيمته، ولبث بها إلى غروب الشمس، ثم حل به الحمام وسكن الرمس، ... وانحاز الشريف ورجاله إلى حصن باجل، وخيم برحبة الحصن في ظاهر البلد، فاكثر الفقيه حسن بن حسين الرمي بالمدافع، وفي الصبح بقي الشريف في محله غير مبالي برمي المدافع، ولا بما يفعل ويصنع، وهناك جبل يكشف على عورة الحصن أراد رجال يام الصعود عليه، وطرد الشريف من باجل ففطن الشريف لذلك فأرسل عصابة من ذوي حسين يحفظون الجبل، فطردوا عنه يام وبقوا نحو ثلاثة أيام، والشريف يعمل الحيل في مخادعة يام وتفريقهم عن ذلك المطرح وخروجهم من طاعة الإمام، والفقيه حسن بن حسين يعمل العمل والحيل في رجال بكيل، ويبذل لهم المال ما اقل منه يميل، وقد كان ذوي حسين ثاروا على الشريف في مطالب التقارير ورأوا... أنه بعد صنيعهم يوم الملحمة لم يبق له عذر عن تسليمها فما راعه إلا نفوذهم إلى مطرح الفقيه حسن، ثم قبضهم المال ونفوذهم إلى بلادهم فعند ذلك جاء الفرج... ويام بعد هذه الوقعة ركبوا الصعب والذلول، فطالبوا الفقيه صالح بما يعظم ويهول، ورفعوا قضيتهم إلى الإمام وذكروا أن الشريف في ضيق حال ولابد أن يقبضوه ويرسلوه إلى ذلك المقام فظن الإمام صدق ما قالوه فأرسل لهم بعطاء .. والشريف ما زال يفتل في الذروة والغارب حتى أستمال أكثرهم فثاروا على الفقيه صالح في الزلاج، ومفارقة هذه الفجاج، وقالوا قد فعلنا مالا يفعله أحد غيرنا وقتلنا الأشراف آل خيرات الذين كل فارس منهم على فرسه يعد بمئة فجاولهم الفقيه على أن يستنقذوا له الحصن (باجل) ويصطفوا له ما قد تغلب عليه الشريف من الرعايا والقبائل فلم يسمعوا له خطاب، ولا أرجعوا له جواب، وغاية ما وفق عليه منهم أن يسلم لهم جميع ما يطلبونه ويوصلون إليه ابن أخيه، ويصلحوا له شأنه وشان الشريف على هدنة سنة، ويكفل الشريف على غوازي نجد، ويقابل كل من قصد اليمن بالرد والمنع، فالتزموا له بذلك، ووعدوه بالوفاء بما هنالك فخاطبوا الشريف فقال لا بأس وطلب شيئاً من المال، مثل ما سلمه صالح العام بعد القتال، فقالت له يام اقبل منا الإصلاح وبعد نفوذنا افعل ما بدأ لك، وأسباب النقض كثيرة فساعدهم الشريف على ذلك المطلب، وهو منطو على ما هو اعظم واعجب، فرجع الفقيه حسن بن حسين إلى الحديده بعد التي واللتيا، وكانت عودته إلى عمه من اعظم المسار، بعد أن خوفه الناس أنه ربما يحصل فيه بعض العكسات شعراً:

(١) الجيش.
(٢) نجم في السماء.

فهـات أبنـي ودعنـي مـن خصـام　　　تقاولـه المعـدي والنـزاري

وكـان يهـون لـو أنفقـت مـالي　　　وعـاد ابنـي إلـيّ بعقـر داري

ثم توجه بنو يام إلى نجران [1] .

[كانت المعركة كما يجب وفي هذه المرة كانت الدائرة على جيش الشريف وأنصاره من ذو حسين وعملوا اليامية على الصلح والصلح أسلم مراعاة منهم للمعاهدات مع الطرفين والموافقة بينها خصوصا ان الهدف قد تحقق بتكفل الشريف برد عاديات نجد وهذا ما كان يخشاه الإمام. ولكن هذا لا يروق لكتاب السلطة المتزلفين إليها فشوهوا تلك الصورة النبيلة المؤدية إلى حقن الدماء ليس كما يزعم هذا المؤرخ انهم طالبو الطرفين بالمال حسب ما خطت يد هذا المؤرخ فهم الذين لم يغيروا موقفهم رغم إغراءات الشريف ولم يكذبوا أو يفتروا في خبرهم للإمام فجيش الشريف من ذو حسين قد ترك الشريف وحيدا محاصر في الحصن واعتقد ان هذه النوعية من المؤرخين كانت تكتب لفئة معينة حتى يسترضوهم ولم يكن في حسبانهم ان كتاباتهم هذه سوف تحقق وتنتشر وتنشر أمام الملأ .]

وذكر صاحب كتاب درر نحور العين:

«.... فلما اشتدت الأبطال من يام على حمود ومن معه انكسروا وفروا نحو حصن باجل بعد أن رأى من قتلى قومه ما يهيل فأنها حصرت القتلى الذين ظهروا في يومهم سبعمائة نفس من جميع القبائل التي كانت معه. وبعث صالح بن يحيى إلى باب الإمام ثلاثة وأربعين رأساً فقلت عند أن رأيتها: فتح الله للإمام بلاد التهائم، فكان ذلك تاريخاً، وعقرت فرس حمود تحته، وأخذت خمس خيل من فرسان أهل الشام وفرسين من فرسان آل جزيلان وفرس ناصر بن غنّام وفرس من أفراس أهل الشام وفرس أخرى. واستولت يام على سوقه وسياقه جميعه وأتوا على متاعه وخيامه فحازوها وظفروا بخزانته من الباروت والرصاص والمال. ولم ينج حمود إلا بما عليه من الثياب واللآمة، وأسرت يام أسرى من جنود حمود. هذا كله بعد أن رأوا قتل كبيرهم عبد الله بن نصيب وأبن عم جابر بن مانع ..»

«.... ولم يثبت على أمره سوى جابر بن مانع وحسن بن نصيب وبعض عقالهم فجعلوا هدنة عام، واشترط حمود في الهدنة ارتفاع حسن بن حسين وعلى أن يكون لحمود القحرا وما يليها من جهة الشام وللإمام من العبوس وما يليها من جهة اليمن ..... ولم يبق حمود على تلك الهدنة بل بدأ له تغييرها بعد ثمانية أيام إذ كانت الموهبة قد ألزمته أن لا عهد لأولئك ولا ذمة، فسير يحيى بن علي فارس على العبوس فسار إليه الأمير حسن بن حسين بقوم غير كثير إلى العبوس فقامت الحرب بينهما ودامت مراراً وأياما وكانت تنكسر المجامع النجدية مرة بعد أخرى.» [2] .

---

(١) نفح العود في سيرة الشريف حمود ص ٢٢٠.

(٢) لطف الله جحاف، كتاب درر نحور العين ص٦١٨،٦١٩.

١٢٢٠هـ - فك الحصار عن حصن شبام بحراز.

... والإمام [١] في تلك الأيام قد كان جهز جيشاً إلى حراز وأمر عليهم عبداً يسمى "ميسور" وكان حراز قد تغلبت على قلعته رجال من يام على يد رجل من أهل حراز يقال له - علي شبام فبلغ ميسور إلى حراز وتعسر عليه إقامة الجند ولم يصل إليه مدد من الدولة فتفرقت الأجناد وعاد إلى حيث لم يبلغ المرام، وعند ذلك أعادت الدولة إلى التجهيز وأعد له رجال من بكيل، وهم عمدة رجالهم وأمر الفقيه الماجد الرئيس يحيى بن محسن حنش، وكان من رؤساء الدولة ومن أهل العقول في حزم الخلافة، فتوجه إلى حراز على أن يناجز المتغلبين على قلعت شبام حراز وإضافة شبام إلى حراز عن "شبام كوكبان "، وهذا -الحصن - أعني شبام حراز حصن من معاقل اليمن الحصينة وقد تغلب عليه الفقيه علي شبام وجماعة من رجال يام[لعله يقصد استعادوا الحصن و انه لهم وهم من شيده وبناه] لأتحادهم في النحلة، فتوجه يحيى بن محسن إلى حراز وأستقر بحصن من حصونه المنيفة يسمى الضلفاع....وهو يقابل حصن شبام على رؤية العين، وحين استقر يحيى بن محسن في الضلفاع وعلم آهل حصن شبام أن معه رجالاً ربما يغلبون ويبلغون في نكايتهم المقصود كتب علي شبام ومن معه إلى يام وهم طارحون في أعالي القحري وأسافل حراز وطلبوا منهم المناصرة على ابن حنش، [فهم يرون أنفسهم محصورين داخل حصن شبام] ودلوهم على عورة حصن الضلفاع فغزا من يام خمسمائة، وفيهم أغلب عقالهم، ووصلوا تحت الضلفاع في الليل وقد ساعدهم جماعة من أهل الحصن من الرعية ودلوا إليهم حبالاً من جهة ما فيها أحد من العسكر، وكان ابن حنش وقومه في غفلة وعدم تيقظ أن يطرقهم في ذلك الحصن طارق، ويام من وصل إليه الحبل تمسك به وطلع ولم يزالوا على هذا الحال حتى أجتمع منهم خلق كثير، فصاحوا في رحبة الحصن فحصل الفشل مع العسكر الذي فيه وثبت جماعة من ذو محمد من بكيل، وملكت يام جميع معاقل الحصن، ثم فتحوا الباب... لمن بقى منهم فدخلوا وانحاز.... يحيى بن محسن حنش إلى جماعة من ذو محمد في زاوية حتى طلب الأمان في الخروج بسلام، ونهبت يام كل ما كان مع ابن حنش، ولم ينج إلا بنفسه وانحاز إلى محل بين الحيمة وحراز – ورفع أمره إلى صنعاء [٢] .

١٢٢٠هـ غزو النعمان بن الوليد لنجران (بدر).

وفيها توجه النعمان بن الوليد من حضرة سعود بن عبد العزيز إلى نجران فحط على المكرمي ببدر، فبعث المكرمي إلى الوادي (وادي نجران) مستغيراً فجاءته الغارة وتصافوا للحرب، فانكسر جمع النعمان وولى مدبراً، بعد أن أخذت يام أكثر أمتعتهم وأسلحتهم وكانوا (أهل الحرب من يام) قد بعثوا إلى من بنجران وتهامة من يام (يستصرخون بجماعتهم) وكانوا قد تأهبوا للمسير فجاءهم الخبر بالنصر.[٣]

١٢٢٠هـ استعانة يام بأهل صعفان.

ووصل خبر أن أهل نجران أرسلوا إلى من بصعفان [٤] :أن الغارة الغارة، فسار منهم ستون نفراً وقصدوا قاع تهامة وقصدوا قاع تهامة مظهرين أنهم قاصدون لحمود، فلاقاهم جماعة من أصحاب أبي نقطة فبلغنا أنهم قتلوا عن أخرهم، واشتد الحصار على من بنجران من الموهبة

(١) المنصور علي بن العباس بن القاسم.
(٢) نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود ص ٢١٨.
(٣) درر نحور العين ص٦٢٥.
(٤) جبل قرب مناخة مركزة (متوح).

المتتابعة بعد بسر بن أرطأه وقومه وأنه بلغ القدح الطعام بنجران خمسة عشر قرشاً حجراً، حتى قيل لنا أنها مالت طوائف من نجران إلى الدخول في معاهدة سعود غير أنهم رأوا ما المراد أن ديّنوا، وإذا هم يطلبونهم الحلقة من البنادق والسيوف والدروع فأنثنوا بشدة وعادوا للقتال أخراً. (١)

١٢٢١هـ - استعانة الإمام علي بن العباس بن القاسم بيام .

وكان قد بعث الإمام إلى زبيد بعثا كبيرا من حي بكيل حسيني ومحمدي فتوجه الفقيه حسين بن أحمد العلفي بتلك الجنود، وسلك طريق اليمن إلى (ذمار) ثم إلى (يريم) ثم إلى ذي (جبلة) ثم إلى (العدين)، حتى طرح بناحية(حيس) واستنفر رجال يام بخطوط يذكر لهم فيها الالتزام بالشروط (٢) ويأمرهم بالنهوض إلى زبيد وحيث اتصل بمسمع الشريف وتيقن اجتماع الكلمة بين جند الإمام ورجال يام بادر بإرسال علي بن عقيل الحازمي في عصابة من الخيل والركاب وجعل له الإمارة على زبيد فركب في سجوف الظلام حتى وصلها في اقل الأيام، وقد كان أهل زبيد قبل وصوله في أمر مريج،وأكثرهم يود قوة أصحاب الإمام فيشيع عنهم كل ما فيه تهيج، وبعد وصوله قويت شوكة أخوه السيد الفاضل العلامة الحسين بن عقيل الحازمي واشتد ظهره، فاخذ يعاقب كل من يهم بموالات الإمام (٣)، ويفعل ما يسد به ذريعة الكلام فامسك كل واحد على فيه، وانكف الناس في التظاهر بما تضمره النفوس وتخفيه، وكان بقى في سور البلد جانب غير معمور، فشار القاضي حسين وأخوه إلى إلزام الناس بإتمامه فتم لهم المرام وانقضى لهم ما لم ينقض لغيرهم عادة في جاري الأيام، وهكذا، شان الإقبال، وفي اثناء ذلك وصل رجال يام إلى يماني زبيد وطرحوا بظاهر البلد، واقبل حسين بن احمد أمير الإمام وطرح بالتريبة قرية شرقي زبيد تصغير تربة، وكان الشريف أمر على علي بن عقيل وأخيه القاضي حسين أن يعملا ما يقدران عليه من المكيدة في تفشيل يام وتفريق كلمتهم وإرسال رجلاً من كبار يام في خاصته إلى الشريف علي بن عقيل،وقال يكون السعي من طريقه، فابتدأ يفتل في الذروة والغارب ويستميل الأكابر منهم بالرغائب فتشتت شملهم وتفرقت كلمتهم، ولم يبق منهم إلا جابر بن مانع رئيس آل فاطمة من مذكر، فكتب إلى الفقيه حسين يطلب منه التزام ما التزم به الإمام، واشتملت عليه القواعد المرسلة من الحضرة لرجال يام واشترط عليه أن ينقل المطرح من التريبة إلى الحمى.... وهو محل مشهور موضع شرقي زبيد بينه وبين التريبة، كان طرح فيه الحسن بن القاسم بن محمد، حين وصل لحصار الأتراك بزبيد، فوصل خط جابر بن مانع ومن بقي من يام إلى الفقيه حسين بن احمد ومن بين يديه من رجال بكيل، فبينما هم في جمع الشور في الجواب إذ وافاهم خبر اختلاف الإمام والقاضي يحيى بن حسين البرطي العنسي في صنعاء واقدام القاضي يحيى بن عبدالله المذكور على الوزير حسن بن حسن بن عثمان العلفي في دار الخلافة وطعنه بجنبيه طعنتين قاتلتين ولم يحمل من دار الإمام إلى بيته إلا على ظهور الرجال، وكان الإمام يظن هلاكه من الطعنتين الحاصلتين فيه فقام وقعد للانتقام من القاضي يحيى بن عبد الله ومن معه من ذويه في صنعاء وحصرهم في بعض البيوت حتى خرجوا في وجه ولده احمد ابن فأطلعهم القصر وقيدهم بالحديد إلى أن عن له في بعض الأيام أمر بضرب أعناقهم فضرب أعناقهم وهم القاضي يحيى بن عبد الله وواحد من أولاده وواحد من أعمامه، فحين بلغ الخبر رجال بكيل الذين صحبة الفقيه حسين قلبوا ظهر المجن (٤)، وجعلوا العداوة التي للشريف لأميرهم الذين كانوا صحبته ولم ينج إلا بعد أن أرفقه أحد النقباء الكبار وجعله في حوزته، ومن ثم تفرق الجند الإمامي، وفارقوا القطر التهامي، وانصرفوا راجعين إلى الجبال لا يلوون على

---

(١) درر نحور العين ص٦٥٢.
(٢) الشروط: التعهد بالنصرة والوقوف إلى جانب الحليف.
(٣) الإمام المنصور علي بن العباس بن القاسم.
(٤) الدرع أو الجحفة.

شيء مما كان منتهم به الآمال، والفقيه حسين بن احمد نفذ هو والنقيب الذي جاره وعصابة ذلك النقيب وتوجه طريق حيس لأنه كان عند إقباله افتتح حيس بعد قتال قد وقع بينه وبين أصحاب الشريف الذي هناك، وما كان هناك من يعتد به من جند الشريف ولا عند الشريف احتفال بحيس نعم ولما اختل نظام المطرح الإمامي اقبل على مصالحة أصحاب الشريف الفريق اليامي، ومنع الناس من جند الإمام وعلموا أن الحصة غالية والدنيا ذاهبة سالبه.

.... وحينئذ صلح شان يام،على بذل جمهور من المال، بعضه سلم إليهم من زبيد وأكثره تأجل إلى عودهم إلى حضرة الشريف فتوجهت يام إلى الشريف قابضين أيديهم عن البطش حافظين جوارحهم ومواشيهم عن الربش(١)، حتى ناخوا بظاهر الزهرة بجهة القبلة، وقد أقاموا قدر الأسبوع، حتى تهيا لهم قبض المال الموضوع،و توجهوا إلى نجران. ..(٢)

[خرجت يام نصرة لإمام اليمن حسب العهود والمواثيق فلما أختل نظام ذلك الجيش في زبيد قدم اليامية الحماية لجيش اليمن من أن يلحقه أذى من قبل الشريف وجيشه وانتهت الأمور بالصلح كما يجب.]

١٢٢٢هـ يام تأخذ بثار عبد الله بن حسين بن نصيب.

وقد عاثت يام بقاع تهامة، وجرى بينهم وبين جند الشريف وقعات في الطلب بدم عبد الله بن نصيب المقتول عام أول، مع صالح ابن يحيى وكان حمود مستشرفاً غرة يأخذ بها، فبعث فيها يحيى بن فارس، الذي وصل حضرة الإمام بصنعاء فتبادرت خيل يام على كبكبة كان فيها يحيى بن علي بن فارس ثخنوهم ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح ووقعوا على يحيى بن علي بن فارس فضربوه حتى برد، وصاح صريخهم هذا بعبد الله بن نصيب ثم داست الخيول، وتوثب أبطال نجران على جمع حمود فالقوه، فكانت ملحمة ذهب بها من جنده تحت السيف نحو المئتين، وغلوا بالحديد مثل ذلك وساروا إلى بلاد الضحي (٣) فحطوا هناك هذا في شهر رمضان. (٤)

١٢٢٢هـ نزول يام أرض تهامة

ووصلت الأخبار بنزول يام تهامة. وكان حمود قد عسكر بجيش جرار من بكيل وحاشد وبلاد الأهنوم، وأستعد عدة عظيمة ولكنه لم يكن له نصر في ذلك إلا بعودة حسين بن أحمد. (٥)

١٢٢٢هـ سعود يسير جماعة إلى نجران.

كاتب الشيخ سالم بن حسين، كبير من كبراء يام [الإمام] سعود بن عبد العزيز (٦)، ومال إليه وعاهده، فسار إليه أربعة من كبراء يام فراجعوه، فأبى إلا الطاعة لسعود، ولم يصغ لشيء من أقاويلهم، وكان له بوادي نجران حصن منيع وبه بئر ماء عذب، وكان قد ملأه بالشحنة، خوفاً

(١) العشب المختلف الالوان أو كثيرة العشب.
(٢) نفح العود في سيرة الشريف حمود ص ٢٦٧/٢٦٦ ــ ٢٦٩.
(٣) بلدة في تهامة.
(٤) مجلة العرب ج ٣، ٤ س ٢٩ رمضان / شوال سنة ١٤١٤ هـ ص ٢٥٦ بأشراف علامة الجزيرة حمد الجاسر.
(٥) درر نحور العين ص٧٠٦.
(٦) الإمام سعود بن عبد العزيز المتوفي سنة ١٢٣٩ هـ إبان الدولة السعودية الأولى.

من أن يحوزه عدو، وأدخل جماعة من [أصحاب سعود]، وكان قد أشترط على سعود البعث على بدر،لئلا يكون لنجران عليه سبيل، فإن بدراً بعد أخذه تنكسر به الشوكة، فأجابه ثم سير الجنود فوصلت أوائلهم فضربوا ثلاث خيام فتكلم عبد الله [بن علي بن هبة الله] المكرمي [الداعي السليماني السابع والثلاثون]عند ذلك فلم تغب شمس يوم وصولهم حتى نصبوا على بدر خمسين خيمة، فأرسل المكرمي إلى نجران بأن يرسلوا إليه مئتي رجل متسلحة، فوصلت وقامت الحرب على ساق ثلاثة أيام، فلما كان سحر ليلة الرابع بعث رسولاً إلى وادي جهران أن احضروا فخرجوا إليه إرسالاً، فكانت هزيمة [أصحاب سعود]، ووقعت يام على أجزل المتاع غنيمة إلا القليل، وأسروا من [أصحاب سعود] خلقاً كثير وقتلوا قتلاً ذريعاً، ولما ولوا الأدبار دعا القاضي عبد الله المكرمي قبائل نجران، وأمرهم بالمسير على درب سالم بن حسين، وعنده سبعون رجلاً، من قبائل سعود، فحطوا عليه ثلاثة أشهر، لا يدعون مصاولة من به ليلاً ونهاراً، وفي الشهر الثالث أرسل المكرمي أخاه يوسف ليقوي المطارح ويعلمه أن الظفر بأولئك لايح، فكان يوم حادي عشر شوال وجاء الأمر بتثبيت المطارح، واذكا العيون على المحارس، وذكر أن مقتضى الطالع خروجهم، وكانت قبائل يام قد حفروا سرداباً تحت الأرض، قدر خمسين ذراعاً، فأدرك سالم بن حسين بالقرب من دربه ضرب الفوس والمعاول، فأمر بأن يحفروا مكاناً لأولئك، إرادة للفتك بهم، فلما أحسوا الضرب ظنوا انهم تحت (الدرب) حصنه، فحطوا هناك أربعة أقداح باروتاً وملحاً وختموه والقوا عليه النار، فانقض كالرعد القاصف فكان دون الحصن غير أنه أقتلع خمساً من نخيل سالم، وشقشق الصلبة التي حول حصنه، ولم يبق بين الحصن وبين ذلك المحل المنقض سوى ذراع، فخاف أصحاب سعود من أولئك، ورأوا الحرب من ظاهر الأرض وباطنها، فتركوا الحصن وخرجوا عند أن غابت الشمس، ويام مشتغلة عنهم ذلك الوقت، فعلموا بخروجهم فتبعوهم، فما الفوا بالحصن أحداً، ولم يلقوا سوى سالم بن حسين وولده، فجاءوا به إلى خيمة يوسف بن علي فاستجارا به فأجارهما، واستولى النجرانيون على جميع ما بالدرب، وعادوا عليه بالخراب، فهو إلى عامنا ثلاثة وعشرين، لا يرى منه إلا الرسوم.[١]

١٢٢٣هـ غارة أبو نقطة على نجران.

وفي هذا العام أغارت [جيوش أبو نقطة] على نجران فخرجوا في أقوام لا يحصيها إلا الله تعالى، وكان محطهم في العذار، بينهم وبين بدر قدار ميل، ثم تقدموا إلى بدر خيلاً ورجلاً، وكانت النجرانية قد تداعت، وأنزلت ببدر منها خمس عشرة مئة،فسألوا المكرمي عن قدومهم فقال:.... بأن لا يظهر منكم حرب حتى تبلغ رجالهم بحمى السور، وقال: إذا رأيتموهم قد لاصقوا سور المحل فأخرجوا عليهم، فلما كان ذلك خرج من بالحصن، فكانت الهزيمة إلى بلاد سنحان، فبلغ سعوداً فجهز من قبائل شمر إلى الأحساء إلى شهران عسير، إلى اللمعى (؟) إلى جميع الحجاز والدواسر، ونفر عليهم الأمراء والزمهم المسير على رأي عبد الوهاب، فسار بهم فنزلوا حوالي بدر من جميع جهاته، قيل: أن الجملة مئة ألف رجلاً راكباً، وكان في هؤلاء المتصدقة الذين تصدقوا بأرواحهم في سبيل الله، وإلى الجنة، فكان أول الحرب منهم يوم الجمعة من طلوع الشمس إلى وقت صلاة العشاء، ويام ببدر لا تتحرك، وكان شعار [جيوش أبو نقطة]

---

(١) (مجلة العرب ج١ ٩/ ١٠ س٢٩ الربيعان ١٤١٥هـ ص٦٢٤) بأشراف علامة الجزيرة حمد الجاسر.

(سوق الجنة قد حمى يا متصدقينا) وكان إلى ليلة خامس في رجب وباتت المطارح في دوران، فالزمهم عبد الوهاب صبيحتها أن يباشروا العدو، فقالوا: إنك لا تبصرنا أما نظرت قتلانا قد امتلأت بهم الأزقة، وجافت منها الأودية فقال: ابشروا بالجنة وعقبى الصبر النصر، وأنكم مصبحون هؤلاء المشركين، فاشتدوا رحمكم الله، فلما أضاء الفجر طلب عبد الله المكرمي أصحابه ومن يلوذ بجانبه، وحرضهم على الصبر والصدق، فلما طلعت الشمس قامت الحرب بينهم إلى الظهر، بعد أن ذهب من الفريقين كثيرون، وكان درب آل هضبان أسفل وادي بدر قريباً من الحمضة،عند الدرب الذي بنا به القصر عبد الوهاب، فهناك الزمهم عبد الوهاب أن ينقلوا الحجارة بالليل لعمارة الدرب،وجعله مقابلاً لدرب آل هضبان فأشاده، وبنا له محارس ومتارس، ونصب به مدفعين عظيمين، ورما بهما إلى الدرب أربع جليلات، فعاجل آل هضبان إلى القاضي عبد الله أن يجعل لهم صارفاً للرصاص، فكانوا بعد يرمون فتعلوا على البناء أو تنخفض إلا رصاصتين فأنها أصابتا جانباً من درب آل هضبان وكان الآمر لعبد الوهاب ببناء ذلك الدرب سعود بن عبد العزيز، ولما طالت المدة ورد عليهم منه أمر يرتبوه بخمس مئة منهم وأن يجعلوا فيه الكفاية التامة من جميع ما تدعو إليه الحاجة، ووصل من سعود عَمَلَة البناء فكانوا مئتي عمار وأمر عبد الوهاب أن يأمر المحاط كلها بنقل الحجارة من الجبال والأودية، فكان الحرب دايماً قائماً، وفي خلال هذه الأيام خرجت يام على مطرح القهوة فحملوا حملة صادقة، فوقعوا على أولئك، وأنتهبوا المتاع وقادوا النعم، وكانت الهزيمة فصاح رجال للنساء، فخرجن فأمرن بنقل ما في مطارح النجديين إلى البيوت، ثم كرت جموع [جيوش أبو نقطة] على أولئك الخارجين، ففر منهم يام، ولجأوا إلى البيوت، وقتل منهم جمع، ولكنه أيس عبد الوهاب من فلاح القوم، وأيقن أن لا سبيل إلى أخذهم فاستعجل العَمَلَة من النجارين والحدادين والحفارين للبور، وأقام زلة عظيمة، فاكملوا جميع أعماله، ولما أستتموا طلب المكرمي وقومه وقال:... فترة العدو، فمن أراد الغنيمة فهي له في هذه الخمس الليالي، فلما تغشاه الليل إذا بصالح بن حلْبة (بحا مهمله فلام ساكنه فتاء تأنيث) وكان في خمسة وعشرين من بني عمه، فقيل ماذا ؟ فقال: حرس على محلتنا، أقدر عددهم بنحو المئة فخرجوا معه ليناوشوا أولئك، فتوسط فإذا بهم خمس مئة رجل من أبطال نجد، فصاحت النجرانية صيحة عظيمة، فانهزم الحرس، وقد قتل منهم أربعة وثلاثين وجهاً، فقالت يام: هذه مصداق ما قال سيدنا، فخرجت طوائف كل لحمة في وجه من وجوه [جيوش أبو نقطة]، فنحّوا المطارح عن محلها، وكان القصر قد كمل وابقوا به العَمَلَة، وقد علموا حصانته، وأمر القاضي أن يخرجوا من يوم ثاني بعد طلوع الشمس لحرب من كان من [جيوش أبو نقطة] بالجهة الشرقية، فكان يوماً عبوساً فأنها التحمت المطارح، وما زالوا إلى الظهر، وكانت هزيمة المحاط التي بالشرق، وفي اليوم الثاني اجتمعت الأمراء إلى عبد الوهاب وافصحوا له أنهم قد أدوا الحق الذي عليهم، فتوجه بهم إلى الحمضة، وأرادت يام الخروج فمنعهم المكرمي، وكانت الشدة بيام بلغت كل مبلغ من جدب وتعب، فتراجعت إليهم نفوسهم، ورأوا أن لهم عدواً لا يدع الغارة عليهم، وسياق كل مواجهة لسهام الحرب إليهم، فأقاموا عليه خمس مئة من رجالهم، وجعلوا الحرب بينهم نوبة دائرة، وكان جملة من بالدرب خمس مئة رجل بخمس مئة بندق، من فاخر السلاح، ولديهم من الأمة السيوف والحروب والدروع شيء واسع، ورأى المكرمي أن ياماً، قد شغلت عنهم، والخمس مئة الحاطون عليهم قد تفرقوا لمعاشهم، فأمر أخاه أن يأمر الشوش أن يصرخوا: ألا أن عبد الله بن علي يأمركم بالمسير على العدو صبح غد !! وأمر أولاده على لحام يام، فخرج [جيوش ابو نقطة] فكانت جشم وآل فاطمة على النجديين، ومن سنحان، ووادعة وعبيدة وآل سلمان وكهلان والدواسر، وكانت مواجد على جماعة عسير أصحاب عبد الوهاب، وأهل اللمع وبيش وبيشه،فلم تأت هاجرة اليوم إلا وقد غلب آل فاطمة وجشم على من يليهم، وأخرجوهم من الحدود، وكان عبد الوهاب في مجموعة مقابلة له مواجد، وكانت قليلة بالنسبة إلى من بمخيم عبد الوهاب فمدتهم جشم وآل فاطمة فرأى اجتماعهم على محطته ففر وداخلهم الفشل، وقيل أن الرجل الذليل كان يقبض على الخمسة والستة بجميع ما معهم ويسلبهم هذا وأهل الحصن باقون بحصنهم، وقد بهتوا من هول الحرب،

وقد فجعوا وداخلهم الفشل وكان عند مغيب الشمس، وأمر المكرمي بإكرام الأسرى، وفي الثاني وهو العاشر من شعبان كتب أسماء الظافرين بالأسرى فباتوا ببدر، وهم أكثر من رجالها، واذكوا العيون بالليل على الأسرى وفي صباح الحادي عشر أمر بإخراجهم إلى وادي بدر، وقد نصبت له هناك خيمة، وضرب سهم القرعة بين رجال يام أيهم يسبق في الرصد، فكان سهم مواجد أولها، وبعدها جشم، وبعدها آل فاطمة، فارصدوا الرجال المأسورين والبنادق المشركة والخيل وكم قتل الرجل من [جيوش أبو نقطة]، ولم ينتظم، وما زالوا يرصدونهم إلى مغيب الشمس، فتأخر آل فاطمة فكانوا في اليوم الثاني، فلما كمل ذلك فتحت يام على المكرمي ما لحقهم من الشدة والتعب، وسألوه الأذن في السير إلى أهليهم مقدار نصف شهر، ويعودوا للمحطة على القصر، فأذن لهم، ولم يبق ببدر سوى أربعين مبندقاً، قد مارسوا الحرب فوصلوا محلهم فزرعوا زرايعهم وأقاموا بمحتاجاتهم وما زالوا مدة شهرين إلى عاشر شوال، وطلبهم القاضي عبد الله فالتفوا عليه، فضربوا خارج بدر بيوت الشعر، فكانت أربعة وخمسين بيتاً، وفي الشهرين التي غابوا فيها وما زال الأربعون يناوشونهم حرباً على طرقهم، ثم أقبلت طوائف يام مراتب على الحصن، فجعلوا نوبة بالمحجر شامي الحصن ونوبة على أكمة غرب الحصن ونوبة على أكمة شرقية من الجهة اليمانية بيدا جعلوا عليها نوبة على أكمة ، ودار بينهم المشورة لما طال مكث أهل الدرب بأن يجعلوا دبَبًا في الأرض، ثم فرقوا له في تلك الحالة أثني عشر فرقاً باروتاً عن أربعة وعشرين قدحاً صنعانية، فإذا بلغوا في الدبب محاذية الحصن القوا الباروت وسلطوا عليه النار، فيكون آخر العهد بالدرب وأهله، وبعث يام عمالهم وأهل الكد منهم فشرعوا في الحفر، والحرب بينهم لا ينكفُ حتى أتت عليهم ستة شهور، وتقارب الدبب (من الحصن) ونادى من بالحصن: أنا نطلب منكم الذمة ونسألكم أماننا، ودعونا نخرج بما علينا من السلاح ونذهب ديارنا. فأبى المكرمي إلا أن يخرجوا بستر عورتهم، وجاءت الأخبار بأن سعود قد أمدّ من بالحصن بزيادة، وبعث لهم الازواده، فاشتد يام، وعاجلوا حفر الدبب، وفي هذه الأيام جاءهم سيل عظيم فمر على الحصن فدخله إذ كان ممر السيول، فاجتحف اكثر الازواد التي به، وظهر بهم مرض، وأصابهم العكب والعرج، والتشنج في الأعصاب، فنادوا بالخروج على حكم يام، وأن يكون خروجهم إلى وجه القاضي يوسف بن علي [بن هبة الله] المكرمي [اصبح فيما بعد الداعي الثامن والثلاثين]، فاجتمع بقومه فقالوا: ذلك ما كنا نبغ، وقالوا: تعلم أنا قد جعلنا جميع ما في الحصن طعمة لك، ولما خرجوا أحصوهم فلم يزيدوا على المئة، وكانوا حين دخلوا خمس مئة ولكنها ذهبت أرواحهم موتاً وقتلاً، فأكرمتهم المكارمة يومين، واختلفت يام في بقاء الحصن وخرابه، وكان الأمر على خرابه، وكتب يوسف بن علي إلى سعود يقول في كتابه: وأما الدرب فكما قال الله تعالى " قُضِي الأمر الذي فيه تستفتيان " ولما سير أولئك من بدر كسا أميرهم يحيى بن ناسع، ومات أكثرهم في الطرق ولم يبق منهم سوى خمسة نفر، وكان الذي وقع عليه القاضي يوسف خمس مئة بندق وشيء واسع من الباروت والرصاص والفتيل، وأربع مئة سيف وثلاث مئة ورقة، وأعبي جوخ وحساوى وغامدي[1]، ومفارش وأربع مئة سبيكيي [2]، وخمس مئة عدة بخمس مئة طيار [3]، وبقوا بالحصن عشرين يوماً، ثم هدموه فأتعبهم فسلطوا عليه الباروت والقوا عليه الفتيل من خارجه فسرت النار في الفتيل حتى أتصلت بالباروت فسمع له قدحة كالرعد القاصف، فذهب ولم يبق منه سوى شناخيب .[4]

[لقد تم حذف بعض الجمل التي تتكلم عن التنجيم وحسن الطالع،فالجاسر هنا ينقل عن كتاب (درر نحور حور العين) للطف الله بن أحمد جحاف المؤرخ اليمني الزيدي المذهب، وقد أورد ألفاظ تعبر عن رأيه كالطالع (من النجوم) والصارف (التصريف) – والإسماعيلية لا تقرها ولا تقول بها وليست من مذهبها. روى النعمان عن المعز (عليه السلام) في كتاب (

---

(١) نوع من أنواع العبي الحساوي والغامدي.

(٢) نوع من الجنابي (خناجر) الطويلة.

(٣) حزام رصاص يعلق على الكتف.

(٤) مجلة(العرب ج٩/١٠ س٢٩ الربيعان سنة ١٤١٥هـ ص٦٢٥) بأشراف علامة الجزيرة حمد الجاسر.

المجالس والمسايرات) " من نظر في النجامة ليعلم عدد السنين والحساب ومواقيت الليل والنهار وليعتبر بذلك عظيم قدرة الله جل ذكره وما في ذلك من الدلائل على توحيده لا شريك له فقد أحسن وأصاب، ومن تعاطى بذلك علم غيب الله والقضاء بما يكون فقد أساء وأخطأ" وكان الإمام العزيز كالمعز عليهما السلام في هذا المعتقد. وقد أخرج مولانا العزيز بالله يوما كتابا من كتب الخليفة المنصور عليه السلام في تبطيل علم المنجمين والرد عليهم وتكذيبهم.
فقال الأمير تميم بن المعز رحمه الله في ذلك شعرا:

ولما اختلفنا في النجوم وعلمها	وفي أنها بالنفع والضر قد تجري
فمن مؤمن منا بها ومكذب	ومن مكثر فيها الجدال وما يدري
ومن قائل تجري بسعد وانحس	وتعلم متى يأتي من الخير والشر
فعلمتنا تأويل ذلك كله	بما فيه من سر وما فيه من جهر
عن الطاهر المنصور جدك ناقلا	وكان بها دون البرية ذا خبر
أخبرتنا أن المنجم كاهن	بما قال، والكهان من شيعة الكفر
وأن جميع الكافرين مصيرهم	إلى النار في يوم القيامةوالحشر[١]

١٢٢٣هـ يام تغزوا " فج " حرض.

وفي يوم الخميس ثالث شهر الحجة وصلت قبائل يام إلى فج حرض لمطالب لهم عند حمود، فأرسل عليهم علي بن حيدر وحسن بن خالد أميرين في الفاف من قبائل تهامة والجبال، فلما دنت يام من بجيلة فرّت عساكر حمود إلى الزهراء[٢] فسارت يام على أثرهم وكبيرهم جابر بن مانع وانتهى سيرهم إلى الواعظات[٣] .[٤]

١٢٢٤هـ - استعانة الشريف أحمد بن حمود بيام .[٥]

وكان الشريف بعد أن أرسل ولده الشريف احمد وأصحبه رجال يام وأمكنه الله من أخذ الزرانيق [٦] ومن على جيلهم كتب إلى ولده أن يبقي رجال يام في اليمن ويفرقهم في الثلاثة المخاليف كل مخلاف يكون فيه راية من رايات يام فعمل على ذلك، وجعل راية مواجد في مخلاف زبيد، وراية جشم في مخلاف بيت الفقيه وراية آل فاطمة في مخلاف الزيدية [٧]. وأمرهم بالبقاء حتى يتبين أمر عبد الوهاب،وإقباله على هذه الرحاب وهذا في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٤هـ. ومن ذلك انه أرسل ليام وجهزهم صحبة ولده الشريف احمد بن حمود على قبائل "عك" "الزرانيق"

(١) ديوان الأمير تميم بن الإمام المعز صـ ٢٠٧/٢٠٦ ـ الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م
(٢) من البلاد التهامية.
(٣) في وادي مور.
(٤) درر نحور العين ص٧٥١ / ٧٥٢.
(٥) الامير احمد بن حمود ابو مسمار.
(٦) قبيلة تهامية.
(٧) بلدة تهامية.

ومن على جيلهم لأنهم كانوا خرجوا عن الطاعة وخشى أن يكاتبوا عبد الوهاب [أبو نقطة] ويتوسعوا لطائفة من جنده في بلادهم فتعظم بذلك المحنة على الشريف، فأخذهم الشريف احمد بالجند اليامي وقتل منهم قدراً لا يحصى، واحرق بيوتهم وهدم معاقلهم، حتى صاروا كأمثال الناس، لما لقوه من شدة البأس... [١]

١٢٢٤هـ - استعانة الشريف حمود بيام.[٢]

ولما ورد إلى الشريف خبر خروج عبد الوهاب [أبو نقطة] أمر بالنفير في أهل مملكته من بلاد علي حميده إلى وادي ضمد، وأرسل لولده احمد بن حمود ورجال يام الذين في اليمن واستدعى من كان في اليمن من العساكر من غير يام وهو مستقر بالزهرة ووكل استنفار أهل الجهة الشامية إلى وزيره العلامة الحسن بن خالد، فقام الحسن بذلك وضرب الخيام في قبلي أبي عريش، ومازالت الأجناد تصل إليه والشريف يجمع الجموع بالزهرة حتى تحقق له خروج عبد الوهاب من بيته إلى المخيم، فبادر الشريف بالعزم إلى أبى عريش وصحبته الجنود من رجال يام وحي بكيل وقبائل اليمن، وبعد وصوله إلى أبى عريش أمر الحسن بن خالد أن ينفذ بمن بين يديه من الجنود إلى صبيا، وينتظر هناك قدوم الشريف، وكان الشريف منصور قد جمع أهل صبيا وأهل بيش وكل من كان تحت وطأته، وبقي ينتظر قدوم الشريف والشريف أستنفر بابي عريش اقل من أسبوع، أذا قد وافاه الخبر الصحيح بنزول عبد الوهاب من عقبة مناظر بجنود تملأ الفضاء، ويكون سبب لما يريد الله تعالى من القضاء، وهم رجال عسير وشهران وقحطان وعصابة من عدوان أصحاب عثمان المضائفي،أميرهم علي بن عبد الرحمن المضائفي أخو عثمان، جاءت طريقهم على الساحل، وصحبة عبد الوهاب رجال من أهل الرأي والمشورة من أصحاب سعود بعثهم إليه يستعين برأيهم في الرأي، فحين تحقق الشريف ذلك أقبل يقود الجيوش، ويزأر زأر الوحش، حتى نزل بوادي صبيا في غربي الوادي بظاهر البلد والأخبار تترى إليه، والحقائق تتواتر عليه، بأن عبد الوهاب قد اقبل بجنود تملأ الرحاب، ثم نهض من صبيا وصحبته أجناده وأعوانه وقواده وقد اجتمع لديه نحو سبعة الآف من الرجال ونحو ثلاثمائة من أهل الخيل وهذا مجموع الجند الذي معه والذي مع العلامة الحسن، والذي مع الملك العادل المنصور، ومازال سائراً حتى خيم بقرية بيش في ظاهر القرية مما يلي (قرية سلامة العرب) وأناخ هناك ينتظر قدوم عبد الوهاب، وعبد الوهاب يمشي التأودة والأناة حتى خيم في سيل وادي بيش، محل قريب من مطرح الشريف بينهما قدر ميل أو اكثر قليلاً، وبقي الشريف يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في القدوم على مطرح عبد الوهاب،والانتظار في محله حتى يكون عبد الوهاب هو البادئ، حتى بلغه خبر صح لديه أن عبد الوهاب أحكم المكيدة والخدعة في الحرب، على أن يركب سجوف الظلام، وسلك الحازة حتى يطرح على مدينة صبيا، ويحول بين الشريف والرجوع إلى صبيا، ويريد بذلك اختلال ملك الشريف وتفريق قلوب أجناده ولا شك لو تم ذلك لوقع مراده،ولكن الشريف ومن معه من القواد قلوبهم قلوب الأساد،وآراؤهم عند المضائق لا تكاد تخطئ السداد، فعزم الشريف على إرسال طائفة من أهل الخيل في يوم الأحد لعله ليلة الثامن والعشرين من شهر جماد الأخر سنـ(١٢٢٤هـ)ـة وأراد الشريف أن تلك الجريدة من الخيل ستجر الحرب،وتفتح باب الطعن والضرب ... وعند ذلك عزم الشريف على التبكير أول غداة على جنود الشام وقصدهم إلى عقر الخيام، فأصبح يوم الاثنين وقت الإشراق توجه الشريف ومن بين يديه ولم يكن هممهم إلا قصد الخيام والاستيلاء على من فيها من الأنام وأصدق الحملة،ووصل المفرد بالجملة واللتحم القتال، وثبت الشريف علي بن حيدر الليث الغضنفر والشريف منصور والحسن بن خالد المشهور، ومن هو مثلهم من إخوانهم الأشراف، وأنهزم عسكر الشريف وأول من أنهزم رجال يام وقبائل اليمن الأعراب الذين....، ولم يلتفت

---

(١) نفح العود في سيرة الشريف حمود ص٢٨١/٢٧٨.
(٢) الامير حمود بن محمد ابو مسمار.

الشريف إلا ولم يبق عنده إلا جماعة من أهل الخيل، وقد صار هو ومن معه في مثل الدائرة من رجال عسير، فاعمل الشريف السيف البتار وفعل هو وأولئك الرهط من أصحابه ما يذهب العار، ويبقي لهم الذكر الحسن إلى انتهاء الدور، وخرج من ذلك المضيق، وقد أشرق أعدائه بالريق، ثم توجه إلى مخيمه فوجده خالياً مقفراً قد هرب الناس منه وهم لا يلوون على شيء فما وسعه إلا اللحوق بعد الناس وكان في أخريات أصحابه يذب عنهم من لحق بهم من جند الشام، وممن أشتهر بالتعقيب وراء الناس والدفاع الشريف علي بن حيدر... وحصل قتل كثير من أصحاب الشريف ومن أصحاب عبد الوهاب، وممن عصف به ريح الذهاب، وتناولته رقاق المواضي والسنة الكعاب، وقتل الماجد الشهير الباسل عبد الوهاب ابن عامر الرفيدي، وأمير هذه الجنود وقائد تلك البنود، قتل عند حمله الشريف إلى الخيام، والذي تولى قتله جماعة من حي بكيل من ذو حسين هكذا بلغ والله اعلم [١]، وثم أقوال أخرى في تعيين القاتلين، ولكن الروايات على ما قدمنا، ولم يشعر أحد من رؤساء قومه بقتله في المعركة حتى وصل الشريف إلى صبيا أخر يوم الاثنين لعله التاسع وعشرين من شهر جمادي الآخرة سنة أربع وعشرين بعد المائتين وألف، ولما حط بظاهر البلد من مدينة صبيا ولم يبق عنده من الجند إلا اليسير جاء رجل إلى الشريف منصور يخبره أن معه (مراية) من لباس الخيل وأن صاحبها مقتول وأنه أستلبها من راس حصانه بعد قتله فعرف منصور (المراية) أنها مختصه بفرس عبد الوهاب، وحيث أن صاحبها مقتولاً فما هو إلا عبد الوهاب فاخبر الشريف بذلك فسري عن الشريف بعض ما يجده من وحشة الهزيمة وقال أن انجلت هذه المعركة عن قتل عبد الوهاب فكل أمر بعدها جلل، لأن يقتل عبد الوهاب يختل نظام أهل الشام ولا يتم لهم بعد ذلك مرام .[٢]

[أن المصادر التاريخية يعتريها النقص والخطأ كما انها تخضع عند كتابتها لتأويل المؤرخ وتفسيره للأحداث بحسب ميوله وانتمائه للقوى السياسية والاجتماعية المؤثرة في عصره مهما بلغت نزاهته فالحيادية في كتابة التاريخ أمر قد لا يتفق عليه اثنان.] [٣]

(من رسالة الشريف حمود إلى علي بن إسماعيل بن علي صاحب شهارة)

حمدنا الله على عافيتكم، ما صد عن التحقيق الاشتغال بجهاد هذا الفريق، وقد قدر الله سبحانه في سابق علمه وأكد بإيجاب جهادهم في كثير من الأحاديث، وكرر، فوافقنا جمعهم في بيش فا أخذ الله تعالى منهم في ذلك اليوم كل باطل وطيش وقتل قائدهم عبد الوهاب ومن لا يحصى معه من أولئك الأحزاب، وعقرت من خيلهم أكثر من خمسين، وولوا مدبرين، ثم خفت أقدام بعض من معنا بسبب العجب الذي نهى الله تعالى عنه (ويوم حنين أذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغني عنكم شيئاً) ثم انتقلنا إلى أبي عريش ودارت الحرب بيننا وبينهم وكلما توجه لهم جمع اعترضناه فيعذبهم الله تعالى بأيدينا ويخزيهم، وينصرنا عليهم إلى أن قارب قتلاهم في تلك المرة الألفين ويزيد، ثم ولوا منهزمين لا يلوي بعضهم إلى بعض، ولا يهتدون إلى إبرام ولا نقض، وضاقت عليهم الأرض حتى كان حتى هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً. ثم في شهر رمضان وصل جمعان منهم ابن شكبان وأبن دهمان، لمجرد رأوا جمعنا ولوا الدبر، والساعة أدهى وأمر، ثم وصل هذه الأيام المضايفي وكافة عسير، يوم واحد وعشرين من شهر شوال، فوصلوا إلى أطراف ضمد بمجرد أن رأوا جمعنا تفرقوا أيدي سبا، وأمعنوا في الأرض هرباً ورجعوا بخفي حنين، بعد أن أصاب منهم الذل والفشل ما ظهر لكل ذي أذنين وعينين، وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن اكثر الناس لا يشكرون، والحمد لله الذي صدقنا وعده، وهزم الأحزاب

---

(١) والكاتب ايضا ليس متأكد مما ينقل.

(٢) نفح العود في سيرة الشريف حمود ص ٢٨٨/٢٨٣.

(٣) هذه المقولة كتبها الدكتور سلطان بن خالد بن حثلين رئيس قسم الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن. في جريدة الجزيرة العدد رقم ١٠٣٤٣ ردا على الدكتور عبدالله الصالح العثيمين حول وجهة نظره في كتاب (تاريخ قبيلة العجمان دراسة وثائقية).

وحده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وفي تلك الأيام وردت كتب من حمود بن محمد من أبي عريش مخبرة بإجلاء الموهبة عن تهامة اليمن.[١]

١٢٣٧هـ خروج يام لمدينة زبيد .

ومن ذلك هجوم يام على مدينة زبيد في ذي القعدة سنة ١٢٣٧هـ بقيادة الحسن المكرمي فغنم كل ما يملك أهلها من غال ورخيص وكان عاملها فتح الله المهدي. .....[٢]

١٢٣٧هـ - خروج يام لمدينة الحديدة.

قامت يام بالهجوم على الحديدة ولكن الأمر مختلف في هذه المرة. ...فقد قتل بعضهم وهزموا من قبل العامل وحاميته .[٣]

١٢٣٨هـ - استعانة العجمان بإخوانهم يام أهل نجران.

قيل: كان بين العجمان وبين أبن عريعر حرب مستمرة وبعد ذلك نوخ العجمان لأبن عريعر ثلاثة أشهر في موقع يسمى الرضيمة تقع شمال الرياض وأسباب ذلك أن أبن عريعر ذبح عشرين من آل شامر من العجمان دون سبب وأبقى على حياة واحد منهم وقال له أذهب إلى قومك وأبلغهم بذلك فلما علموا العجمان بذلك قرروا المقاطعة معه وبعد ذلك سنحت لهم الفرصة وعثروا على سبعين شخصاً يحشون للخيل ومعهم حماية من الفرسان والخيل ويقال لهم الجنب، فشنوا عليهم العجمان غارة فقتلوهم وابقوا على حياة شخص وأرسلوه ليرد الخبر إلى أبن عريعر وبعد ذلك حدثت الحروب بينهم. وحدث ما حدث من أمرهم وكان ابن عريعر في ذلك الوقت حاكم لجميع القبائل ،والعجمان طلبوا النجدة من الدويش وكان بالارطأويه فشرط الدويش على العجمان بان يعطوه الطوال وهي اللهابة و القرعا واللصافة وطلب الودائع وهي اشرف ابل ابن عريعر الخاصة وأيضا طلب فلو العمود وأعطوه ما أراد وهم قصدهم ليس الطمع بل القضأ على ابن عريعر وحكمه واحتموا بالسهول وأرسلوا إلى الدواسر وطلب ابن قويد على العجمان الريشة المعروفة ببيت ابن عريعر وبالظلة وأعطوه ما أراد واستمر الحرب ولكنهم لم يقدروا على ابن عريعر فأرسل العجمان برسول يستنجد بقبايل نجران وهي مذكر ويام (و) حضروا وتم لهم النصر بحضورهم ومن القبائل التي معه (أي مع ابن عريعر) قبيلة سبيع وأميرهم مسلم بن مجفل والمستشار له سلطان الأدغم ويوجد شخص يدعى ابن نوال وهو رجل طيب وفارس مشهور واحب أن يشير على ابن مجفل (أن) ينفصل عن ابن عريعر ويذهبون إلى ديارهم في الجنوب وأتاهم في نص في الليل على جواده و الناس نيام ونادى مسلم ابن مجفل على الدلال فلباه وحضر له وقال: ما تريد يا ابن نوال ؟ فقال له: عندي لك رأي فماذا تقول فان هذا ابن عريعر وقد جمع الناس جميعهم هؤلاء العجمان استنجدوا ببعض القبائل وأرسلوا إلى أهل الجنوب ونحن أصبحنا بينهم وأمحت رجالنا وسلبت نساؤنا فما هو صلاحنا من جراء ذلك فالرأي أن نذهب إلى ديارنا ونترك تلك الحرب الطاحنة ، فقام شخص نايم في البيت وهو سلطان الأدغم فقال: أنت ابن نوال ؟ قال له نعم هو ذاك قال: هل هذا هو الرأي الذي عندك ؟ فقال له نعم ، قال أنت مكفي من ذلك ولولا حشمة صاحب البيت لأهنتك إهانة تنزل بقدرك فقال: ارجوا المعذرة إذا لم يصلح هذا الرأي فركب جواده ورجع من حيث أتى فجاءت الأفزاع من نجران صابغين جميع الخيل بالنيل الأسود ، فرجعت خيل ابن عريعر مهزومه فسألهم ماذا

---

(١) العرب ج ١٢، ١١ص ٢٩ الجمادان ١٤١٥ه ص ٧٨٢

(٢) مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ص ٢٣٣.

(٣) مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ص٢٣٣.

حصل لكم ذلك اليوم ؟ فقالوا أتانا قوم خيولهم سود ويرتدون الملابس السوداء وهم غرباء وصفق بكف على كف فقالوا مالك أيها الأمير ، فقال: لقد جاء أهل نجران وفي الصباح سارت الجموع عليهم وهجمت على ابن عريعر هجوما هزم فيه جنود ابن عريعر وذبح سلطان الأدغم وعدد من فرسان سبيع ولما صفوا سبيع لحالهم اجتمعوا إلى أميرهم مسلم بن مجفل فاتاهم ابن نوال على جواده فقال له الأمير مسلم ابن مجفل تفضل يا ابن نوال واسمعنا ما عندك من القصائد فقال بأسمعكم هذه الأبيات:

ولـــوا ســـبيع ماحـــداكم لـــوم	**ولا عنـــدكم غـــرس تســـقا بماهـــا**
طحتـــوا بنـــار صـــلوها يطـــرح الحـــوم	**والـــي ورا نجـــران قـــاده ســـناها**
مشـــروبكم شـــري يـــذوب علـــى الصـــوم	**وعيـــونكم بالشـــب زيـــن دواهـــا**
أشـــقر يـــدور الحـــرب كأنـــه مـــن الـــروم	**وحـــرث الســـيات الخطـــر لـــين جاهـــا**

هذا ما حصل عليه من قصيده ابن نوال وهي أطول من ذلك. فصفق ابن مجفل دلاله ونثرها على الضو – وقال لا عادت جيتك لنا يا بن نوال أردنا أن تسلينا فجمعت علينا همومنا. [١]

١٢٤٠هـ-خروج يام لمدينة صبيا .

وفي عام ١٢٤٠هـ ثار أهل صبيا على عاملهم الحسين بن علي وحاصروه في قلعتها وكان الأمير[٢] غائباً في جهة الشقيق فعاد أثناء الحصار فشعر أهل صبيا بحراجة موقفهم وإنما أدركوا أن لا فائدة من التردد فصمموا على قتاله فرأى الأمير أن السياسة تقتضي بالعمل على ترضيتهم بعزل أبنه فقبل أهل صبيا وفاءوا إلى السكينة وبعد ذلك أرسل لاستدعاء يام مبيح لهم غزو صبيا ومخلافها خف الياميون لاستجابتهم ... فلم يشعروا أهل صبيا إلا بنزولهم من طريق بيش- وهم على غير أهبة استعداد - فهبوا على تلك الحال للدفاع عن أنفسهم فلم تجد مقاومتهم فوطئهم الياميون وقتلوا الكثير منهم وانتهبوا أموالهم وذلك في صفر عام ١٢٤٠هـ .[٣]

١٢٤٤هـ- خروج يام لحراز .

تجمعت أعداد كبيرة (من قبيلة يام) في عام ١٢٤٤هـ وتوجهت إلى حراز الجبلية الصعبة والواقعة على منتصف الطريق بين صنعا والحديدة وقامت بهجومها واحتلت بعض القرى فيها . [٤]

١٢٥٤هـ - محاولة رجال يام غزو الديار التهامية .[٥]

وفي أثناء ذلك الاستقرار النسبي الذي ساد البلاد التهامية في عهد الوالي إبراهيم باشا لم يشعر إلا وقد وافته الأخبار بتحرك يام لغزو تهامة عن طريق بيش، فانتدب الأمير الحسين بن علي مع قوة من الألبان الأتراك لصدهم فتقدم الأمير بتلك القوة إلى أبي عريش وهناك قابل والده ثم

---

(١) كتاب راكان أمير العجمان ص ٤١
(٢) الامير علي بن حيدر الخيراتي.
(٣) المخلاف السليماني ج١ ص٥٠٦.
(٤) المصدر نفســـــــ (مائة عام من تاريخ اليمن الحديث).
(٥) المخلاف السليماني الجزء الأول ص ٥٠٩.

تقدم إلى صبيا والياميون قد عسكروا في قرية العدايا ومن خرج لقتالهم فلم يشعروا إلا بهجوم بتلك القوة المجهزة بالأسلحة الحديثة في ذلك العصر من المدافع والرشاشات والبنادق.

١٢٥٥هـ - خروج يام إلى تهامة .

خرجت قبائل يام في مطلع عام ١٢٥٥هـ برياسة القاضي أحمد محمد المكرمي، ومعه من العقال قادة القبائل مانع بن جابر وآل نصيب، وانضمت إليهم قبائل جشم والعجمان وآل فاطمة، وتوجهت من أقصى الشمال. في مناطقهم وفي تهامة واجهتهم عساكر مصرية أرسلها الوالي المصري إبراهيم يكن وجعل على رأسها الشريف حسين بن علي حيدر ومع بعض رجاله، ووقعت بين الطرفين معارك. [١]

١٢٥٥هـ رفع الظلم والجور عن أهل حراز الواقع عليهم من الوزراء والعمال .

توجه نحو ألفين من المكارمة يام إلى حراز بعد أن تراسلوا مع أصحاب المنطقة الذين يشترك قسم منهم مع يام في التمذهب لما حل بأخوانهم في همدان على يد الناصر في العام السابق بالإضافة إلى ما يفيدنا صاحب الحوليات (بأن أهل حراز ما لقيوهم يام إلا من شدة ما نابهم من جور العمال والوزراء حتى هانوهم وأغلظوا عليهم، فهان عليهم الفرقة [الإسماعيلية] وأقبلوا على إطاعتهم بالسر والعلانية. وهرب عامل الناصر، الفقيه محمد بن أحمد الحيمي، فتبعته يام وانتهبوه ولما وصلت الأخبار إلى صنعاء أرسل الناصر جماعة من أتباعه بقيادة الأمير خير الذي وصل ومن معه الحيمه القريبة من حراز، وربما تبين له صعوبة لقاء يام المتحالفة مع حراز والمقيمين بين ظهرانيهم، فعاد بخفي حنين [٢] .

---

(١) مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ص٢٨٤.
(٢) مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ص ٢٨٥.

التاريخ

الباب السادس



١٢٥٦هـ (يام وهمدان (اهل طيبة) ياخذون بثار أصحابهم من الامام الناصر [١]) .

..وكان قد التقى الناصر ومن معه بهمدان ووقعت حرب شديدة هزمت فيها همدان وقطعت رووس من قتلاها ارسل بها الناصر إلى صنعاء فعلقت على باب شعب. ..[٢] .

وفي اليوم التاسع من ربيع الاول كانت بعض عساكر قد سبقته الى (سيان) على بعد نحو ٢٥ كيلومتر جنوباً من صنعاء الا انه بدلا من ان يلحق بها كما كان مقرر عنّ له ان يمضي يومه متنزها في وادي ظهر ربما قبل ان يبدأ رحلة شاقة لم يكن يدري كم تطول ومدى نتائجها، وقد فوجئ اصحابه بهذا القرار الذي تم حيث امضى الناصر وخواصه سحابة يومهم في الوادي وتناولوا طعام الغداء في دار الحجر، ثم مع العصر خرج الناصر ومن معه عائدين الى صنعاء ويظهر أن [الإسماعيلية] من يام وأهل الوادي ظنوا خطأ أن زيارة الناصر المفاجئة واستعداداته في صنعاء خدعة لها شأن بهم فاعدوا له كميناً عند مدخل الوادي في شعب تحيط به بعض الجبال وتسيطر عليه وكان وصل إلى علم الناصر ما دبر، ونصح بالعودة من طريق قرية القابل من الجانب الآخر لدار الحجر، إلا أنه لم يصغ إلى ذلك، ولم يكد يصل مع حاشيته إلى قرب الضربة في مخرج الوادي حتى أطلقت نيران البنادق عليهم، فأصيب الناصر بثلاث رصاصات وقتل أحد خدمه وفشل حرسه وأصحابه، فرجع هارباً ببعض من معه إلى دار الحجر، وأنقض عليه المهاجمون ينهبون الخيل والأسلحة. وتجمعت القبائل فتبين لهم أن الناصر لم يقتل وأن أقدامهم على ذلك سيكلفهم الكثير، فقرروا اللحاق به إلى الدار للخلاص منه فالنتيجة واحدة، ويكونون على الأقل قد انتقموا لأنفسهم منه، وهكذا تم الهجوم على الدار ولم يجدوا دفاعاً جدياً من داخلها، فتمكنوا من الوثوب على الناصر المثخن بجراحاته وذبحوه وحملوا رأسه معهم بعد أن قتلوا من كان معه. ....

(حاشية: تؤكد جميع المصادر مشاركة بعض قبائل يام [الإسماعيلية] في اغتيال الناصر - وقد ذكر صاحب الحوليات - أن الحاج كريشه ومعه عشرة من يام كانوا مع أهل الوادي ممن كمن للناصر) .[٣]

١٢٦٠هـ استعانة الأشراف بيام .

.....وعقد [أمير المخلاف]الألوية لأقربائه،وكان منهم الشريفان هزاع وأبو طالب وأمر جيشه بالمسير حيث كان هو في المؤخرة التي يتألف جنودها من يام، فاستولى على حيس، وقضى بها أيام عيد الأضحى. [٤]

١٢٦٤هـ - إطلاق سراح الشريف الحسين بن علي حيدر من سجن بزبيد [٥].

---

(١) الامير الناصر عبدالله بن الحسن بن احمد.
(٢) باب من ابواب صنعاء.
(٣) مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ص ٢٨٦
(٤) مئة عام من تاريخ اليمن الحديث ص ٣١١/٣١٠
(٥) الامير الحسين بن علي حيدر الخيراتي.

بعد أسر الأمير (الحسين بن علي حيدر) ظل القسم الشمالي تحت إدارة أبنه الأمير محمد بن الحسين ولم يكن في مقدوره اثناء تلك الأحداث اكثر من المحافظة على البلاد والتحفز للدفاع بالطبع لم يهن على الابن بقاء أبيه في الأسر، ورأى انه لابد من القيام بعمل سريع، وإنما أعوزه كل شيء للقيام بذلك العمل، وأذن فليس للموقف إلا حليفهم الأمير عائض [١] الذي قد تعهد بحمايتهم من كل اعتداء خارجي مقابل الخراج السنوي الذي يدفعونه للخزينة فتم الرأي بين الأمير وأبناء عمه على إرسال عامل اللحية علي بن محمد إلى الأمير عائض، وفعلاً توجه إليه ومكث لديه برهة من الوقت، فلم يظفر منه بنتيجة فاستأذنه في السماح له بالتوجه إلى نجران للاستعانة بيام في تخليص الأمير من الأسر فلم يأذن له إلا بالعودة إلى تهامة فقط، فعاد إلى أبى عريش وفي شهر صفر ١٢٦٤هـ توجه إلى نجران بطريق حرض، ووصل علي بن محمد إلى نجران وطلب من يام – بواسطة رؤسائهم المكارمة النزول معه إلى تهامة لاستخلاص الأمير[٢]، فلبوا داعيه وسار معه منهم جيش كامل العدة إلى أن وصل بهم إلى الأمير محمد بن الحسين في مدينة الزيدية فعقد له الأمير لواء القيادة عليهم وتقدم بهم إلى زبيد كما تقدم عامل الحديدة الحسين بن محمد بمن لديه من الجنود والتقى بأخيه وأتحد الجيشان وزحفا على مدينة زبيد وتم الاستيلاء على المدينة ليلة الثلاثاء غرة جمادي الأولى) سنة) ١٢٦٤هـ. واغتنم الأمير عائض فرصة اسر الأمير الحسين واخذ في إعداد العدة لضم تهامة نهائياً إلى عسير وعندما وصله علي بن محمد طالباً باسم عمه النجدة إنفاذاً للمعاهدة صرفه –كما مر بك- معتذراً وبعد (انصرافه) جد في استكمال الاهبة وعندما علم بنزول يام اعتقد أنهم لا يستطيعون استخلاص الأمير من الأسر ولم يشك في أنهم سيعودون مهزومين، لذلك تقدم إلى تهامة بعد أن اتفق مع أحد أخوان الأمير المسمى حمود بن علي بن حيدر، بيد أن الأخبار باستخلاص الأمير من الأسر قد وافته وهو معسكر في قرية مسلية فتوقف في مكانه وصرح انه لم يعلم أن الأمير على قيد الحياة وأخيراً تم الاتفاق بينه وبين الأمير الحسين على أساس الاتفاقية المعقودة بينهما سابقاً .[٣]

يقول صاحب كتاب مائة عام من تاريخ اليمن الحديث .[٤]

خيب الأمير عائض العسيري استنجاد الأشراف به لطمعه هو نفسه في الاستيلاء على تهامة ولموقف الشريف غير الودي منه قبل مصالحته حين أحس بخطر المتوكل في حين لبت يام الدعوة وهبت بكل رجالها بعد أن وعدت بالمال والغنائم. [٥] وهكذا رجحت كفة الميزان لصالح الشريف الأسير بمجيء قبائل يام المتشوقة للقتال والمغانم الموعودة. وكان الشيخ علي حميدة مع قبائله يحاصر الحديدة، فلما بلغه اقتراب يام تراجع إلى باجل ووقع بينه وبينهم قتال ومناوشات. وقد أتاح انسحابه لقوات الأشراف داخل الحديدة الالتحام مع جيش قبائل يام. وتقدم الجميع بقيادة الأمير الشريف الحسن بن محمد وأخيه... يزحفون على مدينة زبيد التي فاجؤوها في مطلع جمادي الأولى (سنة) ١٢٦٤هـ. [٦]

---

(١)الأمير عائض أمير عسير.

(٢) (... بعض المصادر تشير إلى أن أبنة الشريف ذهبت بنفسها إلى نجران وعقرت حصانها كتعبير واضح بطلب النجدة من قبائل نجران بإنقاذ والدها وحليفهم التقليدي بيد أني لم أجد ما يدعم هذه الرواية فيما أطلعت عليه من الوثائق) -كتاب أمارة أبي عريش.

(٣) المخلاف السليماني.

(٤) الدكتور حسين بن عبد الله العمري.

(٥) لقد انتقلت العدوى لهذا الكاتب فيقول (وقد وعدوا بالمال) فممن وعدوا من الشريف المسجون أم ابن عمه المحاصر في الحديدة أم ابنه المحضور عليه الاتصال بهم من قبل ابن عايض ؟!!!! اننا لا نرجوا من مثل هؤلاء الكتاب ان يقولوا الحقيقة – ولكن كان الاولى ان لا ينجرفوا فيرددون قول الاخرين دون تمحيص.

(٦) مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ص ٣٢٦-٣٢٧.

وتعقيبا على كلام صاحب كتاب (مائة عام من تاريخ اليمن الحديث) في ان نصرت يام للشريف كانت طمعا في المال والغنائم،نقول ان هذه محاولات تعودنا عليها من مؤرخي الأهواء وكتاب السلطة ولم نعد نعبأ بها فحمية يام ونصرتهم للمظلوم ولمن استنجد بهم هي الحقيقة التي لم يفهمها هؤلاء المؤرخون او يحاولون القفز عليها ونخاطب كل ذي عقل وانصاف في ان يام دخلت حرب تعد خاسرة في موازيين القوى وهذا ما جعل الأمير عائض لا يشك لحظة في عودتهم مهزومين ومثل هذه المخاطرة لا يقدم عليها من كان همه الأول المال وحطام الدنيا ونورد وثيقة نشرت في كتاب (امارة ابي عريش وعلاقاتها بالدولة العثمانية) للدكتور (محمد بن عبد الله ال زلفه) ص ١٧٢ يستنجد الشريف الحسن بن محمد بالشيخ مانع بن جابر وقبائله من يام في فك أسر الشريف الحسين بن علي حيدر المأسور لدى الإمام محمد بن يحيى في قلعة القطيع .

نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

"من الحسن بن محمد إلى المحب الشيخ الأكمل مانع بن جابر – سلمه الله تعالى- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

بعد حمد الله على جزيل نواله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله،صدرت لكم وكتابك وصل وعرفنا ما ذكرت وأملنا منك ما فعلت،وكتاب الشريف حفظه الله وصل وهو في بيت الفقيه مع محمد بن يحيى باعوه سودان الوجيه....... زقمو به في خشم العدو... الفسالة على يد....... لعنهم الله، وذكر في حمية رجال يام وهمتهم ووقوفهم في الظهر والبندق،فالله يشد بك الظهر، ويدرك بك الثار،ويجلي عنا وعنك العار،وكل حقيقة في كتاب الاخ علي بن محمد -حفظه الله – والعجل العجل ترا ما عاد نحاذر إلا يقفي الناكث والشريف معه،وحكمنا نهادنه والواسطة بيننا وبينه والفوت في تسليم البلاد والشريف في يده،وقد عرفت أن ما له عهد ولا ذمه،والله يختار للجميع ما علم فيه الخير والسلام.١٨ ربيع الأول ١٢٦٤هـ .



١٢٦٧هـ الأمير غالب (١) بن المتوكل يألب القبائل على حرب يام في حراز.

غادر [الأمير غالب] إلى الحيمة وحراز وحفاش وملحان في الغرب بعد أن كاتب قبائل عسير وبلاد سحار لنصرته على إخراج قبائل يام [الإسماعيلية]، من حراز. ...ولم يحرز كبير نصر، فعاد أدراجه إلى العاصمة.(٢)

١٢٦٧هـ حميد الدين يغزو حراز.
كان إمام صنعاء الهادي بن حسين (٣) مشغولاً في أنس فاهتبل الفرصة معارضه محسن بن أحمد الذي كان في ذي مرمر فجهز جيشاً بقيادة يحيى حميد الدين وأرسله من صنعاء إلى الحيمة لطرد المكارمة والاستيلاء على الحيمة،.... ودامت الحرب بينهما طويلاً حتى سئمت القبائل وعادت إلى بلادها.(٤)

١٢٧٢هـ - لجوْ الشريف الحسن بن الحسين إلى نجران.

أما الأمير الشرعي "لابي عريش" (الحسن بن الحسين (٥)) فقد ظل متوارياً حتى قفل الأمير محمد بن عائض إلى عسير فتوجه إلى نجران يطلب مساعدة قبائله اليامبين على استعادة إمارة أبى عريش. وفي ليلة السادس عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٣هـ وصل الحسن بن الحسين وجنده النجرانيين إلى طرف المدينة، فسقط في يد الحسن بن محمد فلا هو على إخلاصه لابن

---

(١) الأمير غالب بن المتوكل بن محمد.
(٢) مائة عام من تاريخ اليمن الحديث ٢٣٣
(٣) الهادي بن الحسين بن احمد.
(٤) السفر الثاني من تاريخ الحرازي ص ٧٠ (حاشية).
(٥) الحسن بن الحسين بن علي الخيراتي.

عائض فيضم إليه الحامية وينهض برجاله القليلين والحامية العسيرية للمقاومة، ولا أهل المدينة معه فيشدون آزره، فقد انضموا إلى أميرهم الحسن بن الحسين. فلم ير له سبيلاً إلا آن يكتب للحسن بن الحسين ويطلب إليه بعث ثلاثة من رؤساء النجرانيين للتفاهم ظناً منه أنه سيتمكن من استمالتهم إليه فبعث إليه الحسن بثلاثة من رؤساء النجرانيين تحت جنح الظلام فوصلوا إلى حصنه (الشامخ) المتحصن فيه، ونزل إليهم وأخذ التفاهم معهم ومحاولة استمالتهم، وذكرهم بوعدهم أنهم متى وصلوا إلى أبى عريش تخلفوا عن الحسن بن الحسين وولوه، وأعدهم بجزيل العطاء، فلم يصغوا إلي إغرائه، ورفضوا الانضمام إليه، وافهموه أنهم لا يتخذون بمن وصل إليهم ونزلوا معه بديلاً، ففارقهم وصعد حصنه.فلا أهل المدينة معه ولا الحامية العسيرية في صفه، ولا أهل نجران أجابوه، ودخل الحسن بن حسين المدينة من غربها، وعلمت الحامية العسيرية فأطلقوا ثلاث قذائف من مدفع لديهم ثم توقفوا، وأوعز الحسن بن حسين إلى رئيس النجرانيين علي بن الحسن المكرمي بان يتصل بــ الحسن بن محمد ويستميله للدخول في الطاعة، فلم تنجح المحاولة وبفشلها، أعتصم الحسن بن محمد في حصنه الشامخ مع حاشيته وبدأ في إطلاق النيران على الحسن بن حسين وجيشه النجرانيين، ورأى الحسن بن حسين أن خير وسيلة لمضايقته،واخضاعه، هو الاستيلاء على البئر المحاذية لحصن الشامخ والتي هي المورد للحصن ومن فيه، والتي لم يجعل عليها الحماية الكافية، وبينما هو معتز بمناعة حصنه، وما استعد به من المؤن والذخيرة التي يعتقد أنه اعتماداً عليها يمكنه الصمود أياماً حتى يرغم خصمه على الانسحاب من المدينة، وبينما هو محلق في سماء أمله فإذا هو يسمع منادياً من أهل المدينة يحذره قائلاً بأن سرية من معسكر النجرانيين متقدمة للاستيلاء على البئر، فحالا أمر بإغلاق أبواب الحصن وأمر بأخذ موقع الدفاع حوله زحف النجرانيين نحو البئر والحصن فما قربوا منه حتى تصدى لهم جيران الحصن من أهل المدينة، وقتل جندى من رجال المكرمي وحز رأسه ورفع على عمود فساء ذلك (المكرمي) وأغاضه فأمر جماعته بالتراجع قليلاً عن مرمى النيران، وعندما دجى الظلام استولى ليلاً على البيوت والمساجد القريبة من حصن الشامخ، ولم يشعر الحسن بن محمد في الصباح إلا والنار تطلق على الحصن من كل جانب وأحكم عليه الحصار حتى لم يتمكن وأردهم من ورود البئر. وعندما اشتد عليه الضيق، أخذ في مكاتبة الحسن بن حسين في طلب الأمان فأشترط عليه ما يأتي:

١-الدخول في الطاعة.

٢-أن يقوم بإخراج الحامية العسيرية من حصن دار النصر.

٢-أن يقدم اثنين من إخوانه رهناً يبقون في معسكر الحسن بن الحسين إلى أن يقوم بإخراج الحامية [١]

١٢٧٧ هـ - قمع البغي الحاصل من بني جبر .

في شهر صفر: جاءت الأخبار [بتجاوز] المكرمي حسن بن إسماعيل شبام إلى الحيمة، واستولى على الحجرة وما والاها، استدعاه أهل البلاد بسبب البغاة من بني جبر (من قبائل خولان) الذين في مفحق لما صدر منهم التعدي إلى أهل البلاد والمسافرين طلبوا منهم مجابي (ضريبة) زيادة على المعتاد، وكانوا في ابتداء الأمر رتبة من لدى عامل البلاد، فوقعت منهم الخيانة، وكانوا موضوعين في محل الأمانة، وقد حاصرهم أصحاب المكرمي حتى امتثلوا للصلح على حكمه، والبلاد الأمامية فارغة من العمال، وما ثمة مانع إلا العجز وعدم التدبير وضعف العزيمة ووزراء الإمام لا يهتدون. [٢]

---

(١) المخلاف السليماني ج ١ ص٥٧٠-٥٧٢.

(٢) السفر الثاني من تاريخ الحرازي ص ٦٥.

١٢٧٨هـ - محاولة بني جبر طرد مكارمة يام.

استعان محسن بن ناصر بقبائل بني جبر، وتوجه منهم عصابة، المرة "الأولى" رجعوا على أعقابهم، وتوجه عصابة أخرى ووقفوا في سهام ومطارح يام وأهل البلاد على من كان في عانز - ونسأل الله اللطف بجميع عباده ونهض من كان في سهام من بني جبر ومن تبعهم حتى انتهوا إلى وادي مفحق وزعموا أنهم يدخلوا بيت الربح التي فيها قبائل يام فقابلوهم بسهام الرصاص، واحربوهم حرب من لا يرجى السلامة ثم خرجوا إليهم بالسلاح، فهزموا بني جبر حتى أدخلوهم سوق مفحق وسقط قتلى كثير من بني جبر، وتعقب بعد ذلك الصلح، وهو أسلم للجميع. [١]

١٢٧٨هـ - فك حصار (القدمة وقرية الحجرة بالحيمة) .

في شهر ربيع الأخر: رجع.. يحيى بن محمد الأبيض، والشيخ محمد بن أحمد أبو جابر إلى الحيمة، واجتمع إليهم من قبائل خولان وأرحب خلق كثير، واجتمع عليهم أهل الحيمة،وثار الحرب بينهم، وسقط قتلى من الجهتين، فآل الأمر إلى محاصرة..يحيى في القدمة،والشيخ محمد أبو جابر في قرية الحجرة وسرت بني جبر وغيرهم في الحيمة ولما ضاق المجال بأهل الحيمة كاتبوا المكرمي الذي في حراز، وأرسلوا إليه الرهائن من أبنائهم وإخوانهم، وساعدهم على ذلك، ووعدهم إلى شهر جماد أول. وفي شهر جماد أول. وصلت قبائل يام من حراز، وأميرهم يحي بن علي اليعبري إلى بر الحيمة، واخرجوا المحاصرين في قرية الحجرة والقدمة،..يحي بن محمد والشيخ محمد ابو جابر ومن صحبهم من القبائل، ورجع.. يحيى والشيخ محمد أبو جابر على أعقابهم، وتفرقت قبائل يام في البلاد، وعاد في الحيمة بقية من القبائل في معاقل ينتظروا مصالحتهم بشيء من المال .[٢]

١٢٧٨هـ - نزول المكرمي الحيمة .

وفي شهر رجب: وصل المكرمي علي بن حسن بن محمد المكرمي (الحيمة) ومعه زهاء خمسة عشر مائة من (يام) ونصب المظلة والعذبتين....، واظهر القوة بكثرة الأحمال من الباروت والرصاص والسوق والسياق من لدى الداعي الذي في حراز، ولم يزل الجند في محاصرة لبني جبر الذين قد قبضوا معاقل في البلاد، وقد وقعت بينهم وبين يام وقعات وأخرج البعض والآخرين محاصرين. هذا خبر المكرمي.وأما الإمام المنصور حسين الهادي فهو باقي في (كوكبان)، والكتب من وزيره إلى الأقطار يأمرهم بالطاعة، والكثير من الناس يقولون بإمامته، ويقبلون طريقه القديمة والحديثة، ولم يحصل من الإمامين للمسلمين فلاح، ولا ظهر من أحدهم في البلاد نجاح.وقبائل يام تدب في البلاد...، والناس في هرج ومرج، غنم لا راعي لها، والذئاب تدور حولها. ونسأل الله اللطف بعباده وبلاده آمين .[٣]

١٢٧٨هـ - المكرمي علي بن حسن يكمل سيطرته على حصون الحيمة ومناطق أخرى .

وأما المكرمي علي بن حسن فقد أستكمل الحيمة، واخرج الذين في رخمة، وتقدم جيشه لحصار محسن بن ناصر الذي في جبل عانز [٤]، وأحاطت الأجناد بجبل عانز، حاصروا بني جبر في الحصن الذي عمر محسن صبر، وأوقعوا بأصحابه الذين في طاعته وقتلوهم قتلة واحدة،...

(١) السفر الثاني من تاريخ الحرازي ص ١١٤.
(٢) السفر الثاني من تاريخ الحرازي ص ١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤.
(٣) السفر الثاني من تاريخ الحرازي ص١٠٩.
(٤) جبل عانز: من ناحية الحيمة الخارجية وأعمال حراز، فيه قرى وحصون ومزارع.

وأغار عساكر المكرمي،واستولوا على جميع جبل عانز وسهام وعابة، حتى بلغوا إلى بيت السيد عطيه في بلاد آنس، وحاصروا من بقى في مفحق [1] وفي حصن الصبار وحصن ابن صبر وعضد قبائل يام الرعايا الذين تحت وطأته من أهل حراز والحيمة. [2]

١٢٧٩هـ - اطلاق سراح النقيب عبدالله بن ناجي الهمداني من السجن.

[بعض] أهل الحيمة التي حول مطرح الإمام قلبوا ظهر المجن، ورجعوا لمصافاة المكرمي والاعتذار إليه بانهم لا قدرة لهم على الدفع لما دهمهم من الاجناد الامامية، وطلبوا من المكرمي الرتب، وادخلوهم في بعض قرى بني سليمان وزيدوا الرتب في القرى التي كان فيها رتبة المكرمي من يام، وقبائل همدان انكفت، وقبضوا حدود البلاد المتمهدنه التى حول الحيمة، وقبضوا من جبل شعيب الى قرية يازل وهذه البلاد كانت راجعة في الاصل الى بلاد البستان،فدخلوا في قبيلة همدان لاجل الذب عنهم، واظهر همدان ضمائرهم.....، وفي ظاهر الامر انهم يطلبوا تخليص عاقلهم النقيب عبدالله بن ناجي الهمداني وفي الباطن الاعانة للمكرمي ومحاصرة الأمام وجنوده، وقطع سياق الازواد إليهم، ومنع المجلوبات عليهم، ولله في كل بلوى تقدير. وآل الامر إلى اطلاق النقيب عبدالله بن ناجي ومن كان معه في الاسر ورهنوا في ظاهر الامر من اولادهم. وفي خلال ذلك وقعت المخادعة، ورجع رؤساء جنود الامام للتراث العاجل، وسلم اليهم البعض مما خدعوهم به، ووهنت شوكتهم مع تغير نيتهم. وهابوا جنود الداعي، وعظم في أعينهم. [3]

١٢٧٩هـ - فك حصار آهل عراس - ببلاد يريم .

وفي شهر رمضان: أنفذ المكرمي[4] [فرقة] من يام إلى عراس قدر ثلاث مائة رامي، وأمر عليهم مكرمي " لفك الحصار عن ذي صارف الذي فرضه عليها حسين بن يحيى عباد"، واجتازوا من بلاد أنس وبلاد ذمار وبلاد يريم حتى دخلوا عراس، ووقعت بينهم وبين أصحاب حسين بن يحيى عباد صاحب خبان وقعات، وسقط قتلى من الجيشين، ومنهم جماعة من ذو محمد كانوا مع حسين بن يحيى بن عباد، وقد كان ضيق على أهل عراس المسالك، وعمر ثنتين نوب فوق قرية ذي صارف. وقد كان رهن آهل عراس من أبنائهم عند ابن عباد، فمع وصول يام ضاقت أحوال اصاحب ابن عباد، وأشتد الحصار على من في النوب، وآل الأمر إلى خروجهم منها، وكانت شامخة البنيان. [5]

١٢٨٠هـ قبيلة دهم تغزو نجران.

جاءت الأخبار بأن قبيلة دهم تتجهز وتستعد لغزو نجران فلما بلغ الخبر قبيلة يام أهل نجران أرسلوا رسولاً إلى هضبان زعيم من زعماء دهم وطلبوا منه أن يثني قبيلة دهم عن غزو نجران ولكنه رد أنه لا يستطيع منعهم مادام قد استعدوا وظهر ذلك بينهم - فلما وصلوا أطراف نجران

---

(١) مفحق بلد وحصون من ناحية الحيمة الخارجية من بلاد حراز والحصون الأخرى المذكورة في المنطقة نفسها.
(٢) السفر الثاني من تاريخ الحرازي ص١١١.
(٣) السفر الثاني من تاريخ الحرازي ص ١٣١-١٣٢
(٤) الحسن بن اسماعيل شبام (الداعي الثاني و الاربيعين)
(٥) السفر الثاني في تاريخ الحرازي ص ١٣٤-١٣٥.

في مكان يسمى الخليف تلقتهم قبائل يام ونشب القتال وآل الأمر إلى هزيمة قبيلة دهم وتم أسر البعض منهم ومن جملة الأسرى زعيم من زعمائهم يقال له هضبان.
و عندما أخذت أسلحة الأسرى سأل هضبان عن من أخذ سلاحه. قيل له راكان القروي. ((وكان القروي عند دهم هو من لا أصل له)). فقال هضبان -:

راكـــــان لا تاخـــــذ العـــــدة	و عطهـــــــا شـــــــلي
عطهـــــا عضوضـــــي مـــــن	الصـــــبيان بينثنـــــي
قـــــوم إذا جـــــاء اللقـــــى	تحمـــــي البزلـــــي
عطهـــــا حويشـــــان ولا	الكليبـــــي الشـــــلي

(و كان القروي تعني عند أهل نجران و غيرهم هم سكان القرى و ليس كما فهم هضبان)
فرد عليه راكان -:

هضـــــبان مـــــا مثلـــــك	يـــا ابـــن همـــدان يـــذم الشـــلي
وخـــــذت انـــــا الجربـــــاء	وعينـــك مثـــل عـــين الطلـــي

وهذه أبيات من قصيدة قيلت بعد المعركة: :

قـــم يـــا نـــديبي تثبـــت فـــوق مهـــر أدهـــم	نـــابي القطـــاتين يشـــرح قلـــب ركابـــه
وقصـــد بنجـــران عـــاد العـــود يـــزّدحم	دور لـــبن جعمـــل لـــين تـــازا بـــه
ثـــم أنشـــده مـــن نـــار الحـــرب يـــوم اظلـــم	مـــا بـــين يـــام و دهـــم تهـــارا بـــه
مـــن يـــوم دهـــم كـــانهم فرقـــه تهـــزم	وذيـــابهم يـــام شـــلوا كـــل حلابـــه
يـــا يـــام تســـتاهلون المـــدح و المغـــنم	تســـتاهلوا در خلفـــات تزافـــا بـــه
ســبعين مـــنهم كـــل مـــن غشـــى وجـــه الـــدم	وميتـــين مـــنهم مـــرابيط محنابـــه

١٢٨١هـ -غزو ابن حيدر اليامي لبلاد آنس .

وقعت فتنة في بلاد آنس في مخلاف بني سعد ما بين أبن حيدر اليامي وآهل البلاد، ولم تزل الحروب متكرره، واجتمعت المخاليف على جند أبن حيدر، واتقت أنفسهم من دخول يام بلادهم، وكانت الدائرة في جميع الوقعات على جند أبن حيدر، وسقط منهم قتلى، وآل الأمر إلى اخراجهم من المعاقل وتفريغ البلاد، وصالحوهم بالفي قرش، ورجعوا على اعقابهم إلى صعفان. ...[١]

(١) السفر الثاني من تاريخ الحرازي ص١٦٠

١٢٨٣ -سعود بن فيصل يستعين بيام أهل لنجران.

وحين فشل سعود بن فيصل في الحصول على معونة عسكرية من محمد بن عائض توجه إلى نجران حيث رحب به رئيسها وأيده ولم يكن ذلك الموقف غير متوقع من الرئيس[١] النجراني. فقد كان لا يتعاطف مع الحكم السعودي القائم على أساس العقيدة. السنية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ولعله رأى أن تشجيع انقسامات داخل الأسرة السعودية مما يضعف ذلك الحكم. وكانت قبائل نجران يامية الأصل وهي لهذا تمت بصلة القرابة لقبيلة العجمان اليامية وعدوة عبد الله بن فيصل. ثم وفدت إلى سعود بن فيصل وهو في نجران فئات من بعض القبائل، مثل العجمان وآل مره وآل شامر فتكونت لديه قوة شجعته على أن يسير بها لمحاربة أخيه عبد الله. وانطلق من نجران إلى وادي الدواسر حيث لقيت حركته الكثير من النجاح، وازداد عدد المنضمين إليه. وكان أخوه عبد الله على علم بتحركاته. فجهز جيشاً كبير بقيادة أخيه محمد للوقوف في وجه تقدم سعود. وتقابل الأخوان محمد وسعود بجيشيهما في المعتلى فهزم سعود وجرح في المعركة، وقتل كثير من اتباعه وذلك سنة ١٢٨٣هـ ثم سار سعود بعد هزيمته في المعتلى إلى موطن آل مره وظل عندهم حتى برئت جراحه. وبعد ذلك توجه إلى عمان. [٢]

١٢٨٤هـ غزو يام المخلاف السليماني .

في عام ١٢٨١هـ تقدم الأتراك بقيادة أحمد باشا السليماني لاستخلاص أبي عريش وتمكنوا من طرد الحامية العسيرية منه ثم بندر جازان وجميع أنحاء المخلاف السليماني وأقاموا محمد بن حسين بن علي حيدر باسم قائم مقام، وقد استمر هذا على عمله إلى أن عزل في عام ١٢٨٤هـ بأخيه زيد بن حسين ثم عزل الأخير بحاكم تركي، فأتصل آل خيرات بقبائل يام وحثوهم على غزو المخلاف فنزلت تعيث في أرجائه فساداً واقترفت من السطو والسلب والقتل ما يفوق الوصف وكان معسكرهم الرئيسي في سامطة فبعث الأتراك قوة تولت طردهم.[٣]،[٤] .

١٢٨٩هـ استيلاء القوات التركية على حراز.

في شهر محرم السنة المذكورة - أعني سنة تسع وثمانين - جاءت الأخبار بخروج الأجناد السلطانية إلى بندر الحديدة، ووضعوا محاطهم خارج الحديدة، وبقوا أياماً. وبعد أيام من الشهر المذكور تقدم جماعة من الأجناد السلطانية إلى باجل وكتبوا إلى الداعي أحمد بن إسماعيل شبام المكرمي [٥] المتولي لبلاد حراز والحيمة فأعتذر بأعذار لا تنفع، ورتب البلاد، وبقي يراسل إلى القبائل بالوصول إليه للجهاد، فلم يصل إليه أحد. وفي يوم الخميس خامس عشر شهر محرم عزم أحمد بن حسن شبام....، ومعه جماعة من.... يام وهمدان قاصدين محارشة الأتراك لمناوبة الحرب....، فوصلوا إلى القرب من وادي حار، واظهروا وأسروا في أنفسهم بأخذ شيء من الخيل والبغال على الأجناد السلطانية...، وعادوا إلى محلهم، فلما علم الأجناد بذلك قاموا وقعدوا...، وتقدموا في ذلك اليوم، وأخذوا الحجيلة وسوقها، والداعي لازال في الحث على ترتيب الحصون والبلاد بمن معه من رجال يام وأمر أهل البلاد بترتيب الطرقات وحفظها. وفي ليلة الجمعة ؛ وصل إليهم..... علي بن حيدر من يام، وتعهد لهم، ودلهم على الطريق إلى وسط بلاد حراز، فمشوا معه من حينهم، ولما وصلوا إلى وسط البلاد واصدقوا الوضع على [الأتراك]

---

(١) احمد بن اسماعيل المكرمي – الداعي الثالث و الأربعين

(٢) تاريخ الدولة السعودية ج ١ ص ٨٩٢/ ٩٠٢.

(٣) المخلاف السليماني ج١ ص ٥٢٤.

(٤) أليس من الأولى أن تكون قبائل يام و أمراء آل خيرات قد حاولوا تحرير المخلاف السليماني من المحتل الأجنبي (التركي) وطرده من البلاد التهامية، حيث وأمراء آل خيرات هم الحكام الأصليين للبلاد وليس الغزاة الأتراك!!!

(٥) الداعي الحسن بن اسماعيل شبام وليس احمد بن اسماعيل.

من المكارمة و يام وبعض من أهل البلاد، وتلقاهم الأتراك بنار المدافع والبنادق، وأستمر الحرب بين الفريقين، وسقط قتلى كثير من [الأتراك]، وأجابت البلاد بالسمع والطاعة للسلطان،وأشعلوا المنارات، وبقي الداعي في حصن عتارة، ورتب حصن متوح، وولده بقي في مناخه في بيت الدولة هو وجماعة من يام، فلما أشتد به الحال خرج بالخزنة التي في [حصن] مناخة ، ولما سمع ذلك "جند" الداعي ومن لم يدخل تحت الطاعة تفاشلوا، وبقي الأتراك محاصرين لعتارة أيام، وحصن متوح هرب منه الرتبة [الحرس] وبقي لله سبحانه، ولا زالت الرماية إلى عتارة بسهام المدافع أياماً، واشتدت محاصرته، ولما ظن الداعي الهلاك وعدم السلامة توسط بينه وبين الأجناد السلطانية من توسط بصلح بعد وصول الباشا المعظم سيد قومه أحمد مختار، وطلب وصول الداعي إليه،وضرب له الأمان، فوصل إليه وتلقاه بالقبول، وطلب منه مسودات الحاكية لما في بيت المال فسلم الحافظية، ورتب الأجناد السلطانية بحصن عتارة، وطلع محافظ أحظر جميع ما في حصون الداعي من الأموال والحبوب الباقي بعد ما أخذ أهل البلاد من حصن متوح،... [ثم أن] الباشا صدر الداعي وولديه وجماعة من المكارمة وبعض كتبهم إلى الأبواب السلطانية، ووصل الداعي إلى الحديدة وهلك بالموت، وولده أحمد هلك في البحر [1]، ودخل من بقي، وأستولى الباشا على البلاد، ورتب المعاقل والحصون، ووصل إليه مشايخ حراز، وضرب الأمان في البلاد، وكان لأخذ حراز في قلوب الناس موقع عظيم أرجفت لذلك جميع أقطار اليمن، وهرب من يام زهاء اثنا عشر مئة إلى الحيمة، وتلقاهم أهل الحيمة، وأخذوا أسلحتهم وأمتعتهم، وبقي جماعة من يام وعامل المكرمي في حصن المنصورة فوق العر وحاصرهم أهل البلاد وخرجوا منها قهراً، وحفظ البلاد أهلها [2]، وذهب الداعي بمملكته وصار من الوجود إلى العدم، فكأنما لا غدا ولا راح، ولا بقى للكبش في البطاح نطاح [3] ! فهذه عادة الدنيا، وانتقالها من حال إلى حال. [4]

وقال في الحادثة صاحب كتاب بلوغ المرام و مسك الختام

ولما بلغ (أحمد مختار باشا) حراز توجه المكرمي وقومه، وهم رجال يام في عتارة ومسار وشبام. وغيرها من الحصون الموانع، فأجلوهم عنها في يوم واحد، وقتل المكرمي وأبنه، كما قد أسلفت وأخذت مملكته، وكانت لا تحد ولا تعد.... وانجلت دولة [الإسماعيلية] منها إلى اليوم. [5]

[إشارة إلى أن قتل الداعي وأبنه كان غدراً من أحمد مختار باشا قال الشاعر إبراهيم بن محمد الكبسي (١٢٢٠-١٣٠٨هـ)] :

وصـاولوا المكرمـي فـي داره فغـدا	**فـي أسـرهم واثقـاً بالعهـد فـي غـدر**
فلـم يراعـوا لـه عهـداً وعـادتهم	**نقـض العهـود علـى بـاد ومحتضـر** [6]

١٣٢٢هـ - استنجاد مكارمة اليمن بيام.

(١) لم يكن موت الداعي وولده مصادفة فكما يقال – والله أعلم – انه قد سم لهما.
(٢) هل الأتراك هم أهل البلد!!!!
(٣) كما ترون أعزانا القراء فرغم محاولتنا اخذ الحقيقة التاريخية دون أن ننقل لكم حقد الكاتب وسبه وشماتته في أهل بلده وميله مع المحتل الأجنبي يطبل له ويزمر!!!! إلا ان السياق قد ترك بصمة على قوله لتشهد عليه ولتعرفوا صعوبة المهمة في استخلاص تاريخ جماعة يكتبه خصومها.
(٤) السفر الثاني من تاريخ الحرازي ص ١٧١.
(٥) بلوغ المرام في شرح مسك الختام ص٧٦.
(٦) اثر دعوة محمد بن عبد الوهاب في الجنوب ص٥٥٥.

(يقول الشيخ سالم بن سلطان [ابن منيف]) - فقد علمنا أن جنود الإمام يحيى [حميد الدين] قد حاصروا إخواننا من المكارمة [والقوا بالداعي عبد الله بن علي المكرمي في السجن] وقطعوا من آهل [طيبة] الزاد والمياه أرادوا سلب أموالهم، وكانوا في وادي ظهر باليمن، فما كان منا إلا أستعد كل منا لغزو اليمن - واعددنا حوالي خمسمائة مقاتل من رجال يام برئاسة والدي الشيخ سلطان بن حسن بن منيف مع الشيخ حمد بن حسين بن مانع آل جابر والشيخ جابر بن مانع بن نصيب وسافرنا عن طريق تهامة، فمررنا بوادي سنحان وبلاد قحطان حتى وصلنا إلى حرض فقابلنا في الطريق قوم يتبعون (احمد هيج) – فقاتلناهم حتى انهينا عليهم وعلى ديارهم ثم زحفنا حتى وصلنا إلى باجل، ثم إلى مناخه فانضم إلينا فيها مئات من جيوش الترك الذين كانوا في طريقهم إلى اليمن لكي يخلصوا بعض الأتراك من حصار مماثل وفرض عليهم من قبل الأمام. وتقدمنا نحن والترك فاستولينا على مفحق ثم هجمنا على خميس مزيور بجوار صنعاء فاشتعلت فيها حرب شديدة استولينا بعدها على المدينة ثم تقدمنا فأخذنا (بوعان) وأمسينا في قرية بيت مهدم، واتقدت فيها نار القتال، لكننا في النهاية استولينا على القرية بعد فقد بعضنا وتقدمنا إلى مدينة (يازل) فدخلنا إليها بثلاثة جيوش جيش قبيلة جشم من الجنوب وجيش قبيلة مواجد من الشمال وجيش قبيلة آل فاطمة من الوسط، وتقدمنا داخل المدينة حتى أن جشم أزاحت أمامها كل ما اعترضها إلى أن دخلت صنعاء، لكن الحظ لم يساعدهم إذ أنهم كانوا أضعف من مقاومة جنود الإمام، فحاصرتهم جيوش الإمام في صنعاء وقطعوا عنهم الزاد والمياه، وكان الأتراك مع جشم في هذا الحصار.......... إذ دعا الإمام شيوخنا للتفاوض معهم في شبام كوكبان – وكان على رأس هؤلاء الشيوخ عبد الله بن احمد المكرمي اتفق معهم الإمام على أن يبقوا معه للتفاوض حول مصير [جيش] جشم بشرط أن [تنكف] الجيوش إلى نجران وعدنا وإذا بالإمام يقبض على الشيوخ ويضعهم في السجن وكان هؤلاء الشيوخ هم الوالد سلطان بن منيف وحمد بن حسين بن منيف وسالم بن مانع بن القنا، وحسين بن هجاج والشيخ حمد بن حسين بن مانع آل جابر وأخيه جابر بن حسين بن مانع آل جابر والشيخ عبد الله بن أحمد المكرمي والشيخ جابر بن مانع بن نصيب .

وقد كان الإمام يعاملهم في السجن معاملة قاسية إذ انه كان يكبلهم من أيديهم وأقدامهم بالقيود الحديدية.

المهم بعد ذلك أن بعضهم مات بالسجن مثل أبن نصيب [١] والباقون ظلوا في السجن حتى استولت جيوش (أحمد فيضي) التركي على القطاعات والبلاد التي كان الإمام يحيى قد استولى عليها قبل ذلك من الترك.

فتقدم أمير وقائد جيوش الإمام بفكرة، بمقتضاها يطلق الإمام يحيى سراح الشيوخ، لكن الإمام رفض ذلك، إلا بشرط وهو أن يحل أولادهم مكانهم في السجن [كرهائن] .[٢]

وكانت هذه سياسة الإمام يحيى في ان يضع من كل قبيلة أو طائفة لها قوة نافذة رهائن من شيوخها أو ابنائهم حتى يظمن عدم انقلابهم عليه .

١٣٢٢هـ - استعانة الأتراك بيام (وقعة يازل).

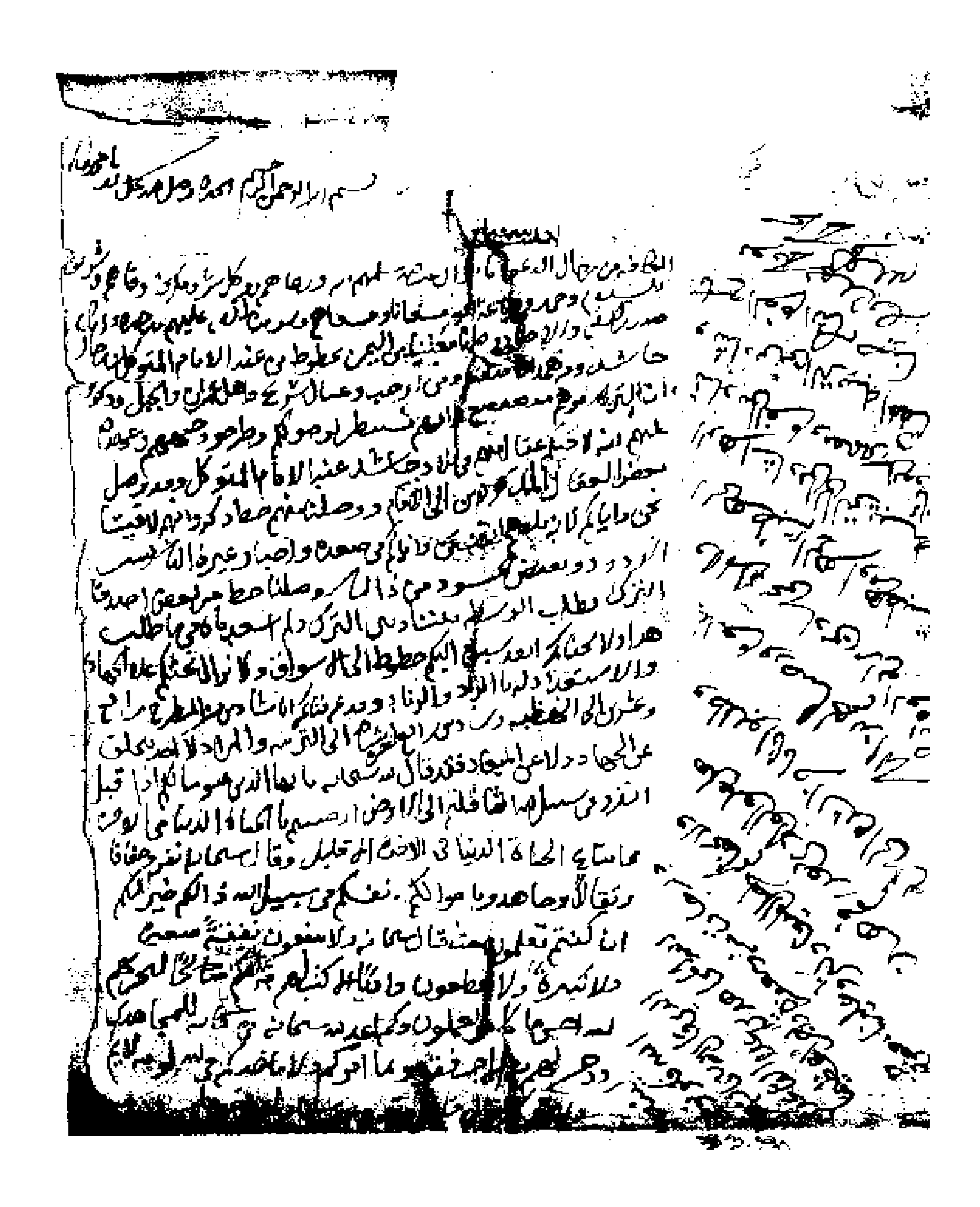
وصلت للأتراك إمدادات كثيرة جمعت من مختلف المراكز ولذلك أرادوا فك الحصار عن صنعاء ولكنهم لم يفلحوا بعد ذلك وصلت قوة هائلة من الجنود الأتراك بقيادة رضا باشا إلى الحديدة واتجهت إلى صنعاء في عدة كاملة وانضمت إليها طائفة من رجال يام فتلقاهم أصحاب

---

(١) ومن جملة من مات بالسجن الداعي عبد الله بن علي المكرمي (الداعي الرابع والأربعون) وعبد الله بن أحمد المكرمي.

(٢) كتاب نجران الأرض والناس والتاريخ ص ٣١.

الإمام في الحيمة وبلاد البستان ونهبوا ما كان معهم من زاد وسلاح واستسلمت قبائل يام وقدمت الطاعة لأصحاب الإمام الذين ساقوهم إلى كوكبان، ولما وصلوا إلى كوكبان أمرهم أن يطرحوا السلاح إبقاء على أرواحهم .[١]



[وهذه الوثيقة تشير إلى أن القبائل اليمنية استنصرت بقبائل يام إلى جانب الإمام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين – وتشير إلى أن الترك حاولت استمالة يام إلى جانبها ضد الإمام المتوكل وأنصاره من القبائل ولكن يام رفضت الانضمام إلى الترك كما تشير الوثيقة ونرى أن المعركة

(١) المقتطف من تاريخ اليمن ص ٢٩٠ [لعل وقعة يازل – والله اعلم – هي نفسها معركة استنجاد مكارمه اليمن بيام لاحتوائها على نفس الأحداث و في نفس الفترة الزمنية]

المؤرخة في ١٣٢٢هـ تزج بقبائل يام إلى جانب الأتراك فما الذي حدث هل تغيرت نيات القبائل اليمانية ؟ أم الإمام المتوكل حميد الدين غدر بقبائل يام واضطرهم إلى الوقوف إلى جانب الترك ؟ أم الوثيقة تحكي عن شيء والمعركة عن شيء آخر ؟ أن كتب التاريخ تجعل المرء في حيرة من أمره فلا يدر أين تقع الحقيقة!!!]

نص الوثيقة:
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الكافة من رجال الدعوة يام وآل عبد الله سلمهم الله ورعاهم ومن شر كل مكروه وقاهم وشريف السلام وحمد في طاعة الله مسعانا ومسعاهم وشريف السلام عليهم ورحمة الله وبركاته صدرت للسلام والأخبار وصلنا من مكتبنا من اليمن بخطوط من عند الإمام المتوكل ورجال حاشد وهمدان وصلنا ومن ارحب وعيال سريح وأهل عمران والجبل وذكروا أن الترك أمرهم متضعضع وانهم ينتظر لوصولكم وطرحوا وجيهم وعهد الله عليهم انه لاقيكم عقال منهم في بلاد حاشد عند الإمام المتوكل وقد وصل بعض العقال المذكورين إلى الإمام ووصلنا منهم خط ذكروا انهم لاقينا نحن وإياكم لأنه بلغهم انقد نحن وإياكم في صعده وأخبار غير ذلك تسر الودود وتغيض الحسود من ذلك وصلنا خط من بعض أصدقاء الترك يطلب الوساطة بينا وبين الترك ولم أسعدناه في مطلب هذا ولا يخفاكم انقد سبق إليكم خطوط إلى الأسواق والانزال نحثكم على الجهاد والاستعداد له بالزاد والزناد وقد عرفناكم انا شادين من المطرح رابع وعشرين إلى الهضبة وشادين رابع الغرة إنشاء الله إلى التربية والمراد لا حد يتخلف عن الجهاد ولا عن الميعاد فقد قال الله سبحانه ((يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل)) وقال سبحانه((انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)) حيث قال سبحانه ((ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون)) وكما اعد الله سبحانه في كتابه للمجاهدين وادخر لهم الأجر فقوموا بما أمركم ولا تأخذكم في الله لومة لايم... فكونوا من الذين قال الله سبحانه فيهم ((وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما)) ولا يخفاكم من اجل الميعاد كثروا علينا بعض وجيه هل علوا الوادي بعد رقم هذا وطلبوا أنا ناخر الشدة إلى رابع الغرة ورضينا لهم بذلك والمراد نحن شادين رابع الغرة أن شاء الله إلى هضبة الزهراء شادين إلى التربية سادس الغرة ومقيمين سابع وثامن وشادين من التربية أن شاء الله تاسع الغر إنشاء الله حبينا نعرفكم والسلام.

وبما أن الوثيقة أعلاه تتكلم عن الإمام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين فنحدد تاريخ الوثيقة فمن كتاب مائة عام من تاريخ اليمن الحديث للدكتور حسين بن عبد الله العمري ص٢٦٢ نحدد هذه الفترة.
حيث قال: " بعد وفاة الإمام المنصور [حميد الدين] بويع ولده بالإمامة وأعلن لقبه بالمتوكل واتخذ (قفلة عذر) كعاصمة له، وقد قامت حكومة الإمام يحيى في وقت كانت فيه القوات التركية في غاية الاستعداد والقوة، وكان القائد التركي بصنعاء في مزيد من التحمس في القضاء على الحكم الإمامي واحتلال مدينة (القفلة) وقد بادر اثر سماعه بوفاة المنصور بإرسال قوة لمناهضة حامية المتوكل المرابطة في الشمال أراد أن يعجم بها عود الإمام الجديد، وجرت بين القوتين بعض المناوشات عادت بعدها القوات التركية مهزومة إلى (صنعاء).

وبعد هذه الهزيمة تضافرت القوى الوطنية من قبائل (همدان) و (حاشد) و(الاهنوم) وغيرها من القبائل التي التفت حول الإمام يحيى وتمكنت من تعقب الحاميات التركية وحصرها في (صنعاء)

ثم إرغامها على الاستسلام ودخل الإمام (صنعاء) في ٢٣ محرم سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م بعد أن فر القائد التركي إلى (زبيد) ".

كما ان الوثيقة ذكرت عيال سريح وهم مذكورون في نفس الفترة الزمنية في كتاب المقتطف من تاريخ اليمن للقاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي ص ٢٧٧ حيث قال:
..."وفيها أيضا ثارت قبائل عيال سريح وبعض الحرث وهمدان وناصروا الإمام وأخذوا يهاجمون المحلات القريبة من صنعاء"....

١٣٣٦هـ - استعانة الإدريسي بيام وحاشد وبكيل .

رأى الإدريسي أن العبء قد ثقل على عاتق رجال قبائل المخلاف السليماني وهم عماد قوته ودعامة حركته فأحب أن يدخر شيئاً من قواهم لما يسفر عنه المستقبل لاسيما ولديه من المادة ما يمكنه من تجنيد (جيش) من قبائل يام وقبيلتي حاشد وبكيل فاستدعوا، فأقبلت حشودهم فبعثهم إلى "وادي مور" تحت قيادة قائدين من رجال المخلاف الأول منصور بن حمود أبو مسمار والثاني أحمد بن عبد الله بكري المرواني .[١]

١٣٣٨هـ - الأخوان يغزون بلدة بدر بـ (نجران) .

أثناء حملة عبد العزيز بن مساعد على عسير عام ١٣٣٨هـ توجهت سرية قاصدة نجران بقيادة أبن عبود القحطاني وتمكنت من الاستيلاء على بلدة بدر بعد سقوط أبها، عنّ لبعض متعصبة الأخوان ـ من الذين قالوا عن أنفسهم: أنه لم يكتب لهم شرف الاستشهاد في معركة حجلاء. بأن يهاجموا نجران طمعاً في الاستشهاد دونما ـ فيما يبدو (والله أعلم) علم قائدهم الأمير عبد العزيز بن مساعد أو سابق أذن من الإمام عبد العزيز في الرياض. [٢]

١٣٣٨هـ - غزو الأخوان لـ (بلدة حبونا) .

كما أحدثت غزوات الأخوان الذين وصلت زحوفهم إلى حبونا بقيادة أبن عمر ـ والحقته ببلاد جلالة الملك وأخذت على أهلها العهد والميثاق احدث صدى كبيراً في صنعاء عاصمة الإمام يحيى، ليس حرصاً على نجران وأهلها من الإمام، لأن هذا طبيعي، ولكنه كان يخشى أن يمتد تأثيرهم إلى صعده، المركز الروحي للزيديه، فأرسل من قبله رجالاً إلى نواحي صعده لتطمين أهلها كما كتب إلى زعماء يام يدعوهم إلى عقد تحالف معه حيث كان الزعماء اليامين قد كتبوا إلى الإمام بكتاب لم يشر إلى مضمونه في رسالته، بيد أنه أشار إلى أنه قد بلغ إليه بعض ما في بلادهم من تحركات ـ (حاشية: رسالة الإمام يحيى المتوكل حميد الدين إلى جابر بن حسين بن مانع وسلطان بن حسن بن منيف بتاريخ ١٣٣٨هـ)[٣]

١٣٣٨هـ - الإخوان يغزون وادي نجران.

---

(١) المخلاف السليماني ج٢ ص ٧٣٠.
(٢) عسير في عهد الملك عبد العزيز ص ١٧٦
(٣) المصدر السابق

ولما لم يجد الأخوان مقاومة جادة في بدر بقيادة ابن عبود ثم في حبونا بقيادة ابن عمر [1] منتهم أنفسهم بغزو نجران وجهزوا جيشا كبيرا بقيادة عبد الرحمن وحمود آل قرملة ولما مر الجيش ببعض قبائل نجران نصحوا قادة الجيش بعدم غزو نجران ولكن تم تجاهل ذلك ولم يلتفت إليه ولما رأوا بعض قبائل يام ذلك الجيش وكثرته هالهم وأفزعهم فما كان من إبراهيم آل عامر السلومي إلا إرسال ولده برسالة سرية إلى قبائل يام أهل نجران تتضمن تحذيرهم من المواجهة وإذا ولا بد من ذلك فيجب أن يتحصنوا بالقصور والحصون لعدم التكافؤ في العدة والعتاد فسلاح أهل نجران من السلاح القديم (الهطف) وسلاح الجيش الغازي حديث جدا في ذلك الوقت أو كما يسمونه (البشلي) وقد أخذ هذا التحذير في الاعتبار ثم رأى أهل نجران أن يستعينوا بقبيلة وائلة وذهب رجلان أحدهما علي بن محمد بن نصيب والثاني أحسن بن سلطان بن منيف و قابلوا وائلة في محل يقال له ضدح واتفقوا على أن يأتي من وائلة قدر أربعمائة مقاتل بقيادة علي بن حمد بن سردان من آل أبو جبارة وفيصل بن دارس وهادي بن مهدي بن هديش وقصدوا آل منصور في رجلا وانضموا إليهم ثم رأوا أهل نجران أن ينقسموا ثلاثة أقسام قسم في حصن أبن منجم وقسم في حصن آل زبيد ويقال له (عالي) وقسم في دروب (حصون) آل عيفان وآل غرابان مع تحصين مناطق العمائر والحريزي عند آل منصور على أن لا يكون الخروج قبل زوال الشمس إذا حدث فترة في العدو أما الجيش الغازي فصار يمشي الهوينا حتى بلغ بئر ماء يقال له الخضراء وواجه على الماء بعض اليامية وتبادلوا اطلاق النار وقتل من الجيش الغازي عدة قتلى وقتل شناف [2] وتسعة من المحامض [3] وبعض آل صليع [4]، فلما وصل الجيش الغازي مدينة نجران أرسل ابن قرملة رسالة مع أحد اليامية الذين خرجوا معهم مكرهين إلى كبار يام يطلبهم أن يدخلوا في الطاعة ويعطوا الزكاة وكان ردهم سريعا أن لا طاعة ولا زكاة لغازي وأنهم على استعداد للمواجهة والدفاع عن الأرض والعرض ولسان حالهم يقول كما قال الشاعر:

فإمـــا حيـــاة تســـر الصـــديق   وإمـــا ممـــات يغـــيظ العـــدا

فبدأ العدو الهجوم في الصباح وقصدوا حصن ابن منجم وقسم منهم قصد الجهة اليمانية ثم استولى على جبل العان المشرف على رجلا وظل على تلك الحال يتقدم بسرية تلو السرية وجعل همته حصن ابن منجم لوجود علية القوم فيه وكل ما قربوا من الحصن كان التأثير فيهم اكثر فلا زالوا على تلك الحال من كر وفر وقيل أن بيرم قد استطاع هو وجنده الاستيلاء على حصن عالي وانسل من كان به من المدافعين إلى حصن مجاور وقد فقدوا أثناء الاستيلاء على الحصن أربعة من رفاقهم وهم عبد الله بن علي ضرفان من الصقور واخوته الثلاثة ثم إن رجلين من المدافعين قد عزما على العودة إلى الحصن وتفجيره ومن بداخله (وهما مهدي بن دبيع وإبن عوجاء) فعادا كل منهما يحمل كيس من البارود فصالوهم بوابل من الرصاص وقد أصاب منهما إصابات غير قاتلة وعزما على مواصلة الزحف إلى الحصن ثم القيا بنفسيهما في موضع كان فيه فتحة واشعلا النار فانفجر البارود ودمر الحصن ومن فيه وقد قيل إن الحصن كان يضم مائة وخمسين من الغزاة وكان قائدهم بيرم القحطاني أول الهالكين [5] كما قتل من قادتهم الكبار العماج وحمود ومسمار وبيرم،، وقد تقدم قتال العدو من الصباح إلى زوال الشمس

---

(١) المصدر السابق
(٢) شناف بن حسن بن علي آل مطارد.
(٣) المحامض من هبره.
(٤) آل صليع من آل سلوم.
(٥) وقيل إن جماعة من أهل نجران قاموا بتحرير حصن عالي وإذا نظرنا إلى الفارق في العدد والعتاد وقلة الضحايا من أهل نجران نخرج بترجيح الرواية الأولى.

ولابد انه أصابهم بعض الفتور فلما زالت الشمس خرج قدر ستين رجل من حصون رجلا وازالوا من كان بجبل العان من الغزات وخرج من في حصن ابن منجم و باقي الحصون وصار يظهر للعدو مخائل كأن فرسان تطاردهم ففروا لا يلوون على شيء وطاردوهم حتى خرجوا من حدود نجران وقد أم أهل نجران مخيم العدو وغنموا ما فيه وقد كان فيه الشيء الكثير وترك العدو وراءه مئات القتلى وأهل نجران فقدوا بعض القتلى والجرحى ففي حصن ابن منجم قتل كل من:

حسين بن جابر بن نصيب
وابن قعوان الاسلومي
وابن السكران من آل حطاب
وحمد بن صالح من آل منجم
وسعد بن حميدان من آل جعفر
وحسن بن براك من آل دويس
وجرح حسين بن محمد بن مشعل من آل قريشة

وفي حصن عالي قتل كلا من:

عبد الله بن علي ظرفان من الصقور –وإخوانه الثلاثة
ومهدي بن دبيع من آل زمانان
وإبن عوجاء من بن هميم الاسلوم
وجرح طالب بن ناجع من آل زاهره آل شرمة

وفي الخضراء قتل شناف(١) بن حسن آل مطارد والمحامض التسعة وبعض آل صليع

ولم يبلغنا إن أحد قتل أو جرح من أهل حصون رجلا من أهل نجران ولا من وائلة وبعد الانتصار تواعدوا بعد ثلاثة أيام في أبا السعود للاحتفال بالنصر وحضر الدعاة علي محسن شبام وحسين احمد المكرمي وكل من رؤساء رجال يام وأولاد عبد الله وكبرائهم ومن حضر من وائلة غير أهل نجران وعامتهم وكان يوما عظيما وقد زال ما علق بالنفوس من اثر يومي بدر وحبونا .

وقد قال الشيخ حسن بن علي آل مطارد أبيات تحكي المعركة(٢):

يـــا راكــب حـــر ويعديـــه بيمينـــه	**يهـــذل هـــذيل الفهـــد للصـــيد يبـــراه**
ممســـاك ضـــيدان يـــا ذيـــب الســـراحين	**كـــم دولـــة نزلـــه مـــن راس مبنـــاه**
تنصـــا المرظـــف يرحـــب بالطراشـــين	**ثـــم قلـــه النصـــر مـــن ربـــي عطانـــاه**
ثـــم ابـــن دبـــلان علـــم الجيّـــد يبـــين	**كمـــا يبـــين القمـــر فـــي ليـــل غـــدراه**

(١) شناف: هو شناف بن حسن بن علي بن عبدالرحمن ال مطارد
(٢) وقال ايضا حسن بن علي آل مطارد في الاحتفال بالنصر (زامل):
ما خلف الميعاد ثم سند الوادي المسير = يوم نضجت ضيفته عندنا ثم جالها
كم عبينا لهم من الذايب هو وذخير = والمشمع نايشات الامير افعالها

أبشر بزين العشاء يا ناصي حسين ... بصحون من بر ودلال مثناه

فيا ويش باقول فيكم يا سلاطين ... حماسة البن على ضو مصلاه

ومجهار لا تحسب أنحن عنك ناسين ... يا شيخ من قديم العز مبناه

هل سربة في اللقاء للحرب ضارين ... مثل الوحش لي ورد من راس مضماه

جعل ابن وقته عليكم يقضي الدين ... لا هو بشيخ ولا جده ولاباه

إلى أن يقول:

من بيشه العيش جانا صاحب العين ... يبغي جهاد سيدي علي جعل يفداه

سلوا علينا بشلي يمزق الطين ... وحن بهطف صليب العظم تشظاه

ومن كان عاده من الحكام بيبين ... نسقيه كاس الردا والخيل تاطاه

بمشع ياخذ على دربه اثنين ... وبحدب المواضي مع شلف مضراه

فيا الله على الحاكم العنتوت بتعين ... معانه الحق على من شره أغواه

كم حاقد دس حقده داخل الدين ... غزى علينا فعجّلنا معانة

غزوا علينا وحن عنهم مصدين ... وكم غازي صار وادي العرض مثواه

شناف خذنا قضاك اليوم تسعين ... تسعين شيخ دعسنا خيط علباه

وإلى ان يختم قصيدته بهذا القول:

ابن قرمله بعد حكمه راح مسكين ... ويا شين شوره على قومه وملفاه

قد صال ابن قرمله بألف مع ألفين ... والفين عُقَال في شوره وملواه

بنى خيامه وقال اليوم وثلين ... طوى خيامه عجل وعاف ممساه

وصلاة ربي على خير النبيين ... وآله ومنهو على دينه تولاه

وهذه أبيات من قصيدة القحطاني يرثي بها بيرم أحد قادة الاخوان الذين غزوا نجران وكان من جملة القتلى في حصن عالي :

قال المغني بدا في راس مابناني ... عنش طويل ولا الرديان يرقونه

وأخيل من مرقبي الي نقع نجراني ... وأخيل طرش الجحادر والذي دونه

يبغون نجران ببيرقهم يحلونه ... تقللوا بالمحامل جمع الأخواني

كبيرهم بيرم ياشوم الأقراني ... كأنه دفيع العشاير يوم يلقونه

فياليت بيرم مع هل هجرة عماني ... نرجيه يلفي وعلمه يردونه

تكفـــــون بيـــــرم عثـــر فـــي دقـــل قيمـــاني	وجمــــع ال زريبـــــه تســــوم العمــــر دونــــه
تكفـــــــون يـــــــالابتي جمــــــع قحطـــــــاني	كبيـــر الحرايـــــب بنـــــي مضـــــعن يســــبونه
نجــــران فــــي حامتـــــه صــــبيان همــــداني	تشـــرب ســـموم الـــبلا والمـــوت يشـــرونه
مــــن ضـــربهم قـــد تفانـــا كـــل فيـــداني؟	شـــبعت ســـباع الخـــلا والـــذيب يدعونـــه[1]

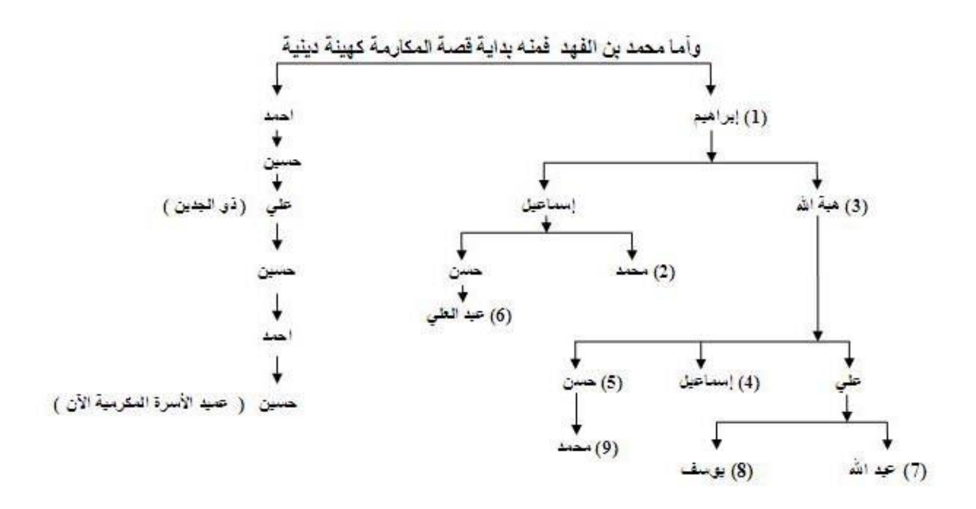
١٣٤٠هـ - سيف الإسلام عبد الله يحتل نجران.

ونرى أن الإمام يحيى حميد الدين يرسل أبنه سيف الإسلام عبد الله، فيحتل نجران سنة ١٣٤٠هـ أو بعدها بقليل ثم بنى قلعة رعوم في نجران غير أن أهل نجران لم يرضوا بحكم الإمام الزيدي وظل الوضع غير مستقر. [2]

١٣٥٢هـ - احتلال الجيش اليمني لـ (نجران) .

في الحقيقة أن في ذلك الوقت (أي شهر محرم) كان ابتداء تقدم الجيش الإمامي إلى بـلاد يام (نجران)، وبعد ذلك تمكن من التوغل في بعض جهاته وأستعمل الشدة وهدم بيوت بلدة بدر[3] ، ونبش قبور المكارمة [4]
ولد للفهد ألمكرمي من (الحرة الوادعية الهمدانية) خمسة أولاد وهم علي وصلاح وفاطمة وجابر ومحمد الجواد فأما علي فكان عفيفا ودينا وتوفي ولم يخلف إلا بنتين وأما صلاح بن الفهد فكان حسين النضد ذا فطنة وعبادة وعلم وعفة وزهادة وهو الذي ضم إليه الداعي يوسف بن سليمان المولى الأجل علي بن حرمل اليامي فعلمه القران وكتب الفقه والشريعة ....أما جابر بن الفهد فكان علما منيعا . [5]

(١) بذلنا المجهود في البحث عن قائل هذه الابيات فلم نصل مع الاسف الى نتيجه مرضيه.
(٢) بين مكة وحضرموت ص٣٣٩
(٣) لا بد أن تكون (بدر) في أيام أوجها في عصر المكارمة مركزا ذا أهمية عالية وعظيمة حكما بما يشهد على ما تبقى من قصورها ومبانيها والفلل ذات الحدائق وما شابه ذلك . بقي اليوم هيكلها مشققا ومدمرا وقد ذهبت عنها الحياة وقد حافظت التربة على طهارتها إن لم تهمل مستقبلا . وقد قيل إن الكثير من الضرر المتعمد قد وقع على المباني والممتلكات الخاصة بقيادة المكارمة أثناء الاحتلال اليمني لهذه المقاطعة (١٩٣٣- ١٩٣٤ م) بينما لم يتضايق الأتراك أثناء احتلالهم الطويل المدى لليمن من عام ١٨٧٢ إلى ١٩١٨ م من بدر ونجران وتركوا المكارمة فيها لقيادتهم المؤقتة التي صاحبت مكانتهم الدينية بين قبائل يام ص ٦٧٩ إلى ص ٦٨٠ - المجلد الثاني من المرتفعات العربية . جون فلبي
(٤) المخلاف السليماني ج٢ ص١١١٣
(٥) (جلاء الأفكار) محمد عبد الله سليمان المكرمي.



في عام ١٣٥٢هـ هدأت الأمور بعد القضاء على فتنة الادارسة في مناطق عسير بتاريخ جمادي الأولى ١٣٥٢هـ قدم تركي السديري أميرا على أبها بدلاً عن الأمير السابق عبد العزيز العسكر، وكان قدومه في وقت كانت المخابرات فيه متداولة بين الحكومة السعودية وإمام اليمن، وذلك لوقوع اعتداءات على الحدود وتقدم بعض العساكر اليمانية إلى أعلى وادي نجران. (١)

.....فتح الإمام يحيى جبهة جديدة للخلاف بينه وبين الملك عبد العزيز، وذلك حين أصدر الأوامر إلى ولي عهده الأمير أحمد بمهاجمة نجران بحجة أن أهل نجران اعتدوا على بعض القبائل اليمنية القريبة منهم. (٢)

ثم أعد سيف الإسلام ولي العهد الجيوش الجرارة وأمر بالزحف على وادي نجران وفي المحرم سنة ١٣٥٢هـ تقدم الجيش المتوكلي على نجران ودخلها عنوة وفرت قبائل يام منها لا تلوي على شيء واستولى الجيش اليمني على جبل رعوم المشرف على رأس نجران وزور وادعة والموفجة وغيرها، وغنم الجيش كثير من أموال المكارمة وتقدم سيف الإسلام الحسن إلى كتاف وتابع المدد إلى بلاد يام وأخذ الجيش الإمامي الحضن وخشيوة وفيها قلعة داعي المكارمة وهي قلعة عظيمة استولت على دور وبساتين وفيها أنواع الثمار ويحيط بها سور عظيم يضم عدد من الأبراج والمحارس القوية المنظمة، وفي يوم العاشر من شهر صفر أنتقل سيف الإسلام ولي العهد من الحرف إلى مدينة صعده في طائفة من الجيش النظامي وذلك لكي يكون قريباً من ميدان القتال. (٣)

تعليقاً على ما سبق:

لم يذكر أي من المصادر السابقة شيْ عن صمود أهل نجران أمام جيش الإمام يحيى المعلوم انه (أي الجيش الامامي) بقى محصوراً في منطقة لاتزيد مساحتها.. عن خمسة كيلومترات مربعة لأكثر من عشرين يوماً ولم يستطع الخروج من تلك المنطقة ولم يحتل جبل رعوم ولا الحضن

---

(١) السراج المنير في سيرة أمراء عسير ص١٤٣
(٢) عسير في عهد عبد العزيز ص١٨٠
(٣) المقتطف من تاريخ اليمن ص٣١٤.

إلا بعد أن نفذ ما لدى أهل نجران من العتاد الحربي القليل وعدم حصولهم على المساعدة من أي طرف ومع ذلك اضطر الجيش الأمامي إلى فتح جبهة من الجنوب ومن الشرق ـ فلم يشعر أهل نجران الموجودون في قلعة رعوم وفي الحضن إلا بالحرائق من ورائهم فقد اشعلوا في البيوت وفي النخيل في اسفل الوادي ووسطة وشردوا النساء والأطفال فاصبح أهل نجران المدافعون في موقف حرج واضطروا للنزول من جبل رعوم وترك الحضن ولحقوا بأهاليهم خارجين من نجران تاركينه للمحتل.

وقد روى لنا من عايش الاحداث:

علم أهل نجران بزحف الجيش اليماني إليهم فجمعوا جيشين من أهل نجران(مكون من يام وأولاد عبد الله) - وغيرهم وتمركزوا في موضعين موضع يسمى مخيم ابن ثامر على طريق تسلك من الفرع إلى نجران وقد يمر منها الجيش اليماني وموضع يسمى مخيم الحضن قرب رعوم وعلى مفترق طرق قد يسلك بها الجيش اليماني فلما استقروا بالمخيمات ووصل الجيش اليماني إلى الفرع. [1] فلما داهمهم الجيش اليماني استنصروا بأهل نجران فنفر منهم طليعة واستولوا على جبل زبيد [2] ثم إن الجيش اليماني هجم عليهم وحاصرهم من جميع الجهات وبلغ بعضهم العابرة (موضع بين نجران والفرع) فصاح في الناس على بن الخلاء: فهجموا الجميع على جبل زبيد ووصل حسن بن زيد وجابر بن حسين بن نصيب وآل ياسين وأبن بشر وغيرهم حيث كانوا في مخيم الحضن قرب جبل رعوم هم وأهل غرب الوادي فتلاحق الجميع في جبل زبيد واجبروا الجيش اليماني على النزول من الجبل حتى اوصلوهم وادي الفرع وقد قتل من أهل نجران محمد بن هادي آل جطلان و جرح حسن بن عامر بن ويوا وهما من آل أبا الحارث وقتل من الجيش اليماني خلق كثير ورجع أهل نجران إلى المخيمات، ثم دخل الجيش اليماني إلى نجران من طريق مدر [3] في زور وادعة ولقيهم أهل نجران وصارت بينهم وقعة قتل فيها من أهل نجران هادي بن حسين بن عطوة وحسين بن حسن (بصيص) من آل قحيفة وترتب المدافعون في جبل رعوم وطالت الحرب بين الطرفين وفي أحد الأيام عند العصر هجم أهل نجران على الجيش اليماني في جبل أبو همدان وصارت معركة قتل فيها شليل بن محمد آل جثلة ومحمد بن حمد بن سدران وحسن بن وشته من آل هتيلة ثم هجموا ليلا والجيش اليماني في قرى غرب جبل رعوم وقتل في تلك المعركة مانع بن حسن بن عبد الرحمن من آل جابر وابن مبخوت من آل شرية وعجيم (محمد بن علي بن جوبان) من آل دغرير و جرح علي بن عامر من آل سالم وقتل بن التام من آل خمسان وجرح رجل من أهل الحضن ثم بدأت المناوشات وقتل من أهل نجران محمد بن خريقان وعلي بن زهره بن عبد الرحمن من آل جابر ثم إن دحيان بن وبران وبن شغاث وحمد بن مانع بن كرحان(دوف) قتلوا صاحب مدفع الجيش اليماني وقتل من اهل نجران ابن قطيشان من آل ضويعن ثم هجموا أهل رعوم على الجيش اليماني وقتلوا أبو غانم وهو احد قادة جيش اليمن ثم نزل في ذلك اليوم مع عرق آل خريم (جبل يشرف على شعب رير) فرقة من الجيش اليماني وأستحلوا الجربة واحرقوا درب في بئر آل زيد ودرب في بئر المطر وكان فيمن لقيهم أحسن بن سلطان بن منيف وكديسي بن سلطان بن منيف وعبد الكريم بن ناصر وعبد الله بن زمال ومحمد بن الدعجاء وأناس من أهل مخيم بن ثامر ثم استحلوا درب آل قبعان من آل حوكاش وقتل علي بن سديري آل سميطان وجرح علي بن زابن من المحامض وجرح علي بن خيري من وائله وقتل محمد بن هيله من آل صعب وفي هذا الحال اضطر أهل جبل رعوم من أهل نجران إلى النزول منه فاستحله العدو ثم صار هجوم الجيش اليماني على

(١) هو بين نجران وبين اليمن وأهل الفرع تربطهم باهل نجران علاقات قبلية ومذهبية وصلات وثيقة
(٢) جبل من جبال الفرع.
(٣) طريق جبلي في أعلى نجران.

خشيوة[١] وفيها بني سلمان واستحلوا وطن بني سلمان و قتل حمد بن حسين بن معشي وهجموا على دحضة واستحلوها وقتلوا حسين بن شطرين من الصقور و مهدي بن صميع من آل منجم ثم خيموا أهل نجران في رجلا وصاغر وباقي الأوطان استحلها الجيش اليماني وضربوا بالمدفع من وطن الربعة فوقع في درب آل عامر (سمهر) فخرق البيت ثم استحل الجيش اليماني نجران كله وظهر أهل نجران في جدي والرغام (وهما موضعين يبعدان عن نجران بضعة كيلو مترات إلى جهة الشمال).

ومن هنا يتبين لنان السبب الحقيقي في تقهقر أهل نجران ما يلي:

١ـ نفاذ العتاد الحربي القليل لديهم.
٢ـ مواجهة جيش نظامي تقف خلفه دوله لها اهداف سياسية.
٣ـ عدم اعتماد اهل نجران على دوله مجاوره تناصرهم.
وقد ورد في مذكرات الامير تركي بن ماضي نص برقية تؤكد هذا القول (يقول النص: الحقيقة اننا الجناة على انفسنا اهملنا اهل نجران ثم ثبطناهم عن العمل ومنعنا المساعدة لهم [٢] .

١٣٥٣هـ - دخول نجران تحت لواء الحكم السعودي .

وقد بدأت قصة دخول نجران تحت لواء الحكم السعودي من قبل عام ١٣٥٣هـ تقريبا، عندما زالت سيطرة الحكم العثماني عن المنطقة العربية مباشرة، وتشابكت مصالح الملك عبد العزيز بن سعود والإمام يحيى إمام اليمن، فقد امتد حكم ابن سعود بعد ان جاهد جهاد الابطال من اجل دينه وعروبته، حتى وصل ملكه في الجنوب إلى عسير السراة وعسير وتهامة، وبذلك بدأ يتصل بنجران المتاخمة لليمن من الشمال، وتطورت خلافات الملكين في خلال عشر سنوات مضت بعد اتصال - حدودهما، مما جعل الجمر يزداد اتقادا في كل يوم، حتى صارت الغيوم تنبئ عن برق يشعل الهشيم في أي وقت، وجاءت شرارة البرق ملتهبة عندما عقدت. معاهدة تنص على حماية ابن سعود للإمارة الإدريسية في تهامة على الساحل الجنوبي للبحر الأحمر، ولم يعجب ذلك إمام اليمن، فتقدم بجيوشه بعد خمس سنوات، واحتل بعض البلاد من المقاطعة الإدريسية المحمية بابن سعود، مما جعل الجو العام. لمنطقة الجنوب يتلبد بغيوم أكثر، وكانت مسألة نجران تتحرك هي الأخرى مع هذا الجو القاتم الكئيب، وكان وضع نجران محايدا، يدعي كل من الملكين تبعيتها له دون أن يكون محتلا لها بالفعل .

ويقول في ذلك الأستاذ فؤاد حمزة- وذلك في كتابه بلاد عسير- " لقد أبرق الإمام يحيى للملك ابن سعود مستريبا من اتصال أهل نجران كل من اليامين بأمرائه في عسير، فأراد ابن سعود أن يبعد الريبة بشكل مقبول، فأبرق إليه برقية تأولها الإمام يحيى لمصلحته، وكأنه قرأ فيها تنصل ابن سعود من نجران واليامية، فأمر جنده بالتقدم لاحتلالها بينما كان وفد ابن سعود يدخل حدود اليمن جهة تهامة، للمفاوضة في مشروع حلف عربي عظيم."

ويستطرد قائلا: " فشل الوفد في مهمته وتم احتلال نجران، فلجأ أهلها إلى ابن سعود يطالبونه بحمايتهم وفاء بعهده الذي قطعه لهم من سنين ودارت المخابرة بين الملكين بالبرقيات وطال الأخذ والرد وحصل تحرش آخر آلم ابن سعود وأثار حفيظته، ألا وهو احتلال قسم من جباله

(١) المركز الديني في نجران.
(٢) مذكرات تركي الماضي عن العلاقات السعودية اليمنية ص ٢١٠.

في تهامة و القبض على رهائن من قبائله على الحدود، فظهر أن الأمر أكبر من أن يحل بالمخابرات البرقية."
إلى هنا وينتهي حديث الأستاذ فؤاد حمزة عن هذا الموضوع في كتابه، ولكنني وصلت إلى ما يكمل هذا الحديث من خلال حديثي مع الشيوخ المعاصرين لأحداثه واللذين لا زالوا على قيد الحياة.
ففي ذلك الوقت أصبح لا مفر من استخدام القوة، بعد أن عجزت وسيلة البرقيات والوفود والمؤتمرات من حل هذا الموضوع، فأرسل جلالة الملك عبد العزيز جيوشه بقيادة الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى بلاد تهامة فأخذ تهامة وجيزان ودخل إلى اليمن حتى الحديدة، وبعث بأخرى إلى بلاد نجران، فقابلهم أهلها المتجمعون في القفار البعيدة عن نجران هروبا من بطش جيوش الإمام، ولم يتوقف القتال حتى طلب الإمام من الملك عبد العزيز الصلح فتوقف عند نجران [١] .

قسم الأمير سعود بن عبد العزيز القائد العام للجبهة الشرقية جيشه إلى أربعة أقسام. ..وقد لقيت الأقسام الثلاثة الأولى صعوبات كبيرة في زحفها لوعورة المناطق التي كان عليها أن تمر بها، واحتماء القوات اليمنية بمرتفعاتها وحصونها المنيعة، لكنها رغم كل ذلك حققت الكثير من أهدافها. بل إن أحد المؤرخين اليمنيين قال: أن حركة المقاومة المتوكلية (اليمنية) شلت تماما في تلك المنطقة. أما القسم الرابع من الجيش السعودي على هذه الجبهة بقيادة مذكر القحطاني

وأبن سعيد فانتزع بعض جهات نجران، بمعونة أهلها، من القوات اليمنية الموجودة فيه [٢] .

الصلح بين الطرفين ومعاهدة الطائف :

آلمت الحرب الدائرة بين البلدين الشقيقين كثيرا من المخلصين، فسعى عدد منهم للصلح بينهما. وقدم وفد إلى الحجاز في الرابع من المحرم لذلك الغرض .ويتكون من أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين، والأمير شكيب أرسلان رئيس الوفد السوري في أوروبا، وهاشم الأتاسي رئيس الوزراء السابق في سوريا، ومحمد علي علوية وزير الأوقاف السابق في مصر، وعلي رشدي سكرتيرا للوفد. فقابلوا الملك عبد العزيز، الذي كان لا يزال متصلا بالإمام يحيى برقيا، وعرضوا عليه الصلح .فقبل ذلك على أن تنسحب قوات الإمام من نجران والمناطق الجبلية التي احتلتها كجبل فيفاء وبني مالك والعبادل، ويسلم إليه الأدارسة وقبل الإمام بذلك فأمرت القوات بوقف القتال في جميع الميادين وذلك في التاسع والعشرين من المحرم ١٣/ ٥ /١٩٣٤ م [٣] .

يؤكد الملك عبدالعزيز بأن علاقات آبائه وأجداده بأهل نجران كانت علاقات قديمة يسودها الود والإحترام وقد أشار إلى ذلك في برقيته إلى وفده بأبها
يقول عبدالعزيز في برقيته الصادره من مكة المكرمة
بتاريخ ١٧ ذو القعدة عام ١٣٥٢هـ
وفدنا في أبها
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أشرفنا على برقية الإمام يحيى لرئيس وفده التي يزعم فيها أن مسألة نجران خلصت بيننا وبينه وقد سمعنا في بعض برقياته بعض الألفاظ التي يشير فيها لذلك وقد تركنا الجدال معه منعا للنزاع ورجاء أنه باجتماع الوفد يحل كل مشكل، وبناء على ما أخبرتمونا به من كلام وفده في جلساتكم السابقة وبناء على ما رأيناه في برقية الإمام يحيى

(١) نجران الأرض والناس والتاريخ ص١١-١٢.
(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية الجزء الثاني – للدكتور عبد الله صالح العثيمين ص ٢٨١-٢٨٢.
(٣) تاريخ المملكة العربية السعودية الجزء الثاني – للدكتور عبد الله صالح العثيمين ص ٢٨٦.

الأخيرة لوفده ظهر لنا أن الأمر على غير ما نظن. لذلك أحببت أن اوضح لكم ما عندي بصراحه. أما دعوى أن بيني وبين الأمام يحيى كلاما يبيح له التعدي على نجران فحاشا وكلا. وليس هنا غير البرقيتين اللتين تعلمونهما وعندكم نصهما، ومضمون الأولى أنها جواب على برقية وردتنا من يحيى حينما قدم وفد نجران على ابن مساعد وابن عسكر في أبها، فسأل سؤلا أجمل ما فيه بذكر يام ولم يخصص فتطمينا لخاطره اجبناه بتلك البرقية ولم يخطر لنا أنه يريد أن يعتدي أي عدوان أو أية حركة على نجران وقد أفدناه أننا لا نحب المداخلة في يام سوى نجران ومداخلتنا في نجران لا للتولي عليها وإنما هي أمور قديمة من آبائنا واجدادنا كانوا عليها وألا تكون منهم حركة تحدث على أطراف العربان المجاورين لهم، ولا يكون عليهم حركة تضرهم هذا معنى البرقية ونصها عندكم.

وقد وردتنا برقية أخرى تستزيدنا إيضاحا في المسألة فأجبناه ليكون مطمئن الخاطر، وأن العمل بيننا وبينه في مسألة نجران هو على ما كان بين مندوبيه ومندوبينا السابقين ابن دليم وابن ماضي في عام ١٣٤٦هـ ونص تلك البرقية عندكم ومعنى ذلك أن مندوبينا حين بينا الحدود ذكرا أن من وائلة جنوب ليحيى ومنها شمالا لنا والدليل الأعظم على تابعية نجران لنا في السابق واللاحق والكتب الموجودة بينهم وبين آبائنا وأجدادنا وسيرتهم وسيرتنا معهم وكذلك لما جرى منهم بعض العدوان هاجمهم الإخوان في بدر فلم يعترض الإمام يحيى على ذلك، وجرى بعض الإعتداء من آل سلوم فهاجم ابن لؤي جماعته وأدبه على ما كان منه ولم يعترض الإمام يحيى على ذلك أيضا ومن زمن الدرعية إلى الآن [لم] يجري من أهل نجران [حوادث] و [جرى] عليهم حوادث من [أهل نجد] ولم يعترض أحد لا من الترك من قبل ولا من الإمام يحيى من بعد. ......

ثم جرى بين الملك عبدالعزيز والامام يحيى عدة برقيات واتصالات وكان ثمرت تلك الاتصالات كما أشار اتفاقيه الطائف وكما أشار إلى ذلك الامير خالد بن عبدالعزيز ظمن برقيته الى عبدالله بن الوزير رئيس الوفد اليمني (١)

والبرقيه هي :
بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن عبدالعزيز إلى حضرة المكرم السيد عبدالله الوزير حفظه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فبمناسبة توقيع معاهدة الطائف بين مملكتنا ومملكة اليمن أثبت هنا ما اتفقنا عليه بشأن تنقلات المتنقلين من رعايا المملكة العربية السعودية ورعايا المملكة اليمانية في البلدين – أن التنقل في الوقت الحاضر يظل على ما كان عليه في السابق إلى أن يوضع بين البلدين اتفاق خاص بشأن الطريقة التي ترى الحكومتان متفقا اتخاذها من أجل تنظيم الانتقال سواء الحج أو التجارة أو غيرهما من الأغراض والمنافع فأرجو أن أنال جوابكم بالموافقة على ما اتفقنا عليه بهذا الشأن.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام. .
٦ صفر ١٣٥٣هـ التوقيع – خالد بن عبدالعزيز ال سعود (٢)

---

(١) مذكرات تركي الماضي ص ٢٠٧- ٢٠٨.
(٢) مذكرات تركي الماضي ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

ورد عبدالله بن الوزير بالبرقية التاليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله الوزير إلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبدالعزيز حفظه الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فقد تلقيت كتاب سموكم المؤرخ في ١٣٥٣/٢/٦هـ بشأن تنقلات رعايا الفريقين بين البلدين وإنني على اتفاق مع سموكم في أن يكون الانتقال في الوقت الحاضر طبقا للطريقة التي كان عليها من قبل إلى أن يوضع اتفاق خاص بشأن تنظيم الانتقال في المستقبل وأن ذلك سيكون مرعيا من جانب حكومتنا كما هو مرعي من جانب حكومتكم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

١٣٥٣/٢/٦هـ التوقيع: عبدالله بن أحمد الوزير

ويقول تركي الماضي:

وبهذه المعاهدة انتهى هذا الصراع السياسي ثم الحرب التي بدأت في عام ١٣٤٣هـ وانتهت في عام ١٣٥٣ هـ، ووضحت الحدود واقتلعت الجرثومة التي هي أسباب الخلاف بين اليمن ونجد وهذه الجرثومة هي الادارسة.

وبعد إبرام المعاهدة وسفر عبدالله الوزير ورفاقه إلى الحديدة بدأت الجيوش السعودية بالانسحاب ووصل الإدريسي وأبناء اخيه وأتباعه إلى الطائف وتم انسحاب الجيوش اليمنيه من نجران واستولى عليها سمو ولي العهد الأمير سعود وعمل فيها ما يلزم من الترتيبات، وعين عساف الحسين أميرا لنجران وتوابعه من البادية والحاضرة. ..من يام.

ومن يقرأ هذا التاريخ يقف على نوايا جلالة الملك عبدالعزيز وأنه قد تنازل مع الإمام يحيى إلى أبعد حد وسمح بأن تكون نجران محايدة بين الحكومتين فلم يوافق الإمام يحيى على ذلك وأخيرا استولى الملك على نجران بدون قيد ولا شرط.

تم كتاب التاريخ بفضل الله اولا وآخرا ثم بفضل جهود الآخوان المتعاونيين معنا نسأل العلي القدير ان نكون قد وفقنا في تقديم ما يفيد القراء والكتاب الذين سوف يواصلون المسيرة ونتمنى التوفيق لكل من اراد ان يبدأ من حيث انتهينا.

ملاحق التاريخ

- نفي تـهمة الأسترزاق عن يام
- اسلوب العقيلي في الكتابـــة

ملاحق التاريخ

نفي تهمة الاسترزاق عن قبيلة يام:

المتطلع لكتب التاريخ الحديثة يجد هذه التهمة تتصدر الصفحات فهل لها نصيب من الصحة؟

مُرتَزِق (بضم الميم وفتح التاء وكسر الزاء): جمع مُرتزِقة: من يحارب في جيش على سبيل الارتزاق، وغالبا ما يكون غريباً[1].

ارتــزق: أخــذ رزقــه:حارب فــي جــيش لا يتبــع دولتــه طمعــاً فــي مكافــأة ماديــة.

من خلال تمعننا لتاريخ حروب يام نخلص إلى دراسة مفادها أن هذه الحروب يمكن تصنيفها حسب الأهداف لأربعة أنواع:

أ- صد غزوات.
ب- القيام بغزوات.
ج- المساعدة في فك حصار أو إطلاق سراح أسرى.
د- الاستعانة بيام في حروب الغير.

النــوع الأول (صــد غــزوات) وعــددها ســتة وعشــرون غــزوة وهــي كالتــالي :

في عام٢٩٤ هـ غزوة الهادي بن حسين ليام.
في عام٥٢٥ هـ استعانة يام بالملك حماس.
غزو إمام صنعاء لحصــن أفـئـدة.
في عام ١١٠٠ هـ وقعت النوير ومسلع.
في عام ١١١٠ هـ غزوة عبدالله بن ناصر.
في عام ١١٥٧ هـ قبيلة ذو حسين تفرض الحصار على قلعة صعفان.
في عام١١٦٤ هـ غزوة أبو علامة لصعفان.
في عام ١١٨٩ هـ غزوة أهل نجد بادية نجران.
في عام ١١٩٢ هـ الفتنة التي أثارها أهل أبي عريش ضد يام .
في عام ١٢١٥ هـ غزو الموهبة نجران.
في عام ١٢١٩ هـ مولاة يام في حراز للإمام.
في عام ١٢١٩ هـ مولاة يام في حراز للإمام٢.
في عام ١٢٢٠ هـ غزو النعمان بن الوليد لنجران.
في عام ١٢٢٠ هـ إستعانة يام بأهل صعفان.
في عام١٢٢٢هـ سعود يغزو بدر.
في عام١٢٢٣ هـ غزو أبو نقطة لبدر.
في عام١٢٦٧ هـ الأمير غالب يألب على يام.
في عام١٢٦٧ هـ حميد الدين يغزو حراز.
في عام١٢٧٧ هـ قـمـع بـغـي بـن جـبـر.
في عام١٢٨٠ هـ قـبـيلـة دهـم تـغـزو نـجران.

---

(١) المنجد في اللغة العربية المعاصرة

في عام١٣٨٩ هـ استيلاء الأتراك على حراز .
في عام١٣٣٨ هـ الأخوان يغزون بــــدر.
في عام١٣٣٨ هـ الأخوان يغزون حبـونـه.
في عام١٣٣٨ هـ الأخوان يغـزون نـجران.
في عام ١٣٤٠هـ - سيف الإسلام عبد الله يحتل نجران .
في عام١٣٥٢هـ - احتلال الجيش اليمني لـ (نجران) .

النوع الثاني (القيام بغزوات) وهي حسب المصدر نفسه سبع وعشرون غزوة وهي كالتالي:

في عام ١١٤٢ هـ غزو يام لبيـت الـفقيه.
في عام١١٥٧ هـ غزو يام ديار الإمام
في عام١١٥٩ هـ غزو يـام إلى الـجـــادر
في عام١١٨٤ هـ غزو يام للمخلاف السليماني.
في عام١١٩١هـ غزو يام للمخلاف السليماني .
في عام ١١٩١ هـ خروج يام وقصدها صعده.
في عام ١٢٠٩ هـ خروج يام إلى مور.
في عام ١٢١٠ هـ نزول يام إلى تهامة.
في عام١٢١٠ هـ غزو يام للبلاد التهامية.
في عام١٢١١ هـ غزو يام للبلاد التهامية.
في عام ١٢١١ هـ خروج يام إلى تهامة.
في عام ١٢١٣ هـ دخول يام إلى الدريهم.
في عام ١٢١٤ هـ خروج يام إلى حيس.
في عام ١٢١٥ هـ دخول يام إلى زبيد.
في عام ١٢١٦ هـ خروج يام إلى التهائم.
في عام ١٢٢٣ هـ غزو يام فج حرض.
في عام١٢٣٧ هـ غزو يام لمدينة زبيد.
في عام١٢٣٧ هـ غزو يام لمدينة الحديدة.
في عام١٢٤٠ هـ غزو يام لمدينة صبيا.
في عام١٢٤٤ هـ غزو يام إلى حراز.
في عام ١٢٥٤ هـ محاولة يام غزو الديار التهامية.
في عام١٢٥٥ هـ غزو يام إلى البلاد التهامية..
في عام١٢٧٧ هـ قمع البغي الحاصل من بني جبر .
في عام١٢٧٨ هـ غزو الـمكرمي إلى الـحيمه.
في عام١٢٧٨ هـ الـمكرمي على بن حسن يحتل الحيمه.
في عام١٢٨١هـ غزو ابن حيدر اليامي لبلاد آنس .
في عام١٢٨٤هـ غزو يام المخلاف السليماني .

النوع الثالث (فك حصار أو إطلاق سراح وأخذ بالثأر)حسب المصدر نفسه تسع عشر غزوة وهي كالتالي :

إطلاق سـراح الوجيه عبـد العلي من السجن.
عام ١١٦٣ يام تأخذ بثأر الشريف حـوذان .
إطلاق سـراح السلطان علـي باللحمر.

عام ١١٦٨ يام تـأخـذ ثـأرهـا مـن دهــم .
عام ١١٧٥ يام تحاول أخذ ثأرها من جبل فيفا .
عام ١١٧٨ إطلاق سجناء العجمان.
عام ١١٨٨ رفع الظلم عن مرشد بن علي بن الأحمر.
عام ١١٩٣ خروج يام لأخذ بثأرهم من أهل تهامة.
عام ١٢٠٨ خراب عراس.
عام ١٢٢٠ فك حصار حصن شبام.
عام ١٢٢٢ الأخذ بثأر عبد الله بن حسين نصيب .
عام ١٢٣٨ نصرة يام للعجمان.
عام ١٢٥٥ رفع الظلم عن أهل حراز.
عام ١٢٥٦ يام وهمدان تأخذان بثأرهما من الإمام الناصر.
عام ١٢٦٤ إطلاق سراح الشريف حسين بن علي حيدر.
عام ١٢٧٨ فـك حـصـار الـقـدمة بحــراز.
عام ١٢٧٩هـ إطلاق سراح النقيب عبد الله الهمداني من السجن.
عام ١٢٧٩ فـك حـصـار أهل عـــــراس.
عام ١٣٢٢ محاولة إطلاق سراح الداعي عبد الله بن علي

النوع الرابع والأخير(الاستعانة بيام) حسب المصدر نفسه اثنان وعشرون غزوة وهي كالتالي:

عام ٤٤٢ هـ استعانة الملك الصليحي بيام.
عام ١١٣٩ هـ استـعـانة إمـام صـنـعـاء بـيــام.
عام ١١٥٧ هـ استعانة مـحـمـد بن احمد بيام.
عام ١١٦٢ هـ استعانة الشريف حوذان بيام.
عام ١١٦٩ هـ اسـتـعـانــة محمد بن احـمد بيام.
عام ١١٧٤ هـ استعانت محمد بن احمد بيام .
عام ١١٨٨ هـ استعانة الشريف حيدر بيام.
عام ١١٨٩ هـ استعانة زيد بن زامل بيام.
عام ١١٨٩ هـ استعانة الأمير حيدر الخيراتي بيام.
عام ١١٩٢ هـ استعانة على بن محمد بيام.
عام ١١٩٣هـ استعانة الأمير يحيى بن محمد بيام.
عام ١٢١٥ هـ استعانة الشريف حمود بيام.
عام ١٢٢٠ هـ استعانة عامل الحديدة بيام.
عام ١٢٢٠ هـ استعانة الفقية صالح بن يحي بيام.
عام ١٢٢١ هـ استعانة علي بن العباس بيام .
عام ١٢٢٤هـ استعانة الشريف أحمد بن حمود بيام
عام ١٢٢٤هـ استعانة الشريف حمود بيام.
عام ١٢٦٠ هـ استعانة الأشراف بيام.
عام ١٢٧٢ هـ استعانة الشريف حسين بيام.
عام ١٢٨٣ هـ سـعـود بـن فـيـصل يستعين بيام .
عام ١٣٢٢ هـ الأتراك يـسـتـعـينون بـيام .
عام ١٣٣٦ هـ اسـتـعـانــة الإدريسي بـيام.

وبذلك يكون عدد الغزوات اربعة وتسعون غزوة نسبة كل جزء كالتالي :

الغزوات ٢٨,٧%
صد الغزوات ٢٧,٦%
فك الحصار ٢٠,٢%
الاستعانة ٢٣,٤%
والثلاثة أنواع الأولى لا نحتاجها في دراستنا هذه لكون من يقوم بغزوة أو يصد غزوة أو يفك حصار لا ينطبق عليه صفة الاسترزاق حسب التعريف الذي أوردنا سابقا لذا سوف نركز على الجزء الأخير الاستعانة أي ما نسبته ثلاثة وعشرون في المئة تقريبا من حروب يام خلال الفترة ما بين عامي ٢٩٤هـ و ١٣٥٢هـ، أي في مدة طولها ١٠٥٨ سنة .
وبالتركيز على الجزء الخاص بالاستعانة بيام في غزوات مع الغير نجد أن الغالبية العظمى منها كانت مع الأشراف في البلاد التهامية وبالنظر إلى علاقة يام مع من حولهم من الأشراف في تهامة والإمام الزيدي في صنعاء نجدهم يرتكزون على معاهدات وتبادل مصالح .

ويروي لنا كتاب عسير في عهد عبد العزيز للدكتور محمد بن عبد الله آل زلفة [(١)] شي من تفاصيل هذه العلاقة :

(...و من المعروف أن قبائل يام تربطها علاقات موغلة في القدم مع حكام المخلاف السليماني في منطقة جازان حاليا، وحينما نقلت سلطة هذه البلاد إلى السيد الإدريسي حافظ على علاقاته بقبائل يام مصدر قوة الأقاليم الحربية للحفاظ على سلطة من يتولى الحكم فيه.)

وكذلك محقق كتاب خلاصة العسجد في سيرة الشريف محمد بن أحمد [(٢)] :

"وبتحالف الشريف محمد مع يام منذ ١٧٤٣م اصبح في يده الأداة الضرورية لتحقيق طموحاته.." .

فهي علاقة تحالف وتبادل مصالح ولعلنا عرفنا مصلحة الشريف فما هي مصلحة يام؟ نجد أن هناك مقررات تدفع لهم من قبل الشريف نجد ذلك في كتاب خلاصة العسجد وقد تطرق إليه عندما دب الخلاف بين الطرفين نتج عنه قطع هذه المقررات في فترة من فترات الزمن :

(فأراد بعض الأعيان التوسط بالصلح دراء للفتنة وحقنا للدماء ووصل إلى المكرمي وعرض عليه ذلك فشرط ارتفاع بكيل وتسليم مال جزيل من جملة المقررات التي قطعها عليه الشريف أيام المباينة.)[(٣)] .

ومن جهة أخرى كانت هناك معاهدات مع إمام صنعاء نجدها في نفس المصدر السابق :

(والحال أن يام والمكارمة لم يكن في بالهم إسعاده –أي الشريف- على اخذ صبيا ومخلافها

(١) ص١٧٧ الطبعة الأولى عام ١٤١٥ هـ.
(٢) انظر مقدمة المحقق صفحة ٥٤.
(٣) خلاصة العسجد ص٢٥٩.

لمواثيق قد جرت بينهم وبين الخليفة –أي إمام صنعاء-لا يقضي الشرع ولا العرف بإخلافها).[١]

وهذه المعاهدات كانت بصورة عامة هي التي تحكم علاقات القوى الثلاثية في المنطقة مع بعضهم البعض وعندما يدب خلاف بين طرفين يتدخل الطرف الثالث لحل ذلك الخلاف كما فعل الشريف لحل خلاف يام مع الإمام انظر نفس المصدر :
(احتركت يام مع المكارمة للنزول على بلاد الإمام مرة أخرى فتلقاهم الشريف إلى أطراف بلاده ، وتوسط الحال بينهم وبين الإمام وحسم مادة الخلاف والخصام ، وارجع الإمام لهم بعض الإقطاع مما طابت به نفوسهم وصلحت عليه أمورهم . وأكد الشريف بينه وبينهم المواثيق وانهم أعوان على كل أحد حتى لو ظهر عليه خلاف من الخليفة –أي إمام صنعاء- كانوا أعوانه ، وهو كذلك فالتأم حالهم واتحد)[٢] .

وبما أنا عرفنا مصلحة الشريف ويام فما مصلحة الإمام نجدها في نفس المصدر السابق :

(إنما كان الباعث لهم الوصول أن حصل بينهم وبين الخليفة المنصور ما شانه يطول ، بسبب انه قد اقطعهم بلاد حراز بأسرها من جبال اليمن لنصرهم إياه في ابتداء دولته بعد وفاة والده لانه عارضه في الدعوة جماعة من آل الإمام فاخذوا عليه البلاد وأطاعهم جميع العباد ولم يبق في يده إلا مدينة صنعاء حتى وقع عليه الحصار بها برهة من الدهر فاستدعى يام والمكارمة من نجران وحصل له على يدهم النصر فطردوا جميع المحاصرين له , واسترجع البلاد على اكمل الوجوه فاقطعهم تلك الجهة مقابلة فيما صنعوه ثم عنّ له الرجوع في ذلك وثنى عنانه عما هنالك وصمم على أخذها فوقعت بينهم فتن أدى الحال فيها إلى نزولهم التهائم ونهبوا بيت الفقيه ابن عجيل ، وبندر الحديدة ، واخذوا جُملا مستكثرة من العروض والدراهم والبهائم)[٣] .
وحفاظاً على توازن القوى كان هناك مشاورات فيما بين القوى حتى في حروبهم كما أيد إمام صنعاء موقف يام في غزوهم الشريف عند الخلاف الذي استشهدنا به من قبل انظر نفس المصدر :

(ثم رفع المكرمي إلى الخليفة[-أي إمام صنعاء-] بالمتفق لعله طابق غرضه لسبب ما جرى من تلك الجواري التي مضت تستبق ووصل جواب المكرمي من الإمام مقررا لما فعل)[٤].

لنأخذ الدراسات الحديثة التي وردت فيها تهمة الاسترزاق والتي دعتنا لعمل هذه الدراسة:

١- قال محمد بن احمد العقيلي في كتاب المخلاف السليماني الجزء الأول الطبعة الثانية صفحة ٤٠١ " وأنها فرصة طيبة لمثله أي المكرمي أن يظهر بمظهر الوفاء ((ويملا وطابه)) " !!

قلت:

وهذا المصدر الذي ينقل منه العقيلي :ويقول نص خلاصة العسجد التي ينقل العقيلي عنها : "حتى وقع بينهم الصلح على شرط تسليم مال وإجراء مقررات لهم ولأولاد الشريف حوذان في

---

(١) خلاصة العسجد صفحة.167
(٢) خلاصة العسجد صفحة ١٣٥
(٣) خلاصة العسجد صفحة ١٣١
(٤) انظر خلاصة العسجد صفحة ٢٦٠.

كل شهر ويكون ذلك بضمان الشريف ظافر بن حسين والشريف حسن بن احمد فرضي الشريف بذلك ثم خرج إليهم الشريف ظافر إلى مخيمهم لتمام الصلح ثم خرج الشريف بنفسه وادخل المكارمه إلى المدينة فأ قاموا عنده عدة أيام وراو انهم قد قضوا ما يجب عليهم من الذمام ".
قلت:

انظر أيها القارئ هل ورد في خلاصة العسجد جملة العقيلي التي تهكم فيها على المكرمي بقوله (وإنها لفرصة طيبة لمثله أي المكرمي أن يظهر بمظهر الوفاء ويملا وطابه) !!

٢- وذكر العقيلي في صفحة ٤٠٨ من المخلاف السليماني الجزء الأول الطبعة الثانية – " فلما توفي الأمير محمد بن احمد الخيراتي و أوصى بان يخلفه ابنه حيدر ولم يعمل بتلك الوصية خلفه الابن الأكبر احمد بن محمد ورفع إلى إمام صنعاء بخبر الوفاة والتماس الموافقة فوردت الموافقة مصحوبة ببعض التحفظات والتوصية على استخدام يام كجنود ((مرتزقة)) !! "

قلت:
ولفظة مرتزقة غريبة فلو ذكر المصدر لبرئت ذمته ولكنه لم يفعل حتى لا يفتضح أمره .

٣ - وذكر العقيلي أيضا في صفحة ٤١٩ من كتاب المخلاف السليماني الجزء الأول الطبعة الثانية - "فنتج عن ذلك نضوب اكبر إيراد زراعي لتلك الأسرة تقوم عليه أحوالهم بعد الأعطية ومع تلاشي السلطة واضمحلال النفوذ نضبت منابع الإيرادات الأميرية التي توزع الأعطية التي هي بوجه العموم موزعة على تلك الأسرة بعد الأعطية للجنود ((المرتزقة من يام)) ".

قلت :

وهنا يعود العقيلي لوصف يام بالمرتزقة دون أن يذكر المصدر الذي استقى منه وكأنه حاضر تلك الأحداث، وهذا في حد ذاته خلل علمي يفقد دراسته المصداقية خصوصا رأننا رئينا كيف يسقط آراءه داخل الأحداث لتمرر للقارئ وكأنها حقيقة تاريخية مسلم بها .

٤ - ثم يقول العقيلي في صفحة ٤٦١ من كتاب المخلاف السليماني الجزء الأول الطبعة الثانية – "وفي أثناء تلك المدة انتهى أمد الهدنة المعقودة بين عامل الحديدة صالح بن يحي العلفي الذي استدعى يام كجنود ((مرتزقة)) !! "

قلت:

ويقول: ولى صالح بن يحيى العلفي ابن أخيه قيادة الجنود المرتزقة !! وهنا ينكشف أمر العقيلي باختلاق لفظة (المرتزقة) !!فحادثة العلفي وابن أخيه ويام وردت في كتاب نفح العود في سيرة الشريف حمود من صفحة٢١٩ إلى صفحة ٢٢٤ سنة ١٢٢٠هـ وبذلنا الجهد في قراءة الحادثة من أولها إلى آخرها ولم نجد ذكر للفظة (المرتزقة) والغريب في الأمر أن محقق كتاب نفح العود هو العقيلي نفسه فكيف فات عليه ذلك ؟ ولعل سائل يقول قد تكون وردت في مصدر غير نفح العود ، فندع العقيلي يرد بنفسه :

يقول العقيلي في مقدمة كتاب نفح العود بان الكتاب يسجل تاريخ ١٢ سنة من تاريخ جنوب الجزيرة العربية من سنة ١٢١٩إلى سنة ١٢٢٥هـ وان الكتاب هو المصدر الوحيد لتلك الفترة .

قلت:
لاحظ قوله المصدر الوحيد .

٥ - وقال الدكتور عبد الرحمن بن محمد بن حسين أبو داهش في كتاب اثر دعوة محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب في جنوب الجزيرة العربية – ولما انحلت رابطة النجرانيين بأمراء نجد اخذوا يزاولون مهنة الحرب ((والارتزاق)) من ورائها !!

قلت: ولم ينسب الدكتور قوله ذلك لأحد لا إلى العقيلي ولا إلى غيره!!! بل تركها عائمة وهذا خلل علمي أخر يحتاج لدليل أو إسناد إلى من أخذ منه !!!

٦ - وتلقف ذلك ممن ينتسبون ليام مع الأسف كيحيى بن ناصر بن متعب فقال في نصيحته (علم وخبر) اطلقوا على يام لفظ المرتزقة و أن المرتزقة لفظة تطلق على من ينضم إلى فئة ليس منها !!!

قلت:
أن هناك من يردد ألفاظا وتهم كالببغاء دون أن يعي مدلولاتها بل على العكس يدعم قول خصومه مؤكد تهمة لا أساس لها من الصحة كما بينت لنا هذه الدراسة .

أسلوب العقيلي في الكتابة [1]

يورد الأستاذ محمد الصادق عفيفي في كتابه عن مؤرخ جازان وأديبها محمد بن أحمد العقيلي أن الأخير سئل ذات مرة حول مفهومه للتراث وقيامه عند التحقيق التاريخي بحذف الأشياء التي لا تتناسب مع مجتمع اليوم وجيل العصر الحديث فلم يكن جواب العقيلي سوى:" التراث ينبغي أن يقوم بطريقة الألتزام، بما يناسب روح الدين والأخلاق الفاضلة وما يتفق مع مبادئ نهضتنا الإسلامية وأن نقدمه للأجيال مصفى ".انتهى (انظر كتاب العقيلي: العالم الموسوعي،ص ١٠٦). لعل ما سبق كانت الجملة الأخطر التي بقيت في الذاكرة وأنا أنتهي مساء البارحة من قراءة ذلك الكتاب ولعلها وحدها قادتني للسؤال الأخطر: هل نحن نقرأ التاريخ اليوم بحسب ما كان أم أنه يصل إلينا تحت بصمة المؤرخ ورقابته الذاتية التي تنسف فينا كل دلالات اليقين عن القيمة الجمالية للتراث وعن الدلالات الفعلية الحقيقية للرموز والأحداث.

يقول الفيلسوف الإنجليزي الشهير برنارد رسل إن الجناية على التاريخ تنبع من كتابته الفطرية على يد نخبة تنحاز لمنظومتها التي تتوافق مع الأهواء والميول أو بأقلام فئة مؤدلجة تحذف منه ما تشاء وتضيف إليه ما تشاء ولهذا ظل التاريخ جسما مشوها لا يحظى بثقة حتى الذين يسبرون غوره ويعيشون معه القيمة والبحث. تظل مشكلة كتابة التاريخ أرقا أزليا وبالخصوص للأم التي تحمل كما تراكميا من مادة غنية بالمساحة والمسافة. لعل هذا تحديدا ما يعنيه المؤرخ الأمريكي دان ديفيس حين يورد أن الفروق بين تاريخ الأمة الأمريكية وغيرها من العالم القديم تكمن في نقاء التاريخ الأمريكي من سيل الاراجيف والطروحات الزائدة أو المحذوفة من حواشيه بحكم الفترة القصيرة للنشأة الأمريكية وبحكم أنها فترة جاءت في ذروة التدوين البشري وفي وقت صارت فيه الأحداث تكتب باليوم، ومن يدري فقد تقرأ أجيالنا المقبلة في زمن سحيق الحاظر بالصوت والصورة دون عبث أو مداخلات. عودا على بدء. كان العقيلي يعترف ربما دون قصد بخطأ منهجي فادح وقع فيه باعترافه الصريح وهو يقفز من فوق الجمل والنصوص وكان يحاول "المصفى " والوصول إليه دون أن يعلم أن كتابته شيئا من تصفية التاريخ. التراث والتريخ لا ينتقصان بتناقص الرواة والأفكار بل بنقص الأيام وإنقاص الحقائق. الشعوب لا تقرأ من تاريخها ما كان جليا مدونا بالعلماء بل ما كان معددا منقولا عبر الإخفاء والتهريب.التاريخ أيضا لم يكن يوما قضية نخبوية في أيدي أهل الاختصاص وتحت احتكارهم. إنه كالخبز المشاع للجميع، بل هو جزء من الذات التكوينية للبشر ينقل معهم من جيل إلى جيل كالدماء الموروثة من الآباء والأجداد بأمراضها وعللها، بإيجابياتها وحسناتها وهنا لا يجوز للطبيب أن يتدخل في عمل آلات التحليل ليخفي ما شاء من المصائب والمثالب. قصتان للعبرة والتأمل.

الأولى: كان مؤرخنا الجليل ذات مرة يتحدث عن رمز شهير من شخصيات عصرنا العروبي الوسيط عندما استرسل في سرد واقعي لجانب خفي من حياة تلك الشخصية وبالذات عندما تراجعت عن موقفها في قضية واحدة معلنة كانت تشغل الناس في تلك الفترة المحددة من التاريخ. حينما حمي الكلام وشد الجميع الانتباه إلى جمل المحاضر. يتدخل "متخصص" في الطرف الآخر من القاعة مناديا بالتأجيل مشددا على المحاضر أن "يأخذ بطرف". في هذه اللحظة تغيرت كل النغمات وعاد المحاضر يجر في الألوف والمباح من أوراق التاريخ وانتهت المحاضرة بمداخلة من "المتخصص" ذاته معلنا أنه ليس كل ما يعلم من التاريخ يجب أن يقال وان هناك من المقاطع والأحداث ما يجب أن يظل تحت نظر أهل العلم والاختصاص وحدهم.

---

(١) علي سعد الموسى، جريدة الوطن ٨٨٤، مارس ٢ عام ٢٠٠٣م

وكان يبرر حديثه هذا بعبارة مثل "سوء الفهم" وإشاعات التداول دون أن يدرك انه بهذا يفرض رقابة على رقاب وعقول الجمهور.أية أمة تخاف على تاريخها من إشاعة أو فهم مغلوط. الذين يدعون رقابة التاريخ،يتوهون السيطرة على حركة الليل والنهار والذين يزعمون إعادة كتابته كمن يحاولون إعادة الماء إلى منبع النهر .

الثانية: حينما أرشدني أحدهم لقراءة كتاب محي الدين بن العربي الموسوم "العواصم من القواصم"، حينما طلبت الأفضل في قراءة لفترة تاريخية شائكة.لم يكن جل ما قرأت إلا زيادة في الشك حين تحول المؤرخ إلى شاهد دفاع،يندفع نحو الأفكار بقلم مؤدلج أو تحت تأثير هوى سياسي بحت. كان ينتقي من القواصم ما شاء ويدفع بالعواصم للتبرير وكأنه في ذهنه السحيق حين كتب المخطوط يتنبأ بالقراءة في مدارسنا الابتدائية المعاصرة ولهذا بقينا مع تاريخنا نتأرجح بين "الرسمي" في المدارس النظامية في الصباح وبين المنقوص أو الزائد الذي تقرؤه بالاختلاس في خلسة المساء. التاريخ للحق، رواية من طرفين متناقضين الأته علم قائم على الأيديولوجيا التي تتحكم في النزعة وتمسك بتلابيب المدرسة. كل مدرسة على مدار "التاريخ" أيضا لها ما يقابلها من نزعات النقض والرفض ولهذا ستظل الكتابة شيئا من تيار المد والجزر، ومن تنازعات الرفض والقبول ومن قراءة الأحداث والوجوه في ورقتين متباينتين.التاريخ هو كتابة الأمم المنتصرة وردود الأمة المهزومة السالفة ولهذا فبقدر ما نحل اليوم من عراقة في مدننا الأزلي السحيق،بقدر ما تكبر المتناقضات وبقدر ما يصلنا من وجوه مختلفة للعملة ذاتها. التاريخ في الأصل هو الكتابة على الوجه الواضح من الصفحة وهو الاسترسال أيضاً في الحواشي والوجه الآخر للكتاب ذاته في المرحلة اللاحقة.المشكلة أننا وبحكم الاستطراد التاريخي نركز على الحاشية وما كان مدوناً خارج نطاق التاريخي إلى المزور تحت رحمة الالتزام و "المصفى" نسيء إلى تاريخنا بالاستئصال حين يبعث فينا روح الشك في كل ما كان يقيناً من أحداث أو رموز .